THE ORIGIN OF SYRIAC CULTURE IN MESOPOTAMIA

أصول الثقافة السريانية

في بلاد ما بين النهرين



فؤاد يوسف قزانجي




THE ORIGIN OF SYRIAC CULTURE IN MESOPOTAMIA
أصول الثقافة السريانية
في بلاد ما بين النهرين
HAZEM MASSAOD
HM
E-Books
فؤاد يوسف قزانجي

أصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين

فؤاد يوسف قزانجي

أستاذ الجامعة المستنصرية

عضو اتحاد المؤرخين العرب

بغداد

2010

[... إن التاريخ الشامل لا يمكن أن يكون إلاّ تاريخ الأمكانات البشرية، والبحث عن الأبعاد التي فقدها الإنسان خلال فرص التاريخ وإعادة اجتياحها، وليس في وسعنا أن ننتزع جبرية المستقبل إلاّ إذا انتزعنا جبرية التاريخ]

أرنولد توبني

الإهداء

إلى ذوي الفكر النيّر من المثقفين العرب والسريان وإلى الباحثين عن الحقيقة في التاريخ الذين يعملون على المقاربة المشتركة بين الإسلام والمسيحية في الشرق العربي ....

أهدي كتابي هذا لعله يساهم في معرفة الآخر والفهم المشترك في بناء الحضارة الإنسانية ،،،

فؤاد قزانجي

كاتب ومؤلف وأكاديمي

مقدمة

ترقى الكنيسة الشرقية في العراق إلى الرسول مار ادّي وتلميذه مار ماري (ت82م) الذي يعدُّ أول رئيس لكنيسة بلاد بين النهرين، وكانت لهذه الكنيسة ست أبرشيات مركزها في ساليق – قطيفون (المدائن)، وقد توافق الفتح الإسلامي مع وجود الجاثليق (أيشوعياب الثاني 646) على رأس كنيسة المشرق، وحصل هذا الجاثليق على صداقة المسلمين وعلى مرسوم يعطى الأمان للمسيحية، انتقل مركز الجاثليق إلى بغداد عام 779 في زمن الجاثليق حنا ينشوع الثاني، ومن بين تلك الأبرشيات واحدة في برات – ميشان أو فرات – ميشان (البصرة) وواحدة أخرى في بيت هوزاي ومركزها بيت لافاط (جنديسابور) وأبرشية بيت كرماي ومركزها كرخ في – دبيث سلوخ (كركوك).

استمرت الكنيسة الشرقية (النسطورية) بعد الفتح الإسلامي ولاسيما في ظل الخلافة العباسية حتى صارت تضم خمسة عشر من رؤوساء الأساقفة إلاّ انها تعرضت للتشتت بعد غزو هولاكو للعراق عام 1258 اعقبتها هجرة جماعات مسيحية إلى المناطق الجبلية في العراق وتركيا وإيران، حتى عودتها في بداية القرن العشرين إلى وطنها الأصلي، العراق.

أما الكنيسة الارثوذكسية، وهم الذين سمّوا في القرون الميلادية الأولى بالمونوفوزيين أو اليعاقبة، فقد انتشر مذهبها في تكريت والحيرة وشمال نينوي، وانتظمت شؤونها في القرن السادس الميلادي حينما انتقل مطرانها في تكريت إلى شمال الموصل عام 628 ومركزه في دير مارمتي.

لعل من أبرز السمات في تاريخ المشرق، أن الكنيسة الشرقية في الهلال الخصيب تشترك مع التراث العربي في مجتمع واحد سواء في نموه أو تقاليده، وكلاهما انطلقا في توسعهما شمالاً وكان الهلال الخصيب مجالهما المشترك، ولذلك نجد تشابهاً واضحاً في جوانب عديدة بين المسيحيين والمسلمين في هذه المنطقة، تكاد لا تفرق بينهم سواء في الشكل أو اللغة، فلغتهم المشتركة هي العربية، فيما عدا المسيحيين في شمال العراق الذين لا يزالون يتحدثون بالسريانية أو إحدى لهجاتها المسماة بالسورت إضافة إلى اللغة العربية حتى الوقت الحاضر.

إن التغيير الدرامي الذي جرى في الإمبراطورية البيزنطية وتحوّلها إلى المسيحية في الشرق بين الأعوام 313-321 لعله يعود في أبرز أسبابه إلى تأثير الشرق وأهله الذين ورثوا الأديان الجليلة والحضارات العظيمة.

على الرغم من أن الكنيسة المشرقية قد توسعت في القرن الخامس وانتشرت بين القبائل العربية كالغساسنة في الجزيرة والمناذرة في جنوب العراق، إلاّ أن سياسة بيزنطية المتقلبة والمضطربة تجاه الكنيسة المشرقية، وسعيها إلى احتوائها، أضف إلى تدخل الأباطرة المباشر في تعيين رجال الدين، قد شجّع على انقسام الكنيسة المشرقية إلى قسمين: يعاقبة في سوريا ولبنان وفلسطين، ونساطرة في العراق وإيران، لذلك نجد أن المسيحيين بتأثير السلطة الساسانية سعوا إلى الاستقلال عن بيزنطية خوفاً من بطش الفرس بهم كما فعلوا بعد أن اهتدت بيزنطية إلى المسيحية حينما شن الحكام الفرس حملة شعواء انتهت بقتل ما يقرب من ستين ألف شهيد في العراق والأهواز معظمهم من رجال الدين والمتعلمين المشرقيين.

كانت المسيحية قد انتشرت في القرن الخامس والسادس في معظم أنحاء سوريا ولبنان وفلسطين ومصر وجنوب إيران واليمن وقطر مما شجع المسيحيين من ذوي الأصول العربية على تقبل الفاتحين المسلمين ومساعدتهم في غالب الأحيان، وكانت سياسة المسلمين تتسم بالحكمة والاعتدال فقد راعهم انتشار المسيحية في الهلال الخصيب، فقابلوهم بالعهود والمواثيق القائمة على الحرية الدينية والعيش المشترك.

في الحقيقة أن اللقاء بين المسيحية والإسلام له جذوره التاريخية والدينية العميقة، بدأت منذ عهد الرسول الكريم الذي كان يلتقي باستمرار مع ابن عم زوجته الفاضلة خديجة الكبرى، ورقة بن نوفل الذي كان على الأرجح مسيحياً حكيماً، كما التجأ بعض المسلمين الأولين إلى ملك الحبشة النصراني الذي حماهم. وقابل النبي الكريم (ص) رؤوساء قبائل نجران من المسيحيين في المدينة، لكن اللقاء التاريخي والتقاء الثقافتين حدث عندما فتح المسلمون الهلال الخصيب.

وكان معظم المسيحيين في سوريا قد ملّوا تدخل السلطة البيزنطية في حياتهم، كما أن الفرس في العراق كانوا قد فتكوا بآخر ملك عربي الذي كان على الأرجح مسيحياً وهو المنذر الأخير ملك مملكة الحيرة أو بالأحرى ملك العرب الذي كان يمتد نفوذه إلى جنوب العراق واليمن وقطرايا، وقد فسر بعض المسيحيين في القرن السابع فتوحات المسلمين وتوسعهم السريع في المشرق تفسيراً معتمداً على التوراة والكتاب المقدس، فذكروا أن العرب قد انحدروا من نسل أولاد إسماعيل الابن الأكبر للنبي إبراهيم الخليل الذي وعده الله بأن يجعل نسله شعباً جليلاً (التكوين 21/18) فقد كتب أحد الرهبان النسطوريين في العراق عام 670 (50 هـ) أن بني إسماعيل يحققون انتصارات سيما وأنهم من أحفاد إبراهيم الذين كانوا يعيشون في الصحراء، وكان قد ذكر مثل هذا الرأي احد المطارنة الأرمن المسمى (سيبوس) عام 661 (41 هـ) أيضاً.

على الرغم من تطور مجالات الثقافة والعلوم السريانية في بداية القرن السابع الميلادي، فإن سيطرة البيزنطيين على المدارس العليا في سوريا وضغوط الفرس وتدخلهم في حياة أهالي العراق وإشعال نار الفتنة بين المناذرة والغساسنة الذين كان من بينهم عدداً كبيراً من المسيحيين، قد أثر على تكوين حضارة سريانية إلى جانب الحضارتين الفارسية والبيزنطية لذلك وجد السريان في المسلمين شركاء أفضل في العيش والبناء الحضاري.

يبلغ عدد المسيحيين في العراق بين 4% - 5% من عدد السكان وفي سوريا يبلغ مجموعهم بين 8-9% من عدد السكان وفي فلسطين 6% وفي مصر أكثر من 8% وفي لبنان حوالي 45% من عدد السكان، وكان يطلق على اليعاقبة في سوريا والنساطرة في العراق بالسريان على الرغم من أنهم ذوي أصول مختلفة آرامية وآشورية ومكدية وعربية. [انظر الملحق رقم (2)].

كانت هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي ولازالت موضع فخر المثقفين السريان في العراق والعالم العربي، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات والدراسات والترجمات التي تصدر عنها، وإن كانت في السنوات الثلاث الماضية تبدو متواضعة، وهذا ما يذكرنا بالعلاّمة المرحوم يوسف حبّي رئيس الدائرة العلمية السريانية للسنوات 1996-2001 الذي خلّف لنا دراسات وبحوث سريانية متميزة، وقبله المرحوم الباحث الجليل كوركيس عواد، ولا بد لنا من أن نعرّف بأعلام السريان في العراق لقرّائنا أمثال البيرابونا (الذي ألف وترجم زهاء ستين كتاباً) ود.بطرس حداد (الذي ألف وترجم زهاء ثلاثين كتاباً) وسهيل قاشا (الذي ألف أكثر من عشرة كتب) والبطريرك

عيواص (الذي ألف وترجم عدة كتب) د.يوسف فوزي ود.جاك أسحق ود.يوسف ساكو ود.يوسف توما الذين نشروا دراسات علمية في الثقافة السريانية في مجلة المجمع العلمي ومجلتي بين النهرين والفكر المسيحي وغيرها، هذا بالإضافة إلى جهود فرع الأدب السرياني في اتحاد الأدباء والكتاب السرياني، ولا بد أن نشير إلى كتابين مهمين صدرا حديثاً باللغة الإنجليزية، هما:

1) المسيحية في العالم العربي

Talal, (prince) El Hassan Christianity in the Arab World. Amman, Royal Institule for Inter-Faith studies, 1995.

2) المسيحية في العراق:

Rassam, Suha Christainity in Iraq. London, Grace Wing, 2006

وأخيراً ينبغي ألا ننسى المجلة المتميزة (ميسوبتيميا) التي تصدر في خارج العراق وجهود رئيس تحريرها الأستاذ سليم مطر ومجلات عراقية تعنى بالأدب المشرقي المسيحي مثل مجلة بين النهرين ومجلة الفكر المسيحي وغيرهما.

بغداد 2010

الفصل الأول

العصر الفارسي الرافديني في العراق

المبحث الأول : خلفية تاريخية للعصر الفارسي الرافديني في العراق

كان البارثيون (الفرثيون) وهم فرع من الفرس الإيرانيين يعيشون حياة بدوية، ثم استقروا في الألف الأول قبل الميلاد، وفي العام 250 ق.م تمكن أحد رؤساء القبائل من التحرر من سيطرة اليونانيين السلوقيين الذين كانوا يحكمون إيران وغيرها من البلدان، وقام بتأسيس مملكة للسلالة الارشاكية، واستطاع الملك ميترداس الأول (171-138 ق.م) أن يستولي على بقية أجزاء إيران ويطارد الجيش اليوناني حتى شمال سوريا، وبذلك يكون هذا الملك قد احتل العراق القديم، أي بلاد الرافدين وذلك في العامين (141-140 ق.م) وعندما تسلم الحكم الملك أورودس الثاني في الأعوام (57-37 ق.م) قرر نقل العاصمة من سلوقية ذات العمارة الهلنستية- الرافدينية، وأنشأ مدينة له قبالتها، لكن على الجهة الأخرى من دجلة وسماها كتسبيا (Ctespia) التي سميت لدى اليونان والرومان (Ctesephon)، ولدى سكانها من البابليين وغيرهم قطيسفون ثم طيسفون (المدائن)، وفي أيام حكم هذا الملك، هاجم الحاكم الروماني لولاية سوريا ليستوس كراسوس المدن الرافدينية والحاميات الارشاكية، ولكنه تاه في الصحراء السورية، ثم لقيه جيش البارثيين وهزمه عند مدينة الرها شمال غربي سوريا عام 53 ق.م.

كان العراق القديم بعد سقوط آخر إمبراطورية رافديينة وهي الإمبراطورية البابلية، قد واجه احتلالاً فارسياً إخمينياً أعقبه احتلال يوناني، وكانت الأقوام التي تسكن العراق مؤلفة في معظمها من أصول سامية مثل البابليين ذوي الأصول الأمورية والآرامية، وكذلك بقايا الآشوريين ومجموعة من القبائل الآرامية التي سكنت منطقة بيت أراماي وبيت هوزاي (الأهواز) جنوب شرقي البصرة ومدينة حاطرا (الحضر) ومنطقة حدياب، وقد بدا أن اللغة السائدة منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي، هي اللغة الآرامية، يضاف إليها اللغة اليونانية في فترة الحكم اليوناني – السلوقي، واللغة الفارسية في فترة حكم الأقوام الفارسية الإخمينية والبارثية واللغة العربية في الفترة الساسانية([1]).

المبحث الثاني : الآرامية والسريانية

تعتبر اللغة الآرامية إحدى اللغات السامية الرئيسية في الشرق الأدنى القديم، وقد انتشرت في منطقة الهلال الخصيب، ولاسيما سوريا وفلسطين منذ القرن السابع قبل الميلاد، واتخذتها الدولة الآشورية الأخيرة والدولة البابلية والدول الفارسية لغة الدبلوماسية والتعامل مع الدول الأخرى، ولغة التفاهم السياسي والتجاري، وكانت أيضاً لغة يسوع (عيسى) المسيح ورسله الإثنى عشر.

استفاد اليهود في فلسطين من الخط الآرامي الذي تطور لديهم، ومن خلاله تطور خطهم العبري ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، كما أن العرب الشماليين أخذوا خطهم من الأنباط، والخط النبطي شكل من أشكال الخط الآرامي، وهو لذلك أصل الخط العبري الشمالي بجميع أطواره وربما أيضاً أصل الخط العربي المعروف بالمسند، كما استفاد بعض العرب من الخط العربي الحيري الذي كان متأثراً بالسريانية، وذلك ما بين القرن الرابع والقرن السادس الميلاديين، كما تطور في عاقولاء (الكوفة) خط عربي في نهاية القرن السابع الميلادي متأثراً بالخط الآرامي أو السرياني، سمي بالخط الكوفي، وهو أجمل الخطوط العربية.

ونشأت في العراق ثلاث ممالك شبه مستقلة تحت الحكم اليوناني والحكم الفرثي وهي ممالك ميشان وحاطرا (الحضر) وحدياب أو إديابين (Adiabene) كما يلفظها المؤرخون اليونان والرومان، وكانت هذه الممالك تكتب باللغة الآرامية حتى منتصف القرن الثالث حينما اجتاحتها جيوش الفرس الساسانيين، ودمرتها وشردت أهلها، وخصوصاً مملكة حاطرا.

أما السريانية، فهي لغة محكية من الآرامية، التزم بها المسيحيون في شمال سوريا أولاً لكي يختلفوا عن الوثنيين الآراميين، ولذلك سموا أنفسهم بالسريان أي أنهم سوريون، وتبنت الكنيسة المسيحية في سوريا وفلسطين ثم العراق منذ القرن الثاني الميلادي اللغة السريانية، وسرعان ما انتشرت بين المسيحيين في منطقة الهلال الخصيب، واصبحت لغة الكنيسة ولغة الفلسفة الدينية، وتطور الأمر في استخدامها إلى جوانب الثقافة والمعرفة العامة كالشعر والحكاية الشعبية والقصص الدينية والعلوم التي نمت من خلال القراءات اليونانية كالطب والصيدلة والعلاجات السريرية التي بدأت في الرها وجنديسابور أو بيث لافاط، وانتقلت إلى بقية المدن الرئيسية في سوريا والعراق منذ القرن الثاني الميلادي، وتطورت الفلسفة والعلوم الدينية وخصوصاً العلوم اللاهوتية([2]).

ازدهرت الآداب والعلوم السريانية في القرن الخامس حتى أصبحت تسود ثقافة معظم سكان فلسطين وسوريا ولبنان والعراق، إلى جانب اللغة العربية التي انتشرت أو نشرتها الأقوام العربية التي هاجرت بشكل واسع إلى سوريا والعراق منذ القرن الثالث أو الرابع الميلاديين من بينهم جماعات من العرب النصارى الذين كانوا في نجران وسبأ وحمير بخاصة، بعد هجوم ملك حمير الذي آمن باليهودية ذو نواس (515 – 525م) على مدينة نجران وتوابعها المعروفة بشعبها المسيحي وكنائسها الكثر، وأكره ذو نواس أهلها النصارى على اعتناق اليهودية، وقيل أنه قد حفر أخاديد (خنادق) لهم وأضرم فيها النار، وخيّر المسيحيين بين النار والخروج عن دينهم، فأبى هؤلاء إلا أن يموتوا شهداء، وفرّ الآخرون وهاجروا إلى جنوب العراق.. إلى فرات – ميشان وكشكر والحيرة.

وسنسعى في بحثنا الأول إلى الكشف عن تاريخ العراق في هذه الفترة التي سبقت المسيحية من خلال دراستنا للممالك والمدن الرافدينية الرئيسية وهي ممالك ميشان وحاطرا وحدياب وسنجار ومدن مثل كشكر وفرات – ميشان وجند يشابور وغيرها من المدن الرافدينية الأخرى.

المبحث الثالث : مملكة ميشان

مملكة ميشان أو ميسان تضم منطقة واسعة، ابتداءً من المحمرة الحالية وحتى فرات – ميشان (البصرة) وكذلك جنوب العراق المطل على الخليج العربي بضمنها جزيرة فيلكا.

نشأت ميشان من أقوام وقبائل عدة معظمها آرامية التي كانت موجودة في هذه المنطقة منذ بداية العصور البابلية في مملكة القطر النجري. وكان قيام مملكة ميشان ومملكة حاطرا ومملكة حدياب وكذلك مملكة سنجار كرد فعل حضاري في سكان العراق القدماء بعد سقوط آخر دولة رافدينية بابلية – كلدية عام 539 ق.م على يد الفرس وما تبعته من غزوات اغريقية ورومانية وغيرها حيث اعتبرت هذه الممالك امتداداً لقوى وقدرات شعب الرافدين المتحضر الذي كانت بلاده مركزاً من مراكز الثقافة والتجارة والإدارة في الهلال الخصيب.

أما كون معظم سكان ميشان من الآراميين فهذا ما يؤكده الباحث شيلدن نودلمان والعلامة طه باقر حيث يقول بالحرف الواحد: (إن جُلّ سكان ميشان من الآراميين)[*].

بعد انهيار الحكم الإخميني الفارسي في العام 331 ق.م. على يد الإسكندر الكبير، تبعه الاحتلال اليوناني الذي على استولى الشرق الأدنى ووصل إلى أطراف الهند، وبعد أن قضى الإسكندر الكبير وقتاً في فارس قرب عاصمتها برسيبوليس، وبعد أن أحرق ودمر ما استطاع من معالمها انتقاماً لما فعله الفرس في بلاد اليونان، وبعد ان تزوج من أميرة فارسية وسعى إلى تزويج بقية الأميرات ونساء البلاط من قادته انسجاماً مع سياسته الداعية إلى إيجاد علاقة حسنة مع الشعوب المغلوبة، عاد إلى بابل متخذاً طريقاً جنوبياً حتى وصل إلى أرض (المحمرة) التي تطل على نهر كارون، فقرر إنشاء مدينة هناك دعاها (خاراسين Charassene) ودعا جنوده المتعبين أن يستقروا فيها؛ بينما اسماها قادة الإسكندر (الإسكندرية) لكن هذه التسمية لم يؤبه لها، أما السكان الذين يعيشون قربها والذين في معظمهم كانوا آراميين فقد اسموها (كرخا) بمعنى المستوطن، ولذلك جاء اسم كرخا في مواقع عديدة في العراق من بينها (كرخا بيث سلوخ) أي كركوك، وكرخا ليدان في الأهواز وغيرهما.

وأمر الإسكندر، الذي كان يفكر في خطته للاستيلاء على بلاد العرب، ببناء أسطول جديد يتألف من (1000) سفينة، كما أمر بإنشاء ميناء على الكارون أسماها (بيلا Pella) وكلف أحد قادته من أمراء البحر ويدعى (سيكالس الكلازيو ميناوي)، وطلب منه الذهاب حال وصوله إلى بابل، إلى بلاد فينيقية (لبنان) واعطاه (500) طالين من الذهب لشراء ما يحتاج إليه من خشب ولوازم ومواد، ولاستئجار بحارة لبناء أسطول كبير لا يقل عن (1000) سفينة من مختلف الأنواع، ثم ركب سفينة وسار من نهر كارون حتى التقائه بدجلة، وقرر هناك أن يقام ميناء آخر مناسب لأسطوله المقبل وسماها (أبولوكوس Apollochus) الذي تحول اسمه في ما بعد إلى (الابلة)، ثم نزل إلى فم الخليج واستراح في جزيرة (ايكاروس Ikarus) والتي سميت في العصر الحديثة (فيلكة)، وقرر بناء ميناء هناك وترك بعض جنوده وقادته لهذا الغرض، ثم انتقل إلى نهر الفرات وعاد شمالاً متوجهاً إلى بابل على متن سفينة من السفن التي كانت ترافقه في حملته على إيران وما بعدها.

نمت مدينة خاراكس وفي بداية القرن الثالث قبل الميلاد لكنها سرعان ما خربت المدينة بسبب فيضان الكارون، وتكرر ذلك عدة مرات مما جعل الملك السلوقي (انطيوخس الرابع ابيفانس) يعيد تعميرها وأسماها أنطاكيا أيضاً على اسمه، وعين الملك (أنطيوخس الثالث) وذلك سنة 221 ق.م حاكماً على خاراكس المدعو (بيتكاريس) ثم عين بعده أحد قادته حاكماً على المدينة يدعى (تيخون) وكان غرض الإمبراطور انطيوخس أن تسيطر هذه المدينة على تجارة الهند وبلاد العرب ومصر.

وفي عام 165 ق.م. أعاد الإمبراطور انطيوخس الرابع تعمير مدينة خاراكس، وعيّن أحد شيوخ العراق في منطقة ميشان التي تشمل القبائل الآرامية والعربية والفارسية، وجعله أميراً على مملكة ميشان.

تمتد مملكة ميشان من مدينة خاراكس وحتى جزيرة ايكاروس وعبر نهري دجلة والفرات اللذين كانا يصبان كل منهما على حدة في الخليج العربي حتى ذلك الحين، وجعل هذا الشيخ ويدعى (سباسينس) أميراً على جميع تلك المنطقة التي تشمل أيضاً رقعة فرات – ميشان، وجدير بالذكر أن كلمة ميشان تعني بالآرامية (المدينة المنورة).

اثبت هذا الأمير بأنه أهل لثقة السلوقيين، إذ ظل متعلقاً بهم برغم ما حصل لدولتهم من انتكاسات على أيدي الفرثيين، لكن تعاظم الخطر الفرثي أقنعه أخيراً بالاستقلال في إمارته عن أنطاكيا والسلوقيين بخاصة عندما اندحر الملك السلوقي.

وكانت نقود مملكة ميشان تُضرب في مدينة خاراكس، أي كرخا، وهي تحمل صورة الأمير سباسينس وصورة أحد الملوك السلوقيين، وعند احتلال الفرثيين العراق وجدن صورة الأمير على عملته المعدنية وفي وجهها الأخر صورة ملك فرثي لعله متريداس الثاني (124 – 88 ق.م) مما يدل على تبعيته للفرثيين.

لكن عندما أدرك هذا الأمير ضعف المملكة الفرثية، أعلن استقلاله وسمى نفسه ملكاً (Apologus) على مملكة ميشان، وألف هذا الملك جيشاً لتحرير بلاد بابل من قبضة الفرثيين، ويقول العلامة سامي سعيد الأحمد أن الملك سباسينس نجح لفترة قصيرة في طرد الفرثيين من بلاد بابل، بسبب امتلاكه شعبية في تلك البلاد، وكثرة مؤيديه بدليل الرقيم المدون باللغة الأكدية والذي يعود إلى سنة 127 ق.م، الذي أفاد بأنه قد أصبح ملكاً على بابل، ويعتقد أن هذا الملك من أصل بابلي – كلداني، وإلا كيف حاز على هذه الشعبية بالإضافة إلى أنه كان يقدم الأضاحي في المناسبات الدينية ببابل إلى الإله مردوخ.

كان الملك سباسينس معجباً بالحضاة اليونانية الشرقية (الهلنستية) فقد اتبع التقويم اليوناني الذي يبدأ من سنة 311ق.م، واتبع الملك سياسة دولية مع سكان بلاد بابل وكان لديه مستشار بابلي يدعى (التي – مردوخ- بلاطو) وكان من المقربين إليه.

لم تدم سيطرته على بابل إلا بضع سنوات، ولدينا نقود معدنية تعود إلى سنة 126-127 ق.م باسمه، وتعكس نقوده حبه للهلنستية، وبدأت حملة فرثية جديدة على العراق من قبل الملك الفرثي (متريداس الثاني) انتهت بعد ست سنوات بانكسار جيش الملك سباسينس عام (120 ق.م) ولذلك انسحب إلى مملكته الصغيرة ميشان، ويبدو أنه خضع بعد ذلك للفرثيين، لكن علاقاته التجارية استمرت مع جيرانه اليونانيين وكذلك مه مدن سوريا الصحراوية التي كانت تستورد عن طريق ممكلته الأقمشة والطيب وبضائع مستوردة من الهند وغيرها وتصدرها إلى الجزيرة العربية.

وأشار كتاب (الطواف) حول البحر الاتيري لمؤلف يوناني والمكتوب بين السنوات (50-60م) كما يذكر العلامة الأحمد، أن مدينة أبولوكس (الأبلة) كانت فيها أسواق مهمة يصدر منها اللؤلؤ الذي كان يستخرج من الخليج العربي، ويباع لليمن وغيرها، وكانت تستقبل هذه المدينة الأرجوان، الذي كان يصلها من الموانئ الفينيقية، وكذلك الذهب والرقيق اللذين كانا تجارة مربحة تقدم الفرثيين والرومان معاً، كانت مملكة ميشان تميل إلى الرومان خلال فترة الحروب التي اندلعت بين السنوات (33 – 54 ق.م).

خلف الملك سباسينس ابنه الملك أبوراكوس الذي تعكس نقوده حبه أيضاً للهلنستية من ناحية وولعه بركوب البحر، ومن ناحية أخرى نرى في نقوده صورة البطل هرقل ومقدمة لسفينة، وحيث أن والده قد أسس أسطولاً تجارياً صغيراً يعمل في الخليج العربي، فقد اهتم هو أيضاً بهذا الأسطول، ومن ملوك ميشان الذين جاءوا بعد (أبوراكوس) تيرابوس الأول، الذي سكّ له نقوداً مماثلة لأسلافه([3]).

ومن الملوك الميشانيين (ثيونسيوس الأول) وهو اسم هلنستي وتحمل نقوده التواريخ 18، 19 ق.م وقد خلفه الملك أطامبيلوس (وهو اسم آرامي يدخل في تركيبه اسم الإله بعل) وتعكس النقود المعدنية الميشانية التي سكّها هذا الملك في الفترة بين (7-9 ق.م) الميل نفسه لدى أسلافه إذ ظهرت عليها صورة هرقل وصورته إلى جانب ألقابه، واعتنى هذا الملك الرافديني بالتجارة مع الدول الأجنبية، مما يدل على أهمية منطقة الخليج العربي للتجارة العالمية آنذاك.

وفي هذه الفترة برز الجغرافي الرافديني المعروف (دابوسيوس) من أهالي كرخا الذي كتب باليونانية، إذ وصلنا جزء مما كتبه ليتحدث فيه عن الأرض وأحوالها، كما ظهر مؤرخ رافديني آخر يدعى (ايسودور الكرخي) أو ايسودوروس كما يسميه الرومان الذي ولد في كرخا وألف كتاباً أسماه (المحطات البارثية Parthian Stations) يتحدث فيه عن المراكز التجارية في (الخليج العربي) وربما كان ذلك سنة 26 ق.م.

وحكم بعد ذلك في ميشان ملكاً هما (ادنركلوس) و(ابنركلوس) ويدخل في تركيب اسمي هذين الملكين اسم الإله (نركال) إله الموت والمرض البابلي، وقد حكم الأول بين الأعوام 10 – 13من والثاني بين السنوات 13 – 22م، وفي هذه الفترة قامت علاقة بين ملك مملكة حدياب الآرامية (منطقة أربيل وما جاورها) المدعو (مونوبازوس الأول) وبين مملكة ميشان – وكان مونوبازوس قد أرسل ابنه الأمير (ايزات – عزة- الأول) إلى بلاط الملك ابنركلوس ملك كرخا – ميشان ومعه هدايا، فاستقبله ميشان بكل حفاوة وزوجه من ابنته (سماخو) وأعطاه مقاطعة سكن فيها وكان (ايزات) قد اعتنق الدين اليهودي، فقام أثناء اتصاله بالتجار الوافدين إلى ميشان بإقناعهم باليهودية وطلب منهم أن يتاجروا مع مملكة حدياب.

وكانت في مملكة ميشان جالية تدمرية كبيرة تقوم بأعمال التجارة بين كرخا ومناطق الخليج (العربي) وبين تدمر، وفي زمن الملك الميشاني (ثيونسيوس) أقاموا تمثالاً لإلههم (زبدي بعل) وذلك في منتصف القرن الأول الميلادي، وكانت هذه الجالية تنتخب لها رئيساً، كما كان لها معبد خاص بها، وكانت لها علاقة قوية بدولة الأنباط، وكان المركز الرئيسي لتحميل البضائع إلى بلاد النبط مدينة فرات على نهر دجلة السفلي، والتي تبعد حوالي عشرين كيلومتراً من كرخا، وكان النبطيون

يسلكون طريق نهر الفرات حتى بابل ثم يجتازونها إلى صحراء الشام سالكين الطريق الروماني (Roman Strada) الذي كان يخترق الصحراء نحو بلاد النبط.

كان آخر ملوك مملكة ميشان الرافدينية (باندو) الذي قتل على يد الملك الساساني أردشير سنة 224م وعندما هاجم مملكة ميشان واحتلها، وبعد ذلك اطلق الساسانيون اسم (استراباد- اردشير) على كرخا وعلى مدينة فرات ميشان (بهمان- اردشير) ([4])، وفي القرن الثاني الميلادي تقريباً وصلت المسيحية من خلال الأساقفة المرسلين من قبل مركز المسيحية في العراق الذي كان في كنيسة (ساليق- قطيسفون) لذلك ازدهرت المسيحية النسطورية وفي العهد الساساني، كانت تضم منطقة ميشان أربعة أسقفيات هي مدينة أبلة جنوب البصرة ثم فرات – ميشان كراخ – ميشان وأبعد من ذلك (بيث لافاط) أي جنديسابور.

وبعد حملة الاضطهاد التي جرت ضد المسيحيين في العراق وإيران في الأربعينيات من القرن الرابع الميلادي، تم إعدام المئات من رجال الدين وعلى رأسهم جاثليق المشرق أو جاثليق العراق مار شمعون برصباعي، وألحقوا به خلفه الجاثليق شاه دوست الذي ألقي عليه القبض وأرسل إلى منطقة ميشان (بيت هوزايي) حيث قطع رأسه هناك لتخويف المسيحيين أولاً ولإعدامه بعيداً عن العاصمة قطيسفون التي أصابها الهلع والاضطراب بعد أن أحرق ودمر فيها العديد من الكنائس.

لكن المسيحية عادت إلى نموها وانتشارها في القرن الخامس الميلادي في منطقة ميشان وخصوصاً في مدينة فرات – ميشان حيث تأسست فيها مدرسة لتعليم اللغة السريانية والثقافة العامة، وظهر في هذه الفترة كثير من الأدباء والمؤلفين من رجال الدين، كما ظهرت مهنة الطب لأول مرة بعد قدوم عدد من الأطباء والصيادلة المسيحيين من مدينة بيث لافاط (جنديسابور) ويذكر أن مدينة جنديسابور أقيمت من قبل الأسرى الرومان والسريان الذين سباهم الفرس في مدينة نصيبين وذلك عام 350م التي تأسست فيها أول مدرسة للطب ربما بعد انطاكيا، وكذلك أول بيمارستان (مستشفى) في العراق، إذ قدمت هذه المدينة الكثير من الأطباء والصيادلة إلى مدن العراق مثل قطيسفون والحيرة وكشكر والكوفة وبغداد حيث أنشأت البيمارستانات، وتعلم العراقيون وغيرهم الطب والصيدلية.

وكذلك مدينة فرات – ميشان مركزاً للمسيحية في منطقة (بيث هوزايي) الأهواز وكذلك في منطقة بيث لافاط المجاورة حيث تناوب عليها العديد من الأساقفة، ومن الملاحظ أن أول أسقفية تأسست مبكراً وذلك في عام 206م، كما أفادنا الباحث السرياني أيشوعدناح الذي أشار أيضاُ إلى وجود مدرسة في هذه المدينة لتعليم اللغة والآداب السريانية، أما الأساقفة الذين تناوبوا على كرسي مدينة فرات- ميشان أو ميشان، فمنهم:

1) داود : الذي كان أسقفاً على ميشان عام 206م.

2) بوليداع: وقد استشهد مع مار شمعون برصباعي الجاثليق، في الاضطهاد الأربعيني عام 341م.

3) عبدا : وقد استشهد أيضاً في الاضطهاد الأربعيني بعد بوليداع.

4) زبدا : وقد حضر المجمع الكنسي الذي عُقد في قطيسفون عام 410م والذي كان من بين قراراته بناء مأوى للغرباء والمساكين قرب الكنائس.

5) ميلس : كان معاصراً لزبدا ، وحضر مجمع اسحق.

6) زبدا ايضا : حضر المجمع الكنسي ببلاد الرافدين والذي عُقد في عام 424م في مدينة الحيرة العربية.

وكان هنالك عدد آخر من الأساقفة الذين تولوا العناية بالمسيحية في منطقة (بيث هوزايي) من بينهم (تيمي) الذي صار أسقفاً عام 541م و(يوحنا) عام 544م و(شمعون) عام 585م الذي حضر المجمع الكنسي الذي عقده الجاثليق الكبير ايشوعياب الأول الأرزني الذي انعقد في قطيسفون عام 585م وكذلك (يوسف) الذي حضر مجمع انتخاب الجاثليق (غريغور) عام 605م([5]).

وعندما توسعت البصرة التي تأسست عام 667م (17هـ) بقرب مدينة الفرات على شط العرب، استمرت خدمة الكنيسة والمسيحيين الذين اضطروا لدفع الجزية والسكن في مدينة فرات- ميشان التي أصبحت بلدة صغيرة تابعة لمدينة البصرة.

وفي القرن التاسع وصلنا (كتاب العفّة) للمطران ايشوعدناح (ت 860م) ومعنى اسمه بالسريانية (إشراقة يسوع) وضم معلومات عن تاريخ الإسقفيات والأديرة المسيحية من القرن الثالث حتى نهاية القرن الثامن الميلاديين.

المبحث الرابع : مملكة حاطرا (الحضر)

حاطرا ، وتعني كلة حاطرا بالآرامة التي هي لغة سكان مملكة حاطرا الرحى . وذلك لأنها تبدو بسوريها المدورين وكأنها الرحى، مملكة رافدينية عاشت زهاء أربعة قرون، وكانت أهم المحطات التجارية لمسيرة القوافل شرقاً وغرباً، حدودها الطبيعية هي دجلة من الشرق والفرات من الغرب، بالتحديد غرباً مدينة نمت عشتار (تل عفر) حتى جبال سنجارا (سنكارا Singara) من الشمال الغربي ثم حصنا عبرايا أو مسبيلا (الموصل) حتى نصيبين أو الخابور، وشرقاً حتى دجلة، ومملكة حدياب التي ارتبطت معها في علاقات وثيقة، وهي إحدى الدويلات الرافدينية التي نشأت في الفراغ الذي أحدثه القضاء على آخر إمبراطورية عراقية وهي الإمبراطورية البابلية الكلدانية عام 459 ق.م. على أيدي الأقوام الإيرانية الفارسية التي كانت تطمع في أرض العراق وكنوزها، وقد تمتعت مملكة حاطرا باستقلال ذاتي ضمن السيطرة العامة للإمبراطورية الفرثية التي كانت ترتبط بالمركز الفرثي سواء أكان في سلوقية أو قطيسفون بالدفاع المشترك عن طريق تقديم الرجال أو المال عند الحاجة.

تقع حاطرا على بعد (110كم) جنوبي حصناً عبراياً، ومنطقتها بادية في نهاية منخفض، لا تتوفر فيه المياه الجارية ولا الزروع الوافرة، شأنها شأن تدمر وباطرا أي (البتراء) وغيرهما من مدن المحطات الصحراوية التجارية القديمة التي أقيمت على حافات الصحراء السورية التي تتوفر فيها مياه جوفية.

كانت بلدة حاطرا تعتبر مركزاً من مراكز التجارة الآشورية، نشأت على المنافع التي تتجمع فيها مياه الأمطار المنسابة من على المنحدرات إلى منخفض الثرثار القريب من حاطرا، وظلت القبائل والجماعات الرافدينية من آراميين وعرب قادمين من أرض الجزيرة تتجمع فيها.

إن أول معبد مشيد فيها كان لإله الشمس (شمشا) منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ومن المحتمل أنشأه البابليون – الكلدانيون الهاربون من الاجتياح الفارسي، نمت هذه البلدة حتى إذا ما حل منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، بدأت سلالة آرامية قوية تحكم حاطرا وما جاورها، وكان في حاطرا إلى جانب الآراميين والعرب جاليات من اليونان وميديا والفرثيين، شأنها شأن أي مدينة تقع على حافة الصحراء، وتشكل استراحة للمهاجرين والبدو، وقد ذكر المؤرخ الروماني (بليني) في تاريخه الذي وضعه عام 78م، أن من أشهر القبائل التي وردت إلى تلك المنطقة (أورى) و(دامانوس) و(سلماني) و(ماسي) وواضح أنها خليط من أقوام آرامية ونبطية وعربية، وقد بنيت بشكل دائري ذات أسوار بحيث تشبه المدينة الرحى ولذلك سميت حطرا بالآرامية.

تحالفت حاطرا مع مملكة حدياب الآرامية المجاورة، وأرسلت بعض جنودها إلى مناطق في شمال شرقي سوريا التي كانت تابعة لمملكة حدياب.

كانت السلطة في مملكة حاطرا موزعة بين الشيوخ أو السيادة الذين كانوا يعرفون بكلمة (رب) أي السيد، وبين سدنة المعابد الذين كان يُطلق على الواحد منهم (رابا- بيثا) أي صاحب البيت أو المعبد، وهو تقليد آرامي كان موجوداً في مملكة أو مدينة كوزانا الآرامية التي كانت قائمة منذ القرن العاشر

قبل الميلاد، واستولى عليها الآشوريون فترة من الزمن، وتقع في شمال شرقي سوريا، وكان رئيس الكهنة يدعى (قشيشا) أي الشيخ أو القسيس([6]).

وقد وجد من خلال تماثيل آلهتهم وملوكهم وملكاتهم شبهاً كبيراً بين المملكتين في طرز ملابسهم وأشكالها.

استمدت الديانة الحاطرية معتقداتها وطقوسها من أربعة مناهج: الديانة الآشورية- البابلية والديانة اليونانية- الرومانية التي نشأت ونمت بين الأقوام الآرامية والعربية في سوريا، إضافة إلى تغلغل الطقوس والآلهة التي استخدمها اليونانيون - السلوقيون وبعدها الديانة الزرادشتية التي نشرها الفرس في العراق، إلا أن الديانة الحاطرية كانت ذات طابع متميز عن الديانات الأربع المذكورة فهي مزيج من معتقدات رافدينية وآرامية وعربية قديمة.

خص الحاطريون الشمس بالأولوية في عبادتهم، وكان البابليون قد اعتبروا (الشمس) المصدر الرئيسي للحياة والنور والنشاط الإنساني، إضافة إلى صفتي العدل والحكمة، وهكذا وجدنا الملك حمورابي أعظم ملوك بابل كان قد استمد عدالته وقوانينه من الإله شمش.

ومن الجدير بالذكر أن أهل (الحضر) كان لديهم آلهة للتثليث تتالف من الآلهة مرن ومريّن وبرمرين، أي من سيدنا وسيدتنا وابن سيدتنا، وهم الإلهة الأب والأم والابن، والتثليث هذا غير الثالوث المسيحي، لأن الثلاثة لم يرقوا إلى درجة الاندماج معاً في إله واحد، ويبدو أن المسيحية لم تصل إليهم بالرغم من انتشار المسيحية في مملكة قريبة منهم وهي مملكة حدياب، إضافة إلى اليهودية، وذلك منذ بداية القرن الثاني الميلادي (102 م تقريباً) والتي استمرت بالنمو حتى بعد الغزو الساساني للعراق.

وقد وجد في حاطرا ما يقارب ثلاثمائة مدونة باللغة الآرامية، ونصاً واحداً يونانياً، ولم يجد الآثاريون أي كتابة بالخط المسند العربي القديم ولا بالخط اليماني الذي وجد في كل من مدن تدمر وبُصرى وبطرا (البتراء)، وربما يعود ذلك إلى أن الثقافة الآرامية كانت أكثر بروزاً بين الآداب المعاصرة لها، وكان للآراميين وورثتهم السريان أدب رفيع وثقافة اكتسبوهما من خلال تجارتهم مع اليونانيين والرومان والفرس، فضلاً عن إجادة بعضهم اللغة اليونانية والبعض الآخر اللغة الفارسية بالرغم من أن لغة البلاط الفارسي كانت لا تزال اللغة الآرامية.

كانت حاطرا قد توسعت وأصبحت دولة ذات شأن في الحقبة التي ساد فيها السلم بين الرومان والفرثيين خلال السنوات 65 – 81م، وقد نقش قائد حاطرا نصرو- مريّا على إحدى المنحوتات، ويعتقد أنه قاد صمود حاطرا التاريخي عندما حاصرها الرومان بقيادة تراجان في العامين 116 – 117م، ومن أشهر ملوك حاطرا سنطروق الذي اضاف معبداً ضخماً في مقدمة الأواوين المنسقة في معبد المدينة الكبير، وخصصه لعبادة اللات، وتشير كتابة مؤرخة في العامين 193 – 194م، أن الملك سنطروق والملك عبد سميّا لقبا نفسيهما بـ(ملك العرب)، إذ ربما سادت حاطرا على الجماعات العربية التي سكنت أنحاء تلك المملكة.

في عام 194م سعى القائد الروماني سفيروس إلى احتلال حاطرا، إلا أنه فشل على الرغم من محاصرتها وضربها بالمنجنيق، وفي حكم شابور الأول الساساني قاد هذا الملك القوي جيشاً كبيراً لحصار حاطرا للقضاء عليها بسبب تحالفها مع الرومان، وبعد مضي سنة من الحصار الشاق،

استطاع الاستيلاء عليها بعد النفاذ من سوريها الضخمين، وقيل بخيانة من ابنة أحد ملوكها، وكان ذلك في 27 آذار من عام 241م([7]).

وهكذا انتهت المملكة التي كانت تشع على أطراف الجزيرة ومنطقة حصنا عبرايا، وقد تم نهب كنوزها وتشريد أهلها الذين تفرقوا، فذهبوا إلى تكريتا وحصنا عبرايا وأربيلا.

المبحث الخامس : مملكة حدياب (أديابين – Adiabenne)

ومملكة (سنجار Singara)

في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، نشأت في شمال شرقي العراق وفي إقليم حدياب أو اديابين إمارة أو مملكة آرامية، كانت شبه مستقلة، كما هو الحال في مملكة حاطرا في الشمال الغربي ومملكة ميشان في الجنوب، لكنها كمثيلاتها كانت تابعة للنفوذ الفارسي، وقد وجدت هذه المملكة الصغيرة نفسها بين القوتين المتصارعتين الفرثية والبيزنطية (الرومانية) لذلك اختارت سياسة وسطا بين تلك الدولتين، وكانت آلهتها رافدينية بعيدة عن الزرادشتية والوثنية الرومانية كذلك، وكانت عاصمتها أربيلا.

وقد ازدهرت مملكة حدياب في زمن الملك (مونوبازوس الأول) وقامت صلات وثيقة بين هذه المملكة ومملكة ميشان، أهمها التجارة وتبادل القوافل التي كانت تصل إلى اربيلا لتنقل من جنوب العراق بضائع هندية مثل الأقمشة والتوابل والعطور إضافة إلى اللؤلؤ الذي كان يستخرج من الخليج العربي، وقد أرسل الملك مونوبازوس الأول ابنه الأمير ايزات (الأول) إلى مملكة ميشان مع مجموعة من الهدايا الثمينة، وطلب منه المكوث للتفاهم مع رؤساء القوافل التي كانت محطتها الرئيسية مدينة فرات في مملكة ميشان.

وقد وصلت حدياب إلى أوج ازدهارها وتوسعها في عهد الملك ايزات الثالث (30-36م) حينما كانت مملكته تنعم بالاستقرار مع بعض المخاطر، عندما قبل الملك ايزات لجوء الملك الفرثي ارتيان (ارتبانوس) الثالث (11-38م) إلى أربيلا على أثر ثورة قامت ضده في قطيسفون، وقد عامله الملك ايزات معاملة طيبة كما أمده بعد ذلك بجيش استطاع بمساعدته القضاء على الثورة واستعادة عرشه، وبعد استقرار الأوضاع في قطيسفون واكتمال النصر دعا الملك الفرثي الملك الرافديني إلى العاصمة قطيسفون، ومنحه مقاطعة نصيبين كهدية له مقابل مساعدته، فضلاً عن جزء من جنوب أرمينية تعبيراً عن امتنان ورداً للجميل، فالحقهما الملك ايزات بمملكته.

ضمت مملكة حدياب مجموعات من اليهود الذين كانوا في بابل ثم انتقلوا إلى قطيسفون، ثم مدينة حزا، وكانوا في الغالب يمارسون البيع والشراء، كما برعوا في التجارة بخاصة مع مملكة ميشان التي كانت تصلها البضائع الهندية والخليجية والتدمرية([8])، في هذه الفترة اتجه ماري أحد تلامذة السيد المسيح الاثنين والسبعين، إلى بلاد ما بين النهرين كما جاء في كتاب (المجدل) نحو مدنها، بدءاً من الجنوب، فقد بشرّ بالمسيحية في ميشان (بيث هوزايي) وكشكر ثم حط في مدينة ساليق (سلوقية) عند قرية كوخي، ولم يكتف بذلك بعد تأسيس كنيسة كوخي، بل استمر في دعوته ورحل إلى حدياب([9])، وبعد ذلك عاد إلى كوخي في سلوقية ثم توفي في بلدة دير قُنّي عام 82م أو 84م على الأرجح.

ويرجح أن أول اسقف على أربيلا في مملكة حدياب كان عام 104م، وأول من رقاها إلى مقام المطرانية هو الجاثليق (فافا) وذلك سنة 300م، وكانت مدينة حصنا عبرايا (الموصل) ومدينة بانوهدارا (دهوك) أسقفيتين تابعتين لها([10])، ومنذ القرن الثاني الميلادي ترك المسيحيون الآراميون وكذلك البابليون والآشوريون اسمهم القديم وأسموا أنفسهم سرياناً أو نساطرة، تمييزاً لهم

عن الوثنيين الآراميين، وقد استحسنوا هذه التسمية لأن المسيحية وافتهم من سوريا، وان كلمة سورييا الآرامية معناها مسيحي، ولاتزال حتى اليوم مرادفة لكلمة نصراني لأي جنس أو أمة([11]).

وبعد أن توطد الحكم للإمبراطور الروماني تراجان، غادر روما متوجهاً إلى الشرق الأدنى ووصل انطاكيا عاصمة ولاية سوريا في مستهل عام 114م، ثم أعد حملة عسكرية بجيش كبير كان ينوي من خلاله استعادة فتوحات الملك الإسكندر الكبير، فتوجه إلى مملكة آرمينية وأخضعها برغم وعورة مسالكها وجعلها ولاية رومانية ثانية، وعيّن لها حاكماً من قادته، ثم سار جنوباً إلى نصيبين وماردين وكانتا تابعتين لمملكة حدياب فاستولى عليها بسهولة على الرغم من قتال قوات حاطرا (الحضر) للدفاع عن نصيبين وماردين في صفوف جيش حدياب كحلفاء لها، ثم انتقل الإمبراطور إلى الدويلة – المدينة الرها، فاضطر ملكها أبجر الثالث الذي كان مسيحياً إلى استقباله وتقديم الهدايا له، اتقاء لجيشه الجرار، وبذلك تمكن من المحافظة على عرشه، وبعد استراحة جيش تراجان في الرها، توجه تراجان أخيراً عائداً إلى أنطاكيا.

وبعد أن رتب تراجان صفوف جيشه، وعززه بقوات إضافية من مدينة انطاكيا، توجه في ربيع عام 116م إلى مملكة حدياب، فهرب ملكها وعائلته إلى همدان، وهكذا استولى تراجان على مملكة حدياب وعاصمتها أربيلا، وجعلها أيضاً ولاية تابعة لإدارته في أنطاكيا، ويبدو أنه سلك في حملته الجديدة على مملكة حاطرا يخترق جبل سنجارا (سنجار Singara) حيث وجد بالقرب من بلدة (كرسي) حجر طريق، مدون عليه اسمه باللاتينية (لغة الرومان) مع إشارة إلى حملته، وقبل أن يصل جيشه إليها، اضطر ملكها نصرو الثالث (115- 135م) أن يرحب به كما فعل الملك ابجر، وأن يقدم له من الهدايا ما يرضيه، وخصوصاً بعد استيلائه على حليفته مملكة حدياب، وبذلك اعترفت حاطرا به إمبراطوراً.

سار تراجان بعد ذلك إلى فتح عاصمة الفرثيين في العراق (قطيسفون) ففر ملكها الفرثي ولكاش (Volgash) الثاني (106-147م) تاركاً وراءه عرشه الذهبي وأفراد عائلته، ثم زحف تراجان هو في عنفوان مجده إلى جنوب العراق لإخضاع مملكة ميشان، واستطاع أن يحطم جيش الملك اتمبيلوس الخامس، ووصل إلى رأس الخليج العربي حيث أقيم له تمثال في ذكرى انتصاراته المتلاحقة.

ولم يدم هذا النصر الخاطف طويلاً، ففي السنة نفسها، أعلن العصيان كل من مملكة حاطرا والدولة – المدينة الرها التي كان يحكمها أمراء من أصول آرامية وعربية، وسمع الإمبراطور تراجان باخبار العصيان وهو يزور مدينة بابل العظيمة التي قصدها لزيارة الموضع الذي مات فيه الإسكندر الكبير، فجمع جيشه اللجب في الحال، وسار لقمع الثورات، وقاد الجيش بنفسه للقضاء على تلك العصيانات، وبدأ بمملكة حاطرا فحاصرها، وكان الوقت صيفاً فلم يحتمله جيشه الروماني، فباءت حملته تلك بالفشل، وتخلى عن حصاره وانسحب إلى انطاكيا حيث توفي في العام التالي (117م).

تعرف سنجار أو سنكارا (Singara) في التاريخ بكونها أحد مراكز طريق القوافل بين بلاد الرافدين وشمال سوريا، وكانت سنجار في القرن الأول للميلاد مركزاً لدويلة آرامية عاشت فترة قصيرة، على الأرجح بين السنوات (50-116م) وقد سكّت مملكة سنجار نقوداً باسمها في نهاية القرن الأول للميلاد، وكان لها طريقاً خاصاً بينها وبين مملكة حاطرا مما يدل على عمق صلاتها

السياسية التجارية مع تلك الدويلة، لكن سرعان ما ضُمت إلى الإمبراطورية الرومانية ومن ثم إلى المملكة الفارسية.

وبعد حملة تراجان العنيفة، ساد العراق وأقاليمه ومناطقه استقرار نسبي لفترة قاربت مئة عام، حتى مجئ أقوام فارسية أخرى هم الساسانيون الذين قضوا على الممالك الرافدينية الأربعة حدياب وحاطرا وميشان وسنجار، وذلك في الأعوام 221-226م، لكن الرافدينيين ذوي الحضارة والأصالة، ما لبثوا أن أقاموا مملكة جديدة وذلك في نهاية القرن الثالث وهي مملكة الحيرة العربية المسيحية، التي بسطت سيطرتها وتأثيرها على جنوب العراق ومدن مملكة ميشان السابقة كرخا وبرات ميشان وأبلا (الأبلة) وشمال شرقي الجزيرة العربية، وكذلك البحرين وقطرايا (قطر) حتى منتصف القرن السابع الميلادي.

الفصل الثاني

الـــعــراق خـــلال الفترة بين 50- 226م

المبحث الأول : البارثيون أو الفرثيون Parthians

يعرف هذا الشعب باسم البارثين أو الفرثيين، وهم فرع من الإيرانيين الأشكانيين، استقروا في حياتهم البدوية في الألف الأول قبل الميلاد في منطقة (بارثا) قرب خراسان، حيث شكلوا فيها إمارة محاربة تعتمد على شيوخهم من الارستقراطيين في العام (250 ق.م)، تمكن أحد رؤساء القبائل البارثية، ويدعى أرشاك من التحرر من سيطرة الحكم اليوناني – السلوقي([12]) الذي كان يحتل معظم بلدان الشرق الأدنى، وأسس السلالة الملكية الارشاكية أو الارشاقية (Arsacides)، وخلفه في الحكم (تيريدتيس) عام 247 ق.م. وكانت عاصمة ملكه في مدينة دارا، ثم انتقلت إلى مدينة (هيكاتومبيلوس) لعلها سوسا (شوشا)، في فترة فرض فيها انتيوفس الثالث سيطرته مرة أخرى على المنطقة، إلا أن توسع دولة ميترداتس الأول (نحو 171-138 ق.م) أعاد الحيوية للمملكة البارثية وعزّز نطاق سيطرته على مجمل أراضي إيران ومن ثم بلاد ما بين النهرين كلها حتى الرها، وذلك في السنوات (141- 140 ق.م) وأكمل احتلال العراق الملك فيرادس الثاني الذي حكم في الأعوام (123-88 ق.م) وفي أيام الملك فيرادس الثالث (37-57 ق.م) هاجم الحاكم الروماني ليسينوس كراسوس، البارثيين في بلاد الرافدين لكنه تاه في الصحراء بين تدمر وبصطرى (بصرى) وعاد إلى الرها، حيث هزم فيها عام (53 ق.م) وتشجع البارثيون في عهد الملك ميترادتس الثالث فاخترقوا سوريا وظهرت جيوشهم على مشارف أورشليم، وشمالاً على مشارف أنطاكيا، وحاول القائد الروماني أنطونيوس شن هجوم مباغت لردعهم لكن الهجوم فشل وانهزم القائد الروماني في (أفراسيا) جنوب الأناضول وذلك في عام (36 ق.م).

ومن ثم بدأ ضعف الحكم البارثي الذي نتج عن الاضطرابات والخلافات بين العائلات الحاكمة، بالإضافة إلى ضعف الملوك المتعاقبين على الحكم، وقد أثر ذلك إيجاباً على بلاد ما بين النهرين، فازدهرت الممالك الصغيرة الرافدينية التي كانت تحت نفوذ البارثيين وهي مملكة حدياب (اديابين) ومملكة حاطرا (الحضر) ومملكة ميشان، وتوسعت سبل التجارة بين المدن الرافدينية وتدمر وبصطرى ونشطت القوافل التي تنقل البضائع بين جميع أنحاء العراق القديم والعالم الخارجي.

كان العراق مقسماً إلى مناطق أو مرزبانات منظمة إلى حد ما، وطرق للقوافل معروفة، إذ كان قد اعتنى بها اليونانيون السلوقيون، بالإضافة إلى البريد المنظم بين المرزبانات والمدن الكبيرة مثل طيسفون([13]) وسلوقية وبابل وأربيلا وارابخا ونيبوروكيش.

وكانت سلطة الملك هي العليا منبثقة من سلطات الإله اهورا مزدا، وكان يعتبر الملك هو المختار من قبل الآلهة المحلية لشعوب الإمبراطورية، وكان الملك محاطاً بالإشراف من الفرس والميديين مع العناية الخاصة بالأسرة الملكية الارشاكية.

تتلمذ الفرس عموماً على يد الحضارات الرافدينية وثقافاتها وعلومها وصناعات أبنائها في كل الحقول، فعرفوا الصناعات اليدوية وكذلك صناعة المواد المعدنية كالسيوف والسكاكين وصهر البرونز والنحاس، واستطاع البارثيون أن يشكلوا في طراز أبنيتهم شكلاً من العمارة الفارسية وهو مزيج من الفن الفارسي مع الاستفادة من الأبنية والعمارة الاشورية التي كانت تناسبهم لكثرة وجود الحجر والمرمر في بلادهم، واقتبسوا القوس نصف الدائري الاشوري، وأضافوا إليه نقوشاً وزخارف فنية هلنستية.

وكان تأثير المصلح والفيلسوف زرادشت كبير على أفكار الفرس حتى انقضاء إمبراطوريتهم، وكان كتاب (افيستا) (Avesta) الذي دونت فيه معتقدات الاله (اهورا – مزدا) والتعاليم المقدسة، يعتبر منبع ثقافتهم الدينية، وكانت آلهة الشر تتصارع مع آلهة الخير، وهكذا فمنذ البدء كان هناك الخير والشر، وعن هذين المبدأين نشأت الحياة والفناء، وسمي اله الشر (اهريمان).

وقد نظمت العبادة الزرادشتية بموجب قواعد فقد حرمت تقديم الاضحيات والقرابين بعكس القبائل الارامية والعبرية والعربية كما اتخذ الفرس عقيدة في عدم دفن الموتى أو حرقهم، وغسلهم مخافة تدنيس العناصر الثلاث المقدسة: التراب والنار والماء([14]).

وكانت اللغة الآرامية من بين اللغات السامية التي كانت سائدة في دواوين البارثيين ومن بعدهم الساسانيين، ولما كانت الكتابة المسمارية غير عملية فيما عدا الاستعمال الكتابي، فقد استعملت الكتابة الآرامية حتى في الوثائق المكتوبة باللغة الفارسية، وكان هذا أصل الكتابة البهلوية، وكانت عادة استخدام الألفاظ الآرامية موجودة في النصوص البهلوية، وتدريجياً وخاصة في القرن الثاني الميلادي بدأت اللغة السريانية بالانتشار وهي اللغة الآرامية المحكية من قبل العامة، وأصبحت فيما بعد لغة الكنيسة المسيحية التي بدأت تنتشر في العراق وبقية المناطق في الشرق الأدنى وكانت اللغة الأدبية للمسيحيين الذين كانوا من أصول بابلية أو أشورية أو آرامية بالإضافة إلى أولئك المسيحيين الذين كانوا يقيمون في إيران وفي ميشان (الاهواز) على وجه الخصوص ومنها مدينة جنديسابور والتي دعاها السريان (بيت لافاط).

وكانت السريانية قد نمت أولاً في الرها في أواخر القرن الأول الميلادي وتبنتها الكنيسة في سوريا وفلسطين ثم في العراق وإيران بعد ذلك، ومع كل ذلك فقد بقيت اليونانية إلى جانب الآرامية متداولة في الممالك الرافدينية الثلاث وفي المدن التي بناها اليونانيون في سوريا مثل نصيبين والرها ونيكوفورم (الرقة) ودوارا – يوربس (الصالحية) وغيرها، حتى القرن الثاني الميلادي([15]).

ومن الجدير بالذكر أنه في عهد الملك ميترادات الثالث (57-37 ق.م) قامت ثورة شعبية من أهالي طيسفون من البابليين ضد الحكم البارثي الفارسي، واستطاع المقاومون أن يحرروا المدينة ويدافعوا عنها ومن ثم يستقلون بإدارتها لمدة عشر سنوات بين الأعوام (46-37 ق.م) وبالرغم من أنه ليس لدينا وثائق عن سبب ثورة هذه المدينة الكثيفة السكان، إلا أن الطغيان البارثي وسوء معاملة أهالي البلاد كان من أغلب الفرضيات السبب لانتفاضتهم، وذكر أن اليهود كانوا من ضمن المساهمين في هذه الثورة.

وخلال الفترة البارثية من العصر الفارسي – السرياني، تولى تسعة ملوك السيطرة على الإمبراطورية التي كانت بلاد الرافدين من ضمنها وكانوا يحكمونها من العاصمة طيسفون وذلك في الفترة من (50 ميلادية حتى عام 224 ق.م).

كان الملك ولكاش الثالث (148-192م) يترقب الفرصة للقيام بالهجوم على شمال وسوريا، وقد بدأ بذلك عندما اعتقد أن العرش في روما قد أصبح ضعيفاً لأنه بات مشتركاً بين إمبراطورين هما ماركوس اورلوس ولوشيوس فيروس (161-169م) والتقى الفريقان حيث وقعت معركة حاسمة انتصر فيها البارثيون وتمكنوا على أثرها من الاستيلاء على الرها ثم عبور الفرات إلى داخل سوريا.

أوفدت روما لوشيوس فيروس إلى الشرق، ووضعت تحت أمرته أبرع ما لديها من القادة العسكريين، ونزل فيروس في انطاكيا عاصمة الولاية السورية ومنها توجه بجيش كبير نحو العراق، وفي عام (146م) عبر جيشه الفرات من مكان تحت مدينة نيكوفور (الرقة)، التي أصبحت منذ ذلك العام تابعة للرومان.

ثم تقدم بجيشه إلى سلوقية فدخلها دون مقاومة، وذكر أنه أضرم فيها النار بالرغم من أنها كانت بلدة صغيرة لا حول لها ولا قوة يسكن فيها كثير من المسيحيين الأولين، غير أن هذا النصر لم يدم طويلاً، إذ تفشى في جيشه وباءً اضطره للانسحاب إلى داخل سوريا، ومع أن هذه الحرب لم تنته إلى نتيجة حاسمة، لكنها أضعفت البارثيين، إذ سلخت منهم بعض المقاطعات المهمة في شمال سوريا، وصارت المناطق الواقعة إلى الغرب من الخابور تابعة إلى روما.

يعتبر الملك ارتبان (اردوان) الخامس (208-226) من أشهر الملوك البارثيين، وفي عهده حاول الإمبراطور الروماني كاراكلا عام (211م) أن يتقدم نحو طيسفون بحجة رغبته بالزواج من إحدى الأميرات البارثيات، في محاولة لتطويق ارتبان وقتله بواسطة حرس الإمبراطور كراكلا، لكن الملك البارثي نجا من المكيدة، ولاحق الإمبراطور كراكلا بجيشه حتى وصل مدينة (كارا) شمال سوريا فطلب الرومان عقد الصلح، لكن ارتبان فرض عليهم شروطاً تعجيزية من موقف القوة، وعلى أثر ذلك وقعت بينهما معركة في منطقة نصيبين أسفرت عن طلب الرومان الصلح مرة أخرى مقابل تنازلهم عن بعض المناطق في شمال سوريا ودفع مبلغاً كبيراً للبارثيين.

وبعد الاتفاق، حلت هدنة طويلة امتدت أكثر من نصف قرن في جميع أنحاء العراق حتى هجوم اردشير الساساني الكاسح على مملكة البارثيين والقضاء عليها عام (224) ([16]).

المبحث الثاني : المسيحية

إن أول ما نقول هو أن الديانة المسيحية تؤكد أولاً على وجود إله واحد محب للإنسانية، خالق للسماء والأرض، ويمكن أن يعرف الله بصورة مؤكدة بالنور الطبيعي القائم في العقل الإنساني، أن الله روح ويجب على الذين يعبدون الله أن يعبدوه بالروح والحقيقة وأن ينبذوا الأصنام والأساطير والخرافات.

إن المسيحية دين العهد الجديد الذي اعتبر فيه يسوع (عيسى) المسيح منزل من روح الله وتجسد في مريم العذراء، ومن ثم قام بعد دعوته بتضحية نفسه لأجل الإنسانية لكي يمحو خطيئتها الأولى، وقد صعد إلى السماء من حيث أتى، وهو المسيح الذي تنبأت به أسفار العهد القديم (التوراة) مشيرة إلى ضرورة ظهوره.

ظلت المسيحية تعاني لمدة أكثر من قرن من الزمن من اضطهاد اليهود أولاً، ومن ثم من عنت واضطهاد الإمبراطورية الرومانية إلى حد كبير، وإلى قسوة واضطهاد الإمبراطورية الفارسية التي كانت تسيطر على العراق وعلى جزء من شمال سوريا، والمسيحية تؤمن بأربعة أسفار أو أناجيل مقدسة كلها متشابهة تقريباً، كتبتها تلاميذ المسيح بوحي من الله، فسجلوا بأمانة أعمال وأقوال ومعجزات يسوع المسيح وهي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا يضاف إليها سفر (أعمال الرسل). هذه الأسفار الخمسة تسمى بالعهد الجديد، أي رسالة المسيح إلى الإنسانية التي تمثل اتفاقاً أو عهداً بين الله ويسوع المسيح، كما كان العهد بين الله والنبي موسى في (العهد القديم) ([17]).

بُدئ بتدوين الأناجيل على يد تلاميذ المسيح في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، ولم تقر رسمياً من قبل الكنيسة وتنتشر بين المسيحيين حتى عام (367)، فالعهد الجديد يمثل أصولاً شرقية نابعة من تقاليد يهودية ومسيحية في فلسطين، فالإنجيل الأول سادت فيه أفكار تتعلق بـ (المسيح) و بـ (ملكوت الله) و (ابن الإنسان) التي كانت منتشرة في بداية القرن الأول الميلادي.

وبعد ذلك سادت بين أقوام من غير اليهود أفكار مثل (المخلص) و (ابن الله) و (جسد المسيح)، هذا التطور نجده موجوداً في إنجيل يوحنا (John) الذي يعود تاريخه إلى حوالي (100م) حيث عكس رؤية المسيح باعتباره معلماً ونبياً متميزاً، وكان يوحنا المريد المفضل ليسوع المسيح الذي أوصاه وهو على الصليب بأمه، والذي عاش في مدينة (افسوس) حيث كتب الإنجيل بوحي من الله، ثم كتب رؤيا يوحنا في جزيرة (باتموس) التي أضيفت إلى سفر (أعمال الرسل)، وهكذا فإن كتبة الأناجيل من تلاميذ المسيح، كانوا شاهدين أو مساعدين وثيقي الصلة بالمسيح.

أما موعظة أو خطبة الجبل فتعتبر الفكرة البارزة في إنجيل متى (Mathew) الذي يعود تاريخه إلى حوالي (90م)، أن صلب المسيح، بدا لأتباعه بأن نبياً عظيماً فتك به اليهود ظلماً و عدواناً، بينما بدا لدى اليهود وكأنه من الواجب القضاء على شخص لا يصدقونه، على الرغم من أنه كان يحمل رسالة دينية، وهم يصرخون بأن دمه عليهم وعلى أولادهم، لكن سرعان ما اقتنع تلاميذه بأنه سيبعث حياً، وكانوا ينتظرون وعد المسيح الذي سيمنحهم قوة روحية لحمل رسالته إلى أقاصي الأرض، وهكذا تم وخلال سبعة أسابيع بعد قيامة المسيح، ظهر المسيح لهم في (يوم العنصرة)،

حينما بدأت منذ ذلك الحين الدعوة إلى كنيسة المسيح، وأما رواية الدعوة، فهي موجودة في سفر (أعمال الرسل) الذي كتب حوالي (50-55م).

من المحتمل أن أكثر تلاميذ المسيح صلابة، كان القديس بولس (Paul) بل أنه أكثر المؤمنين تحمساً للدعوة، وقد أثبت أنه داعية منظم لا يعرف الكلل ولا الخوف بالرغم من الوسط الروماني المعادي في سوريا، حيث وجد أنه يستطيع بين الآراميين في مدن شمال سوريا أن ينشر الدعوة المسيحية.

واستطاع تطوير كثير من الأفكار المسيحية وأحسن تفسيرها وثبت أسسها قبل أن يستشهد معلمه القديس بطرس في روما، وكانت رسالته الأولى إلى أهالي مدينة (كورنثوسس) قد أوضحت جوانب من الأخلاقيات المسيحية وبعض تقاليد الكنيسة المسيحية وسلوكها أثناء تقديم الخدمة الكنسية للناس كما أكد على أهمية مشاركة كل المسيحيين في عشاء السيد المسيح الأخير الذي أصبح تقليداً متبعاً في الكنيسة والذي يمثل قمة التضحية والحب لله وللمسيح الذي افتدى نفسه من أجل الإنسانية([18]).

ومن كبار تلاميذ المسيح الذي وضع إنجيلاً رابعاً، القديس مرقس (Marcos) هذا الرسول الذي أدخل المسيحية إلى مصر التي انتشرت فيما بعد وأصبح كثير من سكانها المسيحيين (الأقباط) قبيل مجيء الإسلام، وبحسب التقليد القبطي، كان أول بطريرك إلى كرسي الإسكندرية عاصمة مصر الرومانية، وأن مرقس أصله وأسرته من مدينة (سيرانيكا) الرومانية قرب مدينة (برقة) الليبية، وقد انتقل والداه اليهوديان إلى القدس حيث ولد مرقس بُعيد ولادة المسيح، وقد قبل المسيحية على يد أحد أقاربه، وتعرف إلى بطرس، ثم اتصل بالمسيح الذي أصبح يعني به، وبعد صعود السيد المسيح إلى السماء كانت الجامعة المسيحية الأولى في بيته.

وفي هذا البيت هبط الروح القدس على المؤمنين والتلاميذ في يوم العنصرة (موعده بعد أحد الفصح بخمسين يوماً) هناك كلم التلاميذ بألسنة أو لغات مختلفة وبعدها ذهبوا للدعوة المسيحية في مختلف أنحاء البلاد، والتقليد المسيحي يعتبر هذا الحادث هو بداية لنشوء المجتمع المسيحي الأول من مجموعة من المسيحيين في فلسطين.

كان مرقس فصحياً باللغة اليونانية، وبها كتب إنجيله، وكان يتقن اللاتينية لغة الرومان الرسمية، فضلاً عن معرفته باللغة العبرية، وقد زار روما بصحبة القديس بطرس المسمى صخرة كنيسة المسيح، ويرى بعض المؤرخين أنه كان يقوم بالترجمة لبطرس في روما، وزار قبرص ومن ثم برقة مسقط رأسه وأسرته، ثم حمل إنجيله واتجه نحو الإسكندرية، وقد استشهد مرقس في سنة (68م) في الإسكندرية على يد الرومان.

وإذا ألقينا نظرة عامة على خريطة المشرق العربي في العهد الروماني حوالي سنة (120م)، وجدنا أن المسيحية قد ثبتت أقدامها في بعض المدن الفلسطينية وبعض المدن في شمال سوريا مثل انطاكيا وافسس والرها (اديسا) وصور وصيدا، فضلاً عن ذلك أنها نمت في نهاية القرن الثاني في سلوقية وطيسفون وأربيل وغيرها في بلاد النهرين([19]).

المبحث الثالث : نشوء المسيحية في العراق

يعتبر القديس بطرس حسب الأخبار السريانية الموثوقة، مؤسس المسيحية في الشرق، حينما استطاع هداية جمع من الناس في مدينة انطاكيا وذلك في عام (36م) تقريباً، وأول شخصية بارزة آمنت بالمسيحية آنذاك كان بولس الذي كان من أشد المناوئين للمسيحية، أعقبه أحد علماء اليونان المسمى (اغناطيوس) الذي سرعان ما ألقي القبض عليه ومات شهيداً في روما أيام الإمبراطور تراجان (98-117م) وله رسائل مشهورة تدل على وجود أسقفية مسيحية منذ بداية القرن الثاني الميلادي في انطاكيا([20]).

كان مار ادي من بين تلاميذ السيد المسيح السبعين الذي أرسل إلى بلاد بابل لهدايتها، ورحل معه تلميذه المثابر مار ماري، وكان ذلك في منتصف القرن الأول للميلاد، وقد حل مار ماري في سلوقية المبنية على دجلة التي كانت آنذاك قرية صغيرة مقابل طيسفون لكنه اصطدم بقساوة قلوب أهل ساليق – قطيسفون وكتب بذلك إلى رؤسائه، ومع ذلك طلبوا منه الصبر والمثابرة، وانحدر مار ماري إلى كشكر التي كانت مدينة تسكنها قبائل آرامية وبابلية - قلدية ارتحلت من ميشان وقد وجد مار ماري في مدينة تتحدث بالآرامية التي تنحدر منها السريانية، وسط مناسب لقبول المسيحية ولذلك اعتبرت كشكر أقدم مدينة مسيحية في بلاد الرافدين([21]).

ثم انحدر ما ماري إلى مملكة ميشان وعاد إلى ساليق حيث استطاع أن يهدي بعض من أهاليها ويؤسس أول كنيسة في العراق في قرية كوخي، ثم استقر في بلدة دورقني وبنى هناك ديراً وكنيسة حيث توفي ودفن هناك في عام (82م) وقيل في عام (116م) ([22]).

أما مار ادي فقد رحل إلى منطقة حدياب وصل في مدنها وسعى إلى نشر المسيحية في أربيل وأطرافها ، ثم غادر إلى بلاد فارس لهدايتها ، وقيل أن بواكير نشأة الديانة المسيحية فيها ظهرت في أوائل القرن الثالث للميلاد.

لم تكن قرية كوخي([23]) الواقعة جنوب شرقي سلوقية منفصلة عن المدينة القديمة إلا بوادٍ تتخلله بعض المستنقعات، وكذا الشأن مع المدينة الجديدة التي شيدها اردشير الأول نحو سنة (230م) مقابلها ودعاها (فيه – اردشير) وسميت أيضاً بهرشير أو بهرسير، وقد غيّر نهر دجلة مجراه بين سنة (79-116م)، واتخذ مجرى أخر يفصل بين كوخي وطيسفون، وكان المؤرخ اوسابيوس قد كتب قائلاً: (أن كنائس مقاطعة بين النهرين ومدنها وافقت هي أيضاً على القرار الذي اتخذته سائر الكنائس الغربية في الولاية السورية بشأن الاحتفال بعيد الفصح المجيد يوم الأحد وكان ذلك في عهد البابا فكتور (189-119م) وفي السنة العاشرة لحكم الإمبراطور كودموس (180-193م)، هذا يدل على أن الكنائس في بلاد ما بين النهرين كان لها أهمية ورأي يؤخذ به في نحو نهاية القرن الثاني الميلادي([24])، كما يدلل على توحدها الذي استمر حتى القرن الخامس الميلادي.

إن أول أسقف على أربيلا في مملكة حدياب كان عام (104م) وأول من رقاها إلى مقام المطرانية هو الجاثليق (فافا) وذلك سنة (300م)، وكانت مدينة حصنا عبرايا (الموصل) ومنطقة بانوهدارا (زاخو) أسقفيتان تابعتان لها([25]).

ويظهر أن جماعة في (كرخادبيث سلوخ) قد اهتدت إلى المسيحية في القرن الثاني الميلادي وقد قيل في أعمال شهداء النصارى كما أفادنا (ساخاو) في كتاب تاريخ أربيلا أو حوليات أربيلا (The Chronicie Of Arbella) أنه: (منذ عهد بالاش إلى السنة العشرين من حكم سابور بن اردشير، تسعين سنة في المجموع، كانت كرخا روضة مقدسة لم يكن فيها عود خبيث).

وبالاش هنا لم يكن إلا الملك البارثي ولكاش الثالث الذي حكم بين سنتي (148-191)، ولم يكن للمسيحيين أي دور سياسي أيام البارثيين ولذلك لم يكن لهم أهمية بالنسبة للفرس الذين تركوهم وشأنهم.

وبعد ذلك وضع كتاب (الآباء الغربيين) الذي أرخ في أوائل القرن الثاني، وكذلك بالنسبة إلى الإنجيل الجامع للأناجيل الأربعة المسمى الدياطسرون الذي أعده تتيانس، كان تتيانس قد ولد بالعراق سنة (120) في أحضان أسرة نبيلة تدين بالزرادشتية، وبعد أن أتم دراسته الأولية في موطنه، رحل إلى مدينة الرها حيث درس الثقافة والعلوم السريانية واليونانية، ثم سافر إلى أثنيا وبعدها استقر في روما، حيث التقى بالقديس جستين (St.Justin) الشهيد، وقد تنصر على يده ثم درس فس مدرسته.

وبعد تخرجه قرر أن يجعل من الأناجيل الأربعة إنجيلاً واحداً يضم جميع الوقائع والأعمال والأقوال التي ذكرها السيد المسيح أثناء دعوته، وقد أعده تتيانس بين الأعوام (150-170) باللغة اليونانية التي كانت لغة الثقافة والعلوم في العالم، وسمّاها بالدياطسرون أي بمعنى (إنجيل واحد من مكونات أربعة أناجيل) ثم ترجم الدياطسرون إلى الآرامية والسريانية والنسخ الباقية حالياً هي النسخة السريانية، وقد انتشر الدياطسرون بين المسيحيين في العراق، وقد أشارت المصادر العربية المسيحية، أن وجود ملخص للدياطسرون باللغة العربية في مدينة الحيرة، وقد انتشر هذا النص الموجز للدياطسرون في مناطق عديدة من الشرق بضمنها مدينتي تكريت وطيسفون ونجران المدينة المسيحية التي ضمت كنيسة كبيرة تدعى (القليس) وقيل أنها بنيت في صنعاء.

لعبت مملكة اورهاي (الرها) دوراً كبيراً في تاريخ نشأة المسيحية في سوريا إذ كانت سلالة ملوكها تعود في أصولها إلى الآراميين أو الأنباط ذوي الأصل الآرامي قد آمنوا بالمسيحية في وقت مبكر من القرن الأول الميلادي، وكانت هذه المملكة تارة تحت حكم اليونانيين وتارة أخرى تحت حكم الفرس حتى سقوطها بعد أربعة قرون.

وتميزت الفترة بين أواخر القرن الثاني والربع الأول من القرن الثالث بانتشار هادئ للمسيحية في بعض جهات إيران الجنوبية وفي معظم مدن بلاد الرافدين الرئيسية وبدون أي اضطهاد، وعندما جاء الساسانيون تم القضاء على الممالك الرافدينية الثلاث، واضطربت البلاد ولكن لم يكن هناك أي اضطهاد منظم حتى الأربعينات من القرن الرابع الميلادي على أيدي الحكام ورجال الدين الساسانيين.

وخلال الفترة الأخيرة من الحكم البارثي ظهر (ابرسيرس) اسقف هيرابوليس في سوريا الذي قام برحلة إلى ما وراء الفرات، وذكر أنه أينما يذهب كان يجد له أخوة من المسيحيين([26]).

المبحث الرابع : اليهود في العراق

منذ السبي البابلي لليهود أيام الملك نبوخذ نصر، ازداد عددهم في مدينة بابل وبعض أطراف الجزيرة وفي بلدة حازا قرب مدينة اربيلا التي كانت في القرن الأول الميلادي بلدة ذات غالبية يهودية.

وقد اشتغل اليهود العراقيون بالتجارة وبيع البضائع ومتابعة ما تجلبه القوافل من بضائع رائجة في كل عصر، وفي عهد البارثيين كثر عددهم في بلدة (ديا) قرب نهر (ديا) شمال بابل وفي مدينة سوار أو (سورا Sura) من المحتل أنها تقع قرب بلدة المدحتية في محافظة بابل، وكانت فيها مدرسة يهودية دعيت سدرا وقد اشتهرت بتعليمها المعرفة وبقيت حتى القرن السابع وكانت مرجعاً للعلوم اليهودية ويجيء بعدها مدارس نهر ديا، وبوميادتيا وماحوزا ([]).

وكان في كل من هذه المدن مدارس يهودية أما في مدينة سورا فقد أسسها الحاخام (ابا اريخا) وذلك في عام (219م) ومدرسة فوميديثا في بلدة قرب الفلوجة بنيت من قبل (يهودا بن حسقيل) حوالي سنة (285م) وكذلك مدرسة ماحوزا في مدينة ماحوزا قرب طيسفون، والتي أقامها (جوزيف بن حنانيا) حوالي (250م) ومدرسة شهلي التي بنيت من قبل (شاشت) حوالي (290م) جنوب بابل ولا ينكر أن هذه المدارس اليهودية ساهمت في تطوير القضاء الديني اليهودي والثقافة الدينية اليهودية في القرنيين الثاني والثالث الميلاديين وفي القرن السادس الميلادي شارك اليهود في طيسفون أو ماحوزا بانتفاضة ضد تسلط الفرس، لكن الفرس حطموا الانتفاضة بإجراءات لا تتسم بالعنف.

والمهم أنه منذ القرن الثاني الميلادي اشتغل جماعة من العلماء اليهود الذي يسمون (الامورايم Amoraim) بدراسة جوانب من الدين اليهودي وجمع التعاليم والطقوس التي كانت تمارس ومن كل نوع تحت اسم التلمود، والحق يقال أن اليهود في تلك الحقبة من الزمن أي بين القرن الثاني والقرن السابع الميلاديين، لم يكونوا على توافق مع المسيحيين بل بالعكس كثيراً ما كانوا يوغرون صدور الفرس على المسيحية خاصة بعد انتشارها في القرن الثالث الميلادي، وساعدوا الفرس أيام الاضطهاد الأربعيني الذي جرى في القرن الرابع الميلادي.

ويبدو أن مملكة حدياب الآرامية التي كانت ذات صلة قوية بمملكة ميشان الآرامية أو بالأحرى البابلية – الكلدانية وادعى المؤرخ الروماني اليهودي فلافيوس جويفوس (30-100م) أن مملكة حدياب وربما إحدى مدنها الرئيسة (حازا) قد تحولت إلى الديانة اليهودية لفترة قصيرة لاتتجاوز بضعة سنوات وذلك حينما تحول والد الملك ايزت (ازات Izzat) الثاني ملك دويلة حدياب في شمال العراق، إلى الدين اليهودي خلال السنوات (30-36م)، وكان الملك مونوبازوس الأول عاهل حدياب، قد أرسل ولده وهو ايزات الأول إلى مملكة ميشان حينما قابل الأمير الحديابي تاجراً يهودياً اسمه (انانياس) كانت له علاقة مع موظفي بلاط ملك ميشان فتحول إلى الدين اليهودي.

وبعد وفاته يبدو أن ابنه عزات اقتنع بالدين اليهودي، ويقول العلامة سامي سعيد الأحمد، وإذا كانت الرواية صحيحة، فإنها تصور وجود يهود في المنطقة وخاصة في طيسفون واربيل([27]) ولعل حكمهم زال بسرعة إذ لا يذكر التاريخ عنهم شيئاً، وخصوصاً وأن المسيحية سرعان ما انتشرت في طيسفون واربيل في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين، أن القديس توما أو (توماس

Thomas) قد حل في اربيل متجهاَ إلى بلاد فارس في أواخر النصف الأول من القرن الأول الميلادي حيث بشر في فارس ومن ثم في الهند أثناء حكم الملك فارس (20-40م) كما جاء في أعمال القديس توما([28]).

ولا صحة لما يشير إليه بعض المؤرخين من أن المسيحية في بلاد الرافدين نشأت في وسط يهودي، والحقيقة أنها نشأت في وسط آرامي – كلدي خاصة في مدن ساليق وكشكر ودير قنى التي كانت تخلو من اليهود، بل جاء في كتابات رجال الدين المسيحيين أن اليهود كانوا منعزلين، ويتحاشون المسيحيين وظهر ذلك واضحاً خلال الاضطهاد والأربعيني فبدلاً من حماية المسيحيين كان اليهود يوغرون صدور ساسة الفرس على كبار رجال الدين المسيحيين.

الفصل الثالث

العراق خلال الفترة الساسانية – الرافدينية

المبحث الأول : الساسانيون (Sassanids)

سلالة قومية فارسية أنشأت مملكة حول الهضبة الإيرانية ثم استولت على جميع أملاك الإمبراطورية الفرثية كالعراق وشمال سوريا والخليج العربي، عرفت بالإمبراطورية الساسانية التي استمرت بين الأعوام (224-651م) وكان اندحارها في العراق على يد المسلمين في معركة القادسية عام (637) حيث تم فتح أبواب عاصمتهم طيسفون.

أول ملوك هذه السلالة، اردشير الأول الذي كان أقوى ملوكهم وأشدهم عنفاً واندفاعاً وأكثرهم تنظيماً استطاع أن يحتل العراق بأكمله ويقضي على الممالك الرافدينية الثلاث ابتداء من ميشان (مايسين Messene) ومن ثم حدياب وأخيراً حاطرا إذ كانت هذه الممالك تتمتع باستقلال ذاتي، كما اندفع نحو اذربيجان وآرمينيا فأخضعهما كذلك، ثار اردشير على الملك البارثي ارتبان الرابع وانتصر عليه عام (224)، وكان اردشير ينحدر من أسرة أحد الكهان في برسيبوليس، وتمكن من خلال سنتين من الاستحواذ على الإمبراطورية البارثية كلها.

كانت الإمبراطورية الساسانية منظمة بصورة مركزية، وتعتنق الديانة المزدكية الزرادشتية، وقد شكلت تهديداً للرومان والبيزنطيين من بعدهم، ونازعت هاتين الإمبراطوريتين على أملاكهما في شمال سوريا، وقد كان آخرهم يزدجرد الثالث (633-651) الذي هرب بعد انكسار الجيش الساساني الذي كان يقوده القائد رستم.

وبالرغم من أن الدولة الساسانية كانت تغيراً أساسياً في السياسة والدين، إلا أن الصراع على الملك لدى الأسرة الحاكمة كانت تضعف من اندفاع وقوة تلك الدولة، كانت هنالك أربع طبقات في الدولة هي :

أولاً: طبقة رجال الدين.

ثانياً: طبقة المقاتلين رجال الحرب.

ثالثاً: طبقة كتاب الدواوين.

رابعاً: طبقة الشعب وهو الفلاحون والرعاة والتجار وأصحاب الحرف.

وكان الصراع الذي يظهر في المجتمع قائم بسبب الاضطراب والتضارب في الآراء المؤثرة على مسيرة الدولة ويتصلان مباشرة بما كان نظامي الإقطاع والسيادة المركزية المطلقة التي ورثتها الدولة الساسانية عن الدولة البارثية، وفي كل فترة يظهر أن الخلاف كان عنيفاً إبان الأزمات السياسية والعسكرية، وقد احتفظ الساسانيون بالتقسيم القديم للدولة الفارسية وبضمنها العراق الذي كان محتلاً، وقد قسمت على ايالات أو مزربانات أبرزها كرامان والتي سماها أهاليها (بيث كراماي) وإمارة اديابين التي سميت (حدياب) والاهواز في جنوب شرقي إيران ودعيت من قبل سكانها (بيث هوز أي) أما منطقة بابل وجنوب شرقها فكانت تسمى بابل وأطلق عليها أهل العراق من السريان (بيث اراماي) حيث كانت أكثر سكانها من الآراميين والبابليين الكلدانيين.

وكان رأس الخليج العربي والبحرين تابعة إلى ولاية العراق وربما كانت قطر أيضاً تابعة لها، فقد كانت تضم عدداً كبيراً من السريان تابعين في صلاتهم وكنيستهم مدينة فرات – ميشان (البصرة فيما

بعد) أما منطقة الجزيرة وشمالها فكانت تسمى بيت عرباي حيث سكن في الجزيرة وأطراف الصحراء السورية بعض القبائل العربية الذين كانوا آنذاك في معظمهم مسيحيون.

وقد عين الملك اردشير أمراء من الأسر المالكة حكاماً عليها، وسمح لإمارة الحيرة التي كانت تضم قوة عربية لا يستهان بها بالاستقلال الذاتي على أن تشرف على إيتاء الضرائب من جنوب العراق والبحرين وقطر والجزيرة العربية وخاصة اليمن، وأن تحكم باسمه. كما شكلت مملكة الحيرة حاجزاً وقائياً أو منطقة عازلة (Buffer Zone) بين الدولة الساسانية الفارسة وبين الرومان الذين كانوا يسيطرون على معظم الهلال الخصيب وكان يقاتل معهم أيضاً قبائل عربية من الغساسنة الذين كانوا يعيشون على طول الصحراء بين العراق وسوريا وعرضها.

وكانت مملكة الحيرة قد قامت في القرن الثالث وتوسعت سيطرتها تدريجياً إلى معظم جنوب العراق والأهواز وقد أقام المهاجرون العرب مدناً جديدة في جنوب العراق هي الحيرة والأنبار وشفاثة (عين التمر) وكذلك دير قنى (العزيزية) جنوب كشكر، وسكنت بعض الأقوام العربية في فرات ميشان على الرغم من أن الملك اردشير في البداية خشي من تدفق القبائل العربية من الجنوب فأمر بحفر خندق عريض أمام الحيرة لمنع تدفق الهجرة العربية إلى الشمال والشمال الشرقي للعراق ولكن بدون جدوى.

وكان للدولة نظام وزارة وكبير للوزراء يُختار من الأسر المالكة، وعادة ما يكون هذا المنصب وراثياً، وكانت الدواوين منظمة باللغتين الآرامية (السريانية) واللغة البهلوية، وهي تشمل جميع أنحاء المرزبانات في العراق، وكان كتاب الدولة يختارون من الدبلوماسيين الذين يتمتعون بثقافة واسعة ولغة عالية ويجيدون لغتين أو أكثر كالآرامية واليونانية لغتي الأقوام الموجودة في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين قبل أن تنتشر اللغة العربية.

وتقسم المرزبانات إلى استانات (مديريات) ويطلق على حاكم المدينة بـ (استندار) حيث أشارت المصادر إلى وجود حاكم في كشكر وآخر في ميسين (كرخا – ميسان) مثلاً([29]).

وقد اعتاد الفرس ومنهم الساسانيون إنشاء مستعمرات أي مدن يتجمع فيها أسرى الحرب تعزل عن أهالي البلاد، وكانوا يجلبون عادة من نتائج انتصاراتهم ضد الروم خاصة في شمال سوريا، وعندما يجلبون يختار معهم الصناع والعمال المهرة ومهندسي الجسور والمدن لكي يستفاد من قدراتهم في الصناعة والبناء وتشييد القناطر والجسور والطرق، وقد نقل سابور الأول مثلاً أسرى الروم، وكانوا معظمهم من المسيحيين لبناء مدينة سميت (كنديشابور) وسماها الأهالي جنديسابور وتقع في أقصى الأهواز وسماها السريان (بيت لافاط)، حيث أمكن للفرس أن يستعينوا بالأسرى المسيحيين في الأعمال الهندسية لإنشاء السد المشهور (سد الإمبراطور) على نهر الكارون كما ادخلوا أنواعاً جديدة من صناعة الأقمشة وخاصة الحرير، كما نشأت في جنديسابور مدرسة عالية لعلوم الطب وغيره وأصبحت من أهم المدارس في المشرق.

وقد تعاون أهالي ميسان مع الفرس في تسيير السفن التجارية التي كانت تمخر عباب البحار الشرقية كلها، وكانت من جملة ما تنقله اللؤلؤ من الخليج العربي والسجاجيد البابلية والمرجان من البحر الأحمر والأقمشة المنسوجة في نصيبين ودمشق، كان البريد مسخراً لمصالح الدولة لا مصالح الرعية، فكان غرضه الأول لضمان وصول التعليمات من كسرى أو وزيره إلى المرزبانات أو الأقاليم والمدن الساسانية([30]).

كانت الزرادشتية دين الساسانيين الرسمي، وقد أمر اردشير الأول أن تجمع النصوص القيمة للعبادات والأساطير الزرادشتية مع بقايا الافستا الاشكانية في كتاب واحد سمي بالافستا الدينية المقدسة (الدينكرد)، أما الملك شابور فقد أمر أن توضع الأفستا في جميع المعابد التي كانت تسمى (بيوت النار)، ومع ذلك فإن الموبذانات أي رؤساء رجال الدين كانوا يضيفون في الطقوس على الأفستا حتى جاء شابور الثاني فوحدّها، والجدير بالذكر أن هؤلاء الموبذانات كانوا أحياناً يأمرون بأخذ الأطفال من البيوتات التي تدين بديانات مخالفة كالمسيحية مثلاً ثم يجري تربيتهم في بيوت النار تحت إشرافهم.

كان الإله شمش إله الشمس مؤثراً في الديانة المزدية الساسانية، وأن الملك يزدجر الثاني كان يقسم بالشمس باعتباره (الاله الأعلى الذي ينير الدنيا) وإن رجال الدين النصارى في أيام الاضطهاد طولبوا بترك دينهم أو أن يظهروا عبادتهم للشمس، وفي أيام الاضطهاد الأربعيني كان الجاثليق (شمعون برصبا) قد وعده الملك شابور الثاني بالإبقاء على حياته إذ ارتضى عبادة الشمس، وتسمى عندهم مهر أو (ميثر الشيّات) وفي الحقيقة أن مثرا هو إله ونور الصبابه الذي عرّفه البابليون بشمش.

كان على الفرد أن يصلي للشمس أربع مرات في اليوم، بالإضافة إلى ذلك كان عليه أن يصلي للقمر والنار وللماء، وعليه أن يرتل الأدعية قبل النوم وحين يصحو، أما نار البيت فلا يجوز أن تخبو، وكان ذلك يكلف الإنسان الفارسي كثيراً، وكان عليه ألا يبكي على موتاه وأن لا يمشي حافي القدمين.

كان التعليم الأولي والتعليم العالي في أيدي رجال الدين الذين كانوا يختصون بجميع فروع علوم الزمان، وكانت الدراسة تشمل اللغة والآداب والديانة الزرادشتية وكتاب الفيستا وهم يوجزونها في خمسة أركان وهي (انبرت – كاش) أي مجموعة المذاهب و(بزبائين) وهي صلاة الاعتراف والتوجع، فيها يظهر تأثير الديانة المسيحية، وبهلو – بكث وبارسيك تمثل أركان ثلاثة مكملة للدين الفارسي.

أما الضرائب فكانت تفرض على الأراضي الزراعية بنسبة تبلغ بين السدس والثلث من المحصول أو الناتج، وكانت الضرائب تتفاوت من سنة إلى أخرى وحسب تصرفات جباة الضرائب، وكان عبئها الفادح يقع غالباً على الأقاليم الغربية الغنية وخاصة بلاد بابل (العراق)، وكان دخل الكمارك يشكل مورداً مهماً يفرض على البضائع الداخلة إلى بلاد فارس والعراق، وكانت التجارة تشكل ركناً اقتصادياً مهماً وكذلك التجارة البحرية خاصة عندما سيطر اردشير الأول على مملكة ميشان وأنشأ مرافئ جديدة واستطاع أن يقنع العاملين في هذا المجال من الأهالي بالعمل بصورة مشتركة وأخذت السفن الفارسية تحل محل السفن العراقية تدريجياً([31]).

المبحث الثاني : سلوقيا وطيسفون

حينما اقتحم الفرثيون حدود العراق متجهين إلى سلوقيا في حوالي (140-141) قبل الميلاد، كانت سلوقيا عاصمة بلاد الرافدين بدلاً من بابل التي كانت قد اختفى بريقها ورحل معظم سكانها إلى مدن أخرى مثل سلوقيا وطيسفون وغيرهما وكانت سلوقيا قد أنشأها سلوكس الأول نيكاتور عام (312 ق.م)، وقد استغرق بنائها أكثر من سنتين، وقد بنيت على الطراز الهلنستي حيث صممت بناية لإدارة المملكة وقصر مجاوراً لها، وساحة مدرجة وممراً ذو أعمدة مغطاة ثم طريقاً مستقيماً يقسم المدينة إلى أحياء من بينها حي للصناع والحرفيين، وجدت أثاره واضحة، وكان الإمبراطور اليوناني الحاكم اينتوخس الأول نيكاتور (280-260 ق.م) يأمل أن تصبح سلوقيا – دجلة عاصمة الولاية الشرقية التي تضم العراق وإيران وسوريا وفلسطين، فوسع أبنيتها وجعلها مركزاً للتجارة القادمة إلى العراق والذاهبة إلى إيران والخليج والصحراء السورية، ولذلك أمر سكان مدينة بابل العظيمة بالانتقال إلى سلوقيا وذلك عام (275 ق.م).

وكانت سلوقيا قد شيدت على الجانب الغربي من نهر دجلة، وتشير الدلائل الآثارية إلى إضافة مسارح إلى بعض المعابد الخاصة في سلوقيا على دجلة وكذلك مدينة دورا – يوربس ليتمكن أكبر عدد من المشاهدين من مراقبة الشعائر والمراسم الدينية والرياضية، وأن بعض المعابد كانت تقام على طراز العمارة البابلية أو الأشورية الرافدينية كما تجد في دورا – يوربس، وظلت العبادات البابلية سائدة في معظم مدن بلاد ما بين النهرين ومنها بل وكيش ونيبور وغيرها التي أخذت تتداعى أبنيتها الأكدية والبابلية.

وقد اغتنت سلوقيا بسرعة، بعد أن أصبحت تجارة العالم الشرقي تمر منها، فوضعت أول ضريبة كمركية على مرور البضائع (الترانزيت) وأصبحت مستودعاً للسلع الهندية والإيرانية والخليجية، وهكذا زحف الملك ميترداس الأول (171-138 ق.م) على العراق وسحق الجيش اليوناني الذي انسحب غرباً إلى انطاكيا، ووجد الملك الفارسي مدينة عامرة ضخمة تعج بالحياة والنشاط الاقتصادي والصناعي مثل صناعة السيوف والدروع والفؤوس وغيرها إضافة إلى العمارة الهلنستية الجميلة التي كانت سلوقيا تقدم طابعاً مختلفاً لم يألفه هذا الملك البدوي.

وفي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً أقيمت مدينة أخرى قبالة سلوقيا، أنشأها الفرثيون عاصمة لهم وسموها كتسبيا (Ctespia) وسماها اليونانيون كتيسفون (Ctesephon) وسماها أهلها من البابليين قطيسفون ومن ثم دعوها للسهولة طيسفون، وقيل أن المدينة أعيد بنائها في زمن الملك اورودس الأول في الأعوام (80-86 ق.م).

كان الحكم الفرثي قد بدأ يضعف في القرن الأول قبل الميلاد إلى درجة أن ملك مملكة ميشان الآرامية – الكلدانية في جنوب العراق وشرقي الفرات ودجلة، كان ينتظر الفرصة للاستيلاء على بابل وجنوب العراق وكانت مملكة حاطراً الآرامية – العربية قد وسعت نفوذها في منطقة الجزيرة وتحالفت مع مملكة اديابين في اربيل وما حولها.

وفي السنوات الأولى من القرن الأول ولد في بيت لحم بفلسطين يسوع (عيسى) المسيح الذي بشر بحلول مملكة الله والعصر الجديد وأكد الانتصار على الشر بالحب ومحبة الآخرين وبدأ القديسين

بطرس وبولس بتحركهما للدعوة في أرجاء العالم الروحاني وفي سنة (49) عقد في القدس مجمع لزعماء الدين الجديد.

زحف على طيسفون الرومان مرات عديدة، فقد فتحها الإمبراطور تراجان عام (116م) واستولى عليها (ماركوس اوريليوس) في عام (162 م) ثم زحف على مدينة سلوقية العامرة عبر النهر ودمرها، وأخيراً فقد استولى عليها وأحرقها الإمبراطور (اميندوس كاسيوس) عام (165 م) وحاولت الملكة زنوبيا ملكة تدمر في أيام مجدها السيطرة عليها فحاصرتها لأكثر من شهر بدون جدوى.

وفي هذه الفترة التي ضعف فيها الحكم البارثي ثار أهالي طيسفون ضد الفرس بقيادة قائد عراقي عرف باسم (در) (Dir) ونجحت ثورته في البداية واستطاع أن يحرر المدينة ويسيطر عليها كما عثر على أخت الملك سابور وجعلها أسيرة لديه، ولكن ثورته بعد حين قمعت نهائياً وليس لدينا وثائق عما حدث كما يقول العلامة سامي سعيد الأحمد([32]).

أصبحت طيسفون عاصمة الإمبراطورية الفارسية الساسانية وبضمنها العراق في عام (226 م) أو في عام (227م)، اشتهرت طيسفون بالقصر الساساني المنيف الذي سمي قصر كسرى، وسمّاه أهل الحيرة بالقصر الأبيض، ويعتقد أن بانيه هو شاهبور الثاني (ذو الاكتاف) (309-379 م)، ويعد الايوان الساساني الماثل حتى اليوم، أوسع طاق شيد من الطابوق في العالم، يبلغ ارتفاعه (37 م) وعرضه (25م)، وقد بني دون التركيز على ما هو شائع في الأبنية الفارسية التي تمتاز ببناء القواعد المثلثة المنحرفة المدعومة بقواعد من الجانبين، ومن رؤوسها بالجدران النهائية([33])، ولذلك يعتقد أن بناءه فيه تأثير حيري رافديني.

أما الإيوان العظيم فكان يمثل بلاط الملك وحجرة العرش، وعلى جنبه ايوانان صغيران، أمامهما ساحة مستطيلة، أن هندسة القصر أو جزء منه يبدو أنه من عمل معماري حيري إذ وجد ما يشابهه في قصور الحيرة التي بلغت سبعة عشر قصراً([34]).

بلغت طيسفون أوج عظمتها واتساعها في عهد انوشروان، وكانت قد بنيت معها بلدة جديدة سميت ماخوزا (Makhoze) أو ماحوزا كما سماها السريان، وقد أشير إلى العاصمة طيسفون على النقود الساسانية باسم (در) أي الباب، وكان عدد البلدات المشيدة في أنحاء طيسفون تبلغ سبعاً في العهد الأخير من الدولة الساسانية من بينها سلوقية ومقابلها (فيه – اردشير) وماحوزا واسبانبر وغيرها.

كانت طيسفون أو كما سميت أحياناً بالآرامية سوريخ (Surigh)، محصنة بسور نصف دائري عليه أبراج، إذ أن المسافة بين السور والنهر، تبلغ (580) ألف متر مربع، وهي المدينة العتيقة، كما يسميها المستشرق هرتزفيلد، وضمت كنيسة كبيرة وجد فيها عندما نقب عنها هرتزفيلد تمثالاً لأحد القديسين من الرخام والجبس المنقوش، أما شرقي طيسفون كانت بلدة اسبانبر أو اسفانبر، وهي قرب القصر الساساني الشهير (طاق كسرى) والظاهر أن هذا المكان كان غاصاً بحدائق وبساتين القصر الملكي، وهنالك سور كان حوله تماماً وكان يحيط به أرضاً واسعة خضراء يربى فيها الغزلان وبقربها معبد كبير.

إن الحدائق أو بستان كسرى تشمل بلدة أو قرية سميت في فترة بانطاكيا الجديدة أو (ويه – انيوخ – خسرو) ثم سميت أخيراً بـ (رومكان) أو بالأحرى (روم – كان) أي البلدة الرومية وهي التي أطلق عليها بعد ذلك ماحوزا التي سكن فيها أولئك الأسرى، الذين جلبهم كسرى الأول من خلال

انتصاراته على الروم، وكان الأسرى وهم في معظمهم من الرومان قد بنيت لهم الحمامات وحلبات السباق ومُنح سكانها مزايا خاصة منها حرية العقيدة المسيحية، وكانوا خاضعين للملك مباشرة، كما كان لمدينتهم حق الحماية، والظاهر أن الملك كان يستفيد من قدرات سكانها من المهندسين والصناعيين وأصحاب الحرف.

وعلى الغرب من دجلة بقايا حائط جُلب معظم آجره (طابوقه) من مدينة بابل وكان هذا الحائط يحيط بطيسفون بمسافة تبلغ (286000 م2) وكان الحائط في سور سلوقيا أيام السلوقيين وأضيف إليه مدينة (ماحوزا) التي ذكرناها([35])، وكانت طيسفون – سلوقيا قد أثرت كثيراً بفضل التجارة لأنها أصبحت مركزاً للإمبراطورية الساسانية من أطراف الهند والخليج العربي والصحراء السورية.

وكانت تضم كثيراً من السكان الأثرياء الذين كانوا يملكون مواشٍ ترعى أثناء النهار في واد مستطيل مجاور للمدينة، وكان سوق المدينة يزدهر بالبضائع المختلفة من الأقمشة وبضمنها الحرير وكذلك العطور والتوابل، ويضم السوق تجار النبيذ من اليهود والمسيحيين وتجار متجولين لشتى السلع، وكان أهلها قد عرفوا بالترف حيث ورد في إحدى النصوص أن (نسائها كانت تأكل ولا تعمل)، ومن الصناعات التي اختصت بها صناعة أكياس النقود من الجلد، ونوع من الحصر.

وكانت بلدة (فيه – اردشير) مركزاً للنصارى النسطوريين من العراق وإيران ولهم صلات بالشاهنشاه، وكان هناك قصراً خاصاً بالجاثليق الذي أصبح رئيس الكنيسة النسطورية في العراق وإيران، وكانت الكنيسة الرئيسية (الكاتدرائيه) هي كنيسة سلوقية التي خربت أيام الاضطهاد الأربعيني إبان حكم الملك سابور الثاني في القرن الخامس وأعيد بناؤها بعد موته ثم أصلحت عدة مرات، وكانت تضم مدرسة دينية أنشأت في القرن السادس.

أما صومعة (بيثون) فقد كانت في طيسفون، وقد بنى كسرى الثاني كنيسة القديس ماري مؤسس المسيحية في العراق وكنيسة القديس سرجيوس الذي استشهد في بداية القرن الرابع، ومن الجدير بالذكر أنه قد أعيد بناء رصابا الأشورية (الرصافة) وسميت سرجيو بوليس باسم سرجيوس الذي أعدم عام (307م) قبل اهتداء الرومان إلى المسيحية([36]).

وكان في بلدة (فيه اردشير) أو ماحوزا جالية يهودية كبيرة، وكان فيها مدرسة يهودية للتعليم الديني والعلمي منذ القرن الثالث الميلادي، وكان رأس الجالوت أو الحاخام رئيساً للجالية اليهودية في العراق، كما كانت توجد بلدة أخرى قرب قطيسقون تدعى بلاش – اباد (ساباط) وهي البلدة التي بناها الملك ولكاش في القرن الأول قبل الميلاد.

المبحث الثالث : مدينة جنديسابور (بيت لافاط)

تقع مدينة جنديسابور أو بالأحرى كنديشابور في جنوب غربي إيران وفي منطقة بيت هوزاي (الأهواز)، ظلت هذه المدينة بعد إقامتها في العقد السادس من المائلة الثالثة للميلاد إشعاعاً ثقافياً وعلمياً متميزاً، امتد تأثيره إلى طيسفون واربيلا وكرخ سلوخ والحيرة وكشكر في العراق، كما انتشر تأثيره حتى سوسا (العاصمة الشتوية للفرس) وكذلك اصطخر (همذان) في إيران، وفي القرن السادس للميلاد ازدهرت مدرسة جنديسابور في الطب والفلسفة والمنطق وكان معظم أساتذتها من السريان([37]).

كانت مدينة جنديسابور واسمها الصحيح كوندي – شابور أي (زينة شابور) ([]) بينما سماها أولئك الأسرى من رومان وسريان الذين قاموا ببنائها (بيت لافاط) أي (موطن الهزيمة) وهو وصف حزين لمدينة تشاد في المنفى بعيداً عن الوطن، وسميت أيضاً (به – از – انديو – شافور) أي (شافور خير من انطاكيا) ([38])، تأسست المدينة بعد هزيمة الجيش الروماني عام (261) وقدر للجيش الفارسي الذي قاده شابور الأول (260-272) أن يفتح انطاكيا أهم مركز للبيزنطيين الذين كانوا قد استولوا على سوريا والجزء الغربي من هضبة الاناضول وكذلك فلسطين ومصر وألحقوها بإمبراطوريتهم.

وبعد أن فتح مدينة انطاكيا ونهب كنوزها أخذ من أهلها كثير من الأسرى الذين اختار أن يكون بعضهم من المهندسين والمساحين والأطباء وجلبهم إلى بيت هوزاي (الأهواز) وهناك أمر ببناء مدينة باسمه وهي كوندي – شابور، وفي كونديشابور أو جنديشابور تأسست مدرسة للطب والعلوم الأخرى كالفلسفة الزرادشتية، وسمح للأسرى ببناء الكنائس فبنيت كنيستين واحدة كانت الصلاة فيها تقام باليونانية وهي لغة الرومان، والأخرى كانت تقام فيها الصلاة بالآرامية.

أما المستشرق الباحث ادوارد بروان فيؤكد ما قلناه فيذكر أن مدينة جنديسابور كانت محطاً لعدد كبير من اللاجئين اليونانيين فلقد وجد هناك كتابات يونانية على صخور مدينة اصطخر (همذان) القريبة منها ومن هذه الكتابات استدل على وجود اليونانيين حتى في الأقسام الداخلية لإيران، وبعد أربعين أو خمسين عاماً على إقامة هذه المدينة المتقدمة في ثقافاتها، أو بالأحرى في مطلع القرن الرابع للميلاد وفي حكم شابور الثاني، أصبحت المدينة مقراً للملك، حيث تم فيها إعدام الفيلسوف الذي ادعى النبوة (ماني) صاحب مذهب المانوية وحشي جلده بالقش وعلق على باب المدينة فصار يعرف بعدئذ بباب ماني.

وفي هذه المدينة أيضاً كما يبدو أقام الطبيب اليوناني (ثيودوسيوس) الذي كان قد استقدمه الملك شابور لمعالجته، ويذكر صاحب الفهرست كتباً في الطب على أنها من الكتب الفارسية التي ترجمت إلى العربية وحفظت حتى القرن العاشر للميلاد، وكان هذا الطبيب (ثيودوسيوس) نصرانياً اكتسب شهرة واسعة ولقي من التكريم في فارس حتى إن شابور أمر ببناء كنيسة له، وأطلق سراح الأسرى من بني قومه إكراماً له، وتقدمت مدرسة جنديسابور وازدهرت لعمل غير مقصود فقد جاءها في القرن الخامس للميلاد عدد من النساطرة من السريان من مدرسة الرها (اديسا) هاربين من تعسف البيزنطيين الذين كانوا يضطهدون المذهب النسطوري، فالتجأوا إلى إيران يطلبون الحماية، وفي القرن التالي استقبل الملك خسرو (كسرى) انو شروان مجموعة من فلاسفة الأفلاطونية الجديدة

وذلك بعد عام (531 م)، عندما طردوا من مدرسة الإسكندرية فحماهم وأوصلهم مكرميّن إلى جنديسابور ([39]).

كان الملك شابور، ملكاً متسامحاً وشجع قيام مدارس في ماحوزا وطيسفون وجنديسابور لدراسة الطب والفلسفة والمنطق وغيرهما، كما جاء إلى مدرسة جنديسابور ومدارس طيسفون والرها عدداً من أصحاب المذهب النسطوري خاصة بعد تحريم النسطورية في الجانب السوري في عام (431) وذلك في المجمع الكنسي في افسس شمال انطاكيا، كذلك هاجر عدد من مفكري هذا المذهب إلى العراق، وجاء اضطهاد الإمبراطور الروماني زينون عام (489) للعلماء النسطوريين وغير النسطوريين مما جعلهم يتجهون إلى المدن الفارسية ومن بينها الرها وطيسفون والحيرة وجنديشابور.

وقد أراد الملك كسرى انو شروان (531-578 م) أن تكون مدرسة جنديسابور جامعة لكل العلوم الفارسية واليونانية والسريانية والهندية، فأرسل أحد الأطباء الفرس وهو (بزذويه Burzuye) إلى الهند، وعاد ومعه لعبة الشطرنج وكتاب كليلة ودمنة وتاليف هندية في الطب إضافة إلى اصطحابه بعض الأطباء الهنود، وأمر كسرى بنقل العلوم من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفهلوية([40]).

وبذلك أصبحت مدرسة أو أكاديمية جنديسابور في القرن السادس الميلادي أكبر أكاديمية في زمانها بعد أكاديمية الإسكندرية، وأكثر تنوعاً في علومها من مدارس انطاكيا والرها ونصيبين وطيسفون كما أعطى تأسيس أو بيمار ستان بجوارها أهمية كبرى للمدرسة يعد من أوائل المستشفيات التي تأسست في العصر الوسيط ملحقاً بمدرسة طب وكان ذلك يعد إجراءاً عملياً لتطبيق مناهج الطب لأول مرة في العالم تطبيقاً علمياً وهكذا كانت بيمار ستان جنديسابور مثالاً لقيام بيمار ستانات أخرى في العصر الوسيط([41]).

وقد وصلت مدرسة جنديسابور إلى أوج عظمتها في العصر الأموي قبل أن تجذب، نمو الحضارة العربية في بغداد، معظم أطبائها وأساتذتها في الطب والصيدلة، وعلى الرغم من أن أسس الطب كانت يونانية، إلا أن الفضل الأكبر يعود إلى السريان المجدين الذين عملوا بكل مثابرة على فهمها وتطبيقها بعد ترجمتها إلى السريانية.

ويعد سرجيوس الراسعيني (ت 536 م) في الحقيقة مؤسس الطب السرياني الذي قام بنشاط كبير في مدرسة جنديسابور وقام بترجمة أكثر من عشرين مؤلفاً يونانياً إلى السريانية والعربية، ومع أن الدراسة في هذه المدرسة بدأت يونانية في أواخر القرن الثالث وأصبحت بعد قرن من الزمن يونانية – سريانية في أواخر القرن السابع سريانية – عربية بعد أن التحق بها كثير من الدارسين القادمين في الحيرة وفرات – ميشان وكشكر وظلت عامرة ربما حتى القرن العاشر الميلادي.

وصار السريان أطباء وصيادلة حاذوقون عرفوا فيما بعد في صدر الإسلام وفي الخلافة الأموية وكذلك في الخلافة العباسية حيث قدموا عصارة جهودهم العلمية لنمو العلوم الطبية العربية، حيث ألفوا وترجموا معظم الكتب الطبية التي كانت نصوصاً تدرس أو يتعلم منها الراغبين في مهنة الطب، كما أسهموا في ازدهار العلوم الطبية في أكاديمية بيت الحكمة في ذروة تطور الحضارة العربية – الإسلامية.

وكان أوائل الأطباء الذين درسوا فيها وجاء ذكرهم في المصادر العربية هو الحارث بن كلده وابنه النضر الذين ورد اسميهما في كتاب ابن سينا الموسوم (القانون) ([42])وكان الخليفة المنصور قد

استشار عام (765) ريئس أطباء بيمار ستان جنديسابور وهو جورجيوس بن بختيشوع حينما دعاه إلى بغداد وجعله طبيبه الخاص، ومنذ ذلك الحين بقيت أسرة بختيشوع طوال قرن من الزمن ذات مكانة كبرى لدى الخلفاء، ومن بين الأطباء الآخرين المشهورين في جنديسابور يوحنا بن ماسويه الذي هاجر إلى بغداد في القرن التاسع الميلادي، وجعله الخليفة المأمون مشرفاً على بيت الحكمة بعد أن التقى به وعرف علمه ومؤلفاته والذي توفي ببغداد عام (857م).

المبحث الرابع : انتشار المسيحية في العراق

في (28 نيسان سنة 224م) أطاح اردشير الأول بالحكم البارثي الأرشاقي، وأسس السلالة الساسانية التي ضمت إيران والعراق وشمال سوريا أكثر من أربعة قرون، وخلال القرن الثالث والربع الأول من القرن الرابع انتشرت المسيحية في العراق وإيران، وخاصة في مرزبانة بيت هوازي (الأهواز).

وتغلغل المسيحيون في مختلف ميادين الحياة الرافدينية وخاصة في المجالات الاقتصادية والتجارية، وكانت الدولة الساسانية كما أسلفنا آمنت بالزرداشتية، وظلت بعيدة عن نشاطات المسيحيين في سلوقية – طيسفون واربيلا وكرخ سلوخ والحيرة وكشكر وغيرها، وكذلك نجد الملك اردشير (226-241) الذي كان يعبد الاله (مزدا) وتظهر علامات النار المقدسة على نقوده، يحترم كنيسة كوخي وقد ضمها إلى المدينة الجديدة التي شيدها مقابل طيسفون وسماها (فيه – اردشير).

أما شابور الأول (241-272) فقد بدأ عهده متسامحاً تجاه الديانة المسيحية، ولكن لم يصدر قط مرسوماً يقضي بشرعية هذه الديانة في مملكته، وكان يعطف عليهم عموماً على الرغم من تعسف الفئة الدينية الزرادشتية التي كان نفوذها في تصاعد بزعامة الموبين (كرتير) رئيس الطائفة الزرادشتية في البلاد، ولم يتورع شابو من قتل إحدى زوجاته المسماة (اسطاسا)لاهتدائها إلى الديانة المسيحية، وبعد ذلك حينما شعر بأن زوجته شيرين أو شيران، وهي أخته أيضاً، تميل إلى المسيحية تحت تأثير أحد الرهبان الذي حررها من مس أصابها، فنفاها الملك إلى منطقة (مرو) ثم ما لبث أن زوّجها إلى شخص آخر، لكنها هناك في مرو أخذت تساعد على نشر المسيحية، وأقامت كنيسة في مرو لأول مرة، بموآزرة الراهب (برشبا) الذي كان قد شفاها، والذي أقيم بعد ذلك مطراناً لهذه المقاطعة الإيرانية.

وقد ساهمت سياسة شابور في قيامه بسبي أهالي – انطاكيا وغيرها من المدن التابعة إلى الرومان، في ازدياد ونمو المسيحية في البلاد، وكان من السبايا (ديمتريانس) مطران انطاكيا نفسه الذي نفي إلى كونديشابور، وكان شابور قد أمر بإقامة مدينة ماحوزا بجانب طيسفون لسباياه من سوريا الذين أخذوا يتغلغلون في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية خاصة في منطقة بيث كرماي حيث كثرت الأديرة والكنائس.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة الأب البير أبونا أورد جانباً مما خط في عهد ذلك الملك على نقش رستم (نقش روسطم) الذي يسجل انتصاراته: (أننا استولينا على كل الناس، واتينا بهم سبايا، وأسكناهم في مملكتنا إيران وفارس وفرثيا وهوزستان واشور ستان (منطقة بابل ونينوى) وفي جميع البلدان الأخرى) ([43])، وقد أسكن الفرس سباياهم في مدن جديدة مثل ماحوزا في طيسفون وكونديشابور وكرخ ليدان، ومن بين سبايا شابور، جاءت قوافل كبيرة إلى سنجارا وبيث زبدي والحيرة وغيرها.

وقد لقي شابور الهزيمة على يد عدو صغير الشأن، فقد استخف بملك تدمر (اذينة) في الدولة – المدينة التي نشأت في قلب الصحراء السورية، وكانت مركزاً مهماً للتجارة بين الشرق والغرب، ففي أثناء عودته إلى طيسفون، بعد إلحاق الهزيمة بالجيش الروماني، وبعد أسر قائده (ثاليرين)،

جمع اذينة جيشاَ، وأضاف إليه وحدات من الفرق الرومانية المتراجعة، ثم هاجم مؤخرة الجيش الساساني، فالحق بها هزيمة نكراء، اضطر بعدها اردشير أن يهرب من عاصمته، ولحقه الجيش التدمري، وحاصر اذينة العاصمة طيسفون، وفتحها واستولى عليها فيما هرب شابور تاركاً أسرته في الأسر لدى جيش اذينه، وقد سجل الملك اذنية هذا الانتصار على نقوده التي سكّها فيما بعد، وسمّي نفسه ملك الملوك وهو لقب ملوك الفرس.

استمر الساسانيون يحاربون تدمر حتى سنة (265) حينما قتل اذينة وخلفته أرملته زنوبيا التي خسرت مملكتها في حربها غير المتكافئة ضد القائد الروماني اكستوس عام (378م)، وكانت تدمر مملكة مشابهة في نشاطها وعمارتها بمملكة حاطرا الرافدينية([44]).

وفي نفس الفترة بدأت هجرة القبائل العربية إلى جنوب العراق، وكان أولهم التنوخيون بقيادة مالك بن فهم الذين حطوا في موضع الحيرة، فأقاموا لهم بلدة في منتصف القرن الثالث الميلادي، حيث أصبحت الحيرة مملكة في عهد جذيمة الأبرش، تحت الوصاية الساسانية، ثم أضحت مملكة الحيرة للسلالة اللخمية (268-632 م) وكان من بينها العباديون الذين كانوا في معظمهم موحدون يعبدون الله وكثيراً منهم أصبحوا مسيحين.

وساد نفوذ مملكة الحيرة على قسم كبير من العرب الذين كانوا في الخليج العربي وشرقي الجزيرة العربية واليمن والبحرين، وأهم القبائل التي هاجرت إلى العراق كانت كلب ومذحج وطي، أما قبيلتي إياد وتغلب فقد هاجرتا إلى أطراف الصحراء السورية، وسموا بعد ذلك بالغساسنة الذين انتشرت بينهم المسيحية أيضاً، خاصة بعد اهتداء روما بالمسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادي وأصبحت مدينة سرجيو بوليس (رصافة) إحدى المدن الرئيسة في استقرارهم في شمال سوريا وشيد الأمير جبلة فيها كنيسة على قبر الشهيد سرجيوس وأعاد تعميرها ابنه.

أما في عهد هرمز الأول (272-273) فلم يلق المسيحيون خلال حكمه القصير تعسفاً أو اضطهاداً، إلا أن المجوسي (كرتير) كان قد بدأ يلاحق المسيحيون وكذلك المانويين([45])، الذي رأى فيهم خطراً جديداً آخر يهدد الديانة الزرادشتية، ولذلك بدأ في اضطهادهم في عهد بهرام الأول (273-276).

أما بالنسبة إلى الأمير بهرام الثاني الذي جاء بعده، فقد كان قد أشرف على تربيته في الحيرة، أساتذة علموه الثقافة والتقاليد العربية ولقيت هذه التربية تجاوباً حسناً مع عرب الحيرة عندما اعتلى العرش (276-293) فكان متفهماً ومسالماً للمسيحية حتى انه استطلع بعض الاساقفة عن معتقداتهم وكانت إحدى زوجاته رومانية مسيحية، إلا أنه بعد مضي عشر سنوات من حكمه، تغير نظرته إلى المسيحيين بتأثير الموبذان (كرتير) الذي حصل منه على مرسوم يقضي باعتبار الدين المسيحي مناوئاً للديانة الزرادشتية.

وهكذا شمل الاضطهاد زوجته (قنديرة) كما تم هدم عدد من الكنائس، ولكن هذا الاضطهاد كان تأثيره سطحياً واستمر لفترة قصيرة، وفي عهد الملك (نرسي) أو نرساي، سمح للمسيحيين بإعادة بناء كنائسهم وأقاموا شعائرهم الدينية، أما هرمزد الثاني (303-309) فقد استأنف اضطهاد المانويين تحت تأثير رجال الدين المجوس، أما المسيحين تحت حكم الفرس فقد عاشوا في أمان، وبعضهم كانت جماعات يرأسها أساقفة وتربطها بعض العلاقات بانطاكيا التي كانت لا تزال حتى عام (313م) معادية للمسيحيين الموجودين في سوريا وفلسطين وروما فكانوا حين إلقاء القبض

عليهم في أنحاء من الإمبراطورية الرومانية في زمن الإمبراطور دقليديا نوس (284-305 م) يلقى بهم في مواجهة الأسود لتمزيقهم وهم يتفرجون عليهم في الملاعب الرياضية بحضور الإمبراطور وعلية القوم.

وفي هذه الفترة، رفض أحد الضباط الرومان الذي اهتدى إلى المسيحية، مقاتلة المسيحيين العزل وأعلن نفسه مسيحياً ويدعى سرجيوس، ونظراً لكونه من أحد الأسر القريبة للإمبراطور الروماني، فقد جرت محاولة لإقناعه بالعدول عن المسيحية والعودة لعبادة الأوثان، وحينما رفض تم قطع رأسه بالسيف في مدينة رصابا (Rassapa) (رصافة) التي كان قد شيدها الأشوريون عام (830 قبل الميلاد)، فما كان من المسيحيين العرب أن دفنوه وشيد ملك الغساسنة جبلة كنيسة على مثواه، وقد جرى ذلك بصورة خاصة اضطهاداً حشياً في عهد دقلديا نوس (284-305) وصار عهدة يضرب بالمثل عند المسيحيين الذين اعتبروه (عهد دقيانوس) عهداً أسوداً.

وبعد بضعة سنوات اهتدت روما للمسيحية، فقررت تسمية مدينة رصابا – بـ (سرجيويوليس) باسم الشهيد سرجيوس، ونعتقد أن اسم سرجيوس انتشر بين المسيحيين في سوريا والعراق وفلسطين، وقد بنيت عدة كنائس وأديرة باسمه، وقد تغير ا سمه وتصحف إلى كوركيس وكيوركيس وجورجيوس وأحياناً أخرى إلى سرجيس وجرجيس.

وقد انتقلت قصة حياته من المشرق إلى الغرب، إلى بريطانيا حيث جرى تسميته جورج واعتبر القديس جورج شفيعاً لبريطانيا كما مثل في الصور واللوحات منذ ذلك الحين كفارس شجاع يمثل الخير، يقوم بقتل التنين المتوحش الذي يرمز إلى الشيطان وذلك بغرس رمح حاد في حلق التنين، وقد أعيدت هذه الرواية في قصة حياة القديس بهنام الذي استشهد في زمن متأخر عن سرجيوس في العراق على يد الفرس، عاش المسيحيون حتى القرن الرابع جماعات يرأسها أساقفة وتربطها بعض العلاقات بانطاكيا، أما ارتباطهم ببعضهم فلم يكن على صعيد الرئاسة للكنيسة.

ومهما قيل عن الدور الذي لعبته كنيسة سلوقية – طيسفون بصفتها الكرسي الذي أسسه البشر الأول مارماري، فإن هذه العلاقات الطيبة، كانت على صعيد وحدة العقيدة، وكانت كلاً من هذه الجماعات المسيحية تتمتع باستقلال يكاد يكون كاملاً بين انطاكيا وطيسفون، وأصبح أسقف سلوقيا المسؤول الأول والأعلى لبقية أساقفة العراق وإيران، وسمي بالجاثليق وهو اسم يطلق مدنياً على جابي الضرائب في المناطق الرومانية ومعناه (العام) أو (الشامل).

وقبل أن تهتدي روما بالمسيحية، منحت حقوق الكرسي البطريركي لكل المسيحيين في الشرق إلى كنيسة كوخي، وخاصة في عهد الأسقف (شلحونا) (200-240 م) الذي خلف (احاد – ابويه) في إدارة كرسي المشرق، إلا فترة قصيرة وسرعان ما أصبح مستقلاً كرسي المشرق (العراق وإيران) وكرسي انطاكيا، وأراد الجاثليق (فافا) أن يوحد بزعامته الفريقين، لكنه لقي معارضة عنيفة من بقية الأساقفة في انطاكيا.

حينما اهتدى الإمبراطور قسطنطين الروماني إلى المسيحية في (13 حزيران من عام 313)، تنبه الساسانيون خاصة عندما أعلى تبني دولة روما للعقيدة المسيحية وأعلن أن يوم الأحد يوم قيامة السيد المسيح يوم عطلة رسمية في أنحاء الإمبراطورية وأمر الإمبراطور باستبعاد الأوثان وعبادة الرب الواحد الذي ملكوته في السماء وكان ذلك عام (321م) فأوقع ذلك الحدث هزة في الإمبراطورية الساسانية، وصار الفرس يخشون تأثير المسيحية على المجتمع والاقتصاد الساساني

ونظر إلى المسيحيين بريبة ووصلت أخبار انتشار المسيحية الواسع في سوريا بعد أن كان الرومان قد مارسوا اضطهاداً مستمراً عليهم مما أدى إلى تحجيم المسيحية في الرها ونصيبين واف بعكس المدن العراقية والخليج وجنوب إيران حيث انتشرت المسيحية خلال القرن الثالث وحتى الربع الأول من القرن الرابع، وكانت النتيجة بعد عقدين من الزمن أن بدأت حملة تنظيمية لاضطهاد المسيحية وقتل المسيحيين ابتداءاً من رؤوسائهم الدينيين، باعتبار أنهم يميلون إلى قيصر روما بالرغم من أن ذلك كان بعيداً عن الحقيقة.

وقد دام هذا الاضطهاد أربعين عاماً بين ألأعوام (339-379) وقد أودى بحياة عشرات الآلاف من المسيحيين، حيث أمرت القوات الساسانية في العراق وإيران بتهديم الكنائس وطلبت من المسيحيين أن يعتنقوا ديانة (ملك الدولة) وجلب الأسقف شمعون برصباي أسقف البلاد وطلب منه أن يسجد للشمس وعندما رفض هذا الأسقف تم إعدامه مع خمسة أساقفة آخرين ومئة قسيس.

وكذلك أعدم خلفاء شمعون وهما برصباي وشاه دوست، وهكذا ظل هذا الاطضهاد يزداد عنفاً ونتيجة لذلك استشهد أكثر من ستة عشر ألف سرياني، ولم يتبدل الأمر، إلا بعد أن وصل يزدجر إلى السلطة (339-420) حيث تغير المعاملة للمسيحين ويعزي ذلك إلى أمرين هما:

أولهما: اجتماع رؤساء المسيحيين في العراق وإيران في (مركبتا طيابا)ومن هناك أصدروا بياناً عاماً يبينون فيه انفصالهم عن الكنيسة الغربية الانطاكية.

وثانيهما: الامتنان الذي قدمه الملك الطبيب والأسقف في منطقة (ميافارقين) لقاء علاجه للملك من مرض في رأسه([46]).

وهكذا انقسمت المسيحية إلى قسمين النساطرة في العراق وفارس واليقاقتة في سوريا وفلسطين، في الحقيقة أنه عندما اهتدت الإمبراطورية الرومانية للمسيحية، لم تفكر في دعم المسيحية في المشرق، وبدلاً من أن يكون الأباطرة نصيراً للمسيحية، فقد اختلط الشعور الديني لديهم بالطموح السياسي وسرعان ما انتقل مفهوم المملكة الأرضية إلى ملكوت السموات، وتدخل الأباطرة في شؤون الكنيسة في اختيار كبار الأساقفة والتشريع بغية السيطرة على الممتلكات، وظهر نوع من الأساقفة الأمراء الذين وجهوا اهتمامهم لخدمة الأباطرة والدولة بدلاً من خدمة الشعب المسيحي الذي كان جله فقيراً وفي حالة بائسة([47]).

وقد خلق ميل الأباطرة إلى الاتجاه اللاهوتي، وتارة إلى الاتجاه الكنسي الواقعي، إن عقدت مجامع عدة خلقت بلبلة بين المسيحيين مثل مجمع افسس سنة (431) ومجمع خلقدنية سنة (451)، كما تأثر المسيحيون بالفلسفة اليونانية وأفكارها كالفيثاغورسية، متصورين أن الروح في الجسد غريبة، لذا عليها أن تلتمس التحرر من خلال القيام بأعمال الخير والبر والصلاح فمال كثير من المسيحيين إلى التقشف والإنعزال.

وكذلك بالنسبة إلى التأثر بالرواقية التي قدمت المعرفة من خلال الروح التي لا تفنى بأغلال الجسد بل ترتقي إلى السماء وهي فكرة روحية أيضاً، لكن الأفلاطونية الجديدة كانت أفضل الفلسفات التي التقت مع المسيحية، أي القناعة بالقليل والتجرد والواضع وضبط الحواس التي لقيت ترحيباً لدى المسيحيين شرقاً وغرباً.

وخلال هذه الفترة الهامة من تاريخ السريانية، وقعت عدة أحداث تاريخية هامة:

أولاً: اهتداء الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية عام (313) وتوقف إلى حين الصراع المميت بين المسيحية والوثنية وتمكن السريان من العيش بسلام.

ثانياً: ارتداد الإمبراطور يوليانوس عن المسيحية نحو سنة (361)، فألغى مرسوم التسامح الديني وصادر أملاك الكنيسة، ومنع المسيحيين من التعليم في المدارس، وأغلق مدرسة الإسكندرية (المسيحية) التي أسسها الفيلسوف كليمنت بعد أن آمن بالمسيحية في الربع الثالث من القرن الثالث الميلادي، ولكن على رغم من إجراءات يولويانس تمكن السريان من مواصلة ثقافتهم الروحية والأدبية.

ثالثاً: نقل قسطنطين العاصمة في مدينة بيزنطة إلى مدينة القسطنطنية، التي اكتمل بناؤها في سنة (339).

رابعاً: اعتراف الدولة الرومانية سنة (389) بالديانة المسيحية كدين رسمي للدولة، وقد تم في عهد الإمبراطور تيمودوسيوس الكبير، وكان عهده عهد تعمير وسلام، وكان إغلاق مدرسة أثينا والمدارس الأخرى الوثنية بداية لظهور مدارس مسيحية في الشرق والغرب.

خامساً: نشوب الصراع المذهبي بين السريان في العراق وسوريا الذي وصل قمته في مجمع حلقيدونية ديوسقورس سنة (451م) حين حرم المجمع المطران ديوسقورس كبير أساقفة الكنيسة القبطية في مصر لدفاعه عن مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفستيه)، ويعتبر مجمع خلقيدنيا بمثابة نقطة التحول في العلاقات بين الكنيسة البيزنطية والكنيسة القبطية وتدريجا فضّل الأقباط الانفصال عن الكنيسة البيزنطية أو الكنيسة السريانية، واهتموا بتنمية اللغة القبطية التي أصبح لها السيادة في مصر منذ سنة (451م)، وظلت اللغة القبطية لغة الغالبية من المصريين إلى جانب اللغة اليونانية حتى مجيء الإسلام عام (640م) كما يقول المستشرق ماسينيون وغيره م مؤرخي الفترة القبطية – الرومانية([48]).

وكانت مدرسة الإسكندرية مركزاً ثقافياً عالمياً مرموقاً تدعمها مكتبة كبيرة ضخمة، وكانت الإسكندرية موطن الثقافة اليونانية – الرومانية، وتأثرت الكنيسة بهذه المدرسة من حيث أنها بدأت تفكر اعتماداً على الفلسفة والمنطق، ولكن تركيزها على العلوم اليونانية جعلها حبيسة الفكر الأفلاطوني اليوناني، واتخذت مدرسة الإسكندرية خطاً تنازلياً أي انطلقت من الله إلى الإنسان باتجاه إنجيل يوحنا الذي كان أقرب الأناجيل إلى العقول المسيحية أي (الكلمة صار جسداً وحل فينا) ودعت المدرسة إلى حياة روحية مثالية.

أما مدرسة انطاكيا، فقد كانت تعد المركز الثقافي الثاني للحضارة اليونانية – الرومانية المسيحية، وكانت أكثر واقعية، واتخذت اتجاهاً تصاعدياً أي من الإنسان إلى الله، اعتماداً على الأناجيل أي الاله الإنسان أولاً ثم صعوداً إلى الإنسان الاله.

أما مدرسة الرها فقد كانت أنشط المدارس في نقل الآداب والتراث اليوناني إلى السريانية ويرجح أنه قد ترجم العهد الجديد فيها إلى السريانية، وقد برز فيها علماء بوقت مبكر أمثال تتيانس (170م) وبرديصان (222 م) لكن مدرسة الرها لم تتضج إلا عندما تولاها العلامة مارافرام السرياني عام (363) وبعدها أوجد لها مجلساً إدارياً وتنظيمياً يشبه تنظيم مدرسة الإسكندرية.

وعندما زادت فيها الجدالات والمناقشات الفلسفية اللاهوتية، أمر القيصر (زينون) بغلقها عام (489م) فانتقل مدرسوها وطلابها إلى نصيبين المدينة الأخيرة للسيطرة الفارسية في غرب الإمبراطورية الفارسية أي في شمال سوريا، وكانت الدراسة فيها مجانية وتستغرق ثلاث سنوات تدرس فيها عدا الموضوعات الدينية، علوم الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء، فهي أشبه بكلية سبقت المدرسة النظامية في بغداد بسبعمائة عام تقريباً، وقد تخرج من مدرسة الرها معظم رجال الدين والمثقفين في العراق ما عدا الأطباء والصيادلة الذين تخرجوا من مدرسة جنيسابور أول وأعظم مدرسة للطب والصيدلة في العصر الفارسي – الرافديني ربما حتى إنشاء بيت الحكمة في مستهل القرن التاسع الميلادي.

والخلاصة أن المسيحية نشأت في العراق منذ أواخر القرن الأول للميلاد في سلوقية – طيسفون، وتأسست هناك رئاسة للمسيحيين في القرن الثالث على عهد الأسقف (بابا – بار عجاي) تضم العراق وإيران وكانت تتمتع باستقلال ذاتي حتى منتصف القرن الرابع عندما اهتدت الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية وتعززت المسيحية في سوريا وفلسطين ومصر.

وفي مفتتح القرن الخامس للميلاد، انقسم المسيحيون إلى طائفتين رئيسيتين هما:

1. النساطرة: في العراق وإيران 2. واليعاقبة: في سوريا لبنان وفلسطين.

وكان المسيحيون في إقليم بيت هوزاي أي الأحواز قد حصلوا على نوع من الاستقلال في الأمور الدينية قبل أن يلتحقوا جميعهم تحت سلطة الجاثليق النسطوري في طيفون، وقد تطورت المسيحية إلى مسيحية نسطورية على الرغم من أن بعضهم لا يهمه الفرق بين النساطرة واليعاقبة وانتشروا في مدن الحيرة وكشكر وكرخ بيث سلوخ ودور قنى وساليت وطيسفون.

وكانت بلاد ما بين النهرين، وخاصة الأجزاء الشمالية منها منطقة تميزت بالصدام بين تلكما المذهبين، وكان معنى ذلك تصميم المسيحيون في العراق على التحرر من التأثيرات اليونانية والرومانية، كما يؤشر أن الهلينية لم تمس سوى سطح حياة أهالي ما بين النهرين و قد ظل المسيحيون النساطرة من أصل آشوري وكلداني متمسكين بلغتهم السريانية ، وكانوا يتركزون في مدن شمال العراق على وجه الخصوص.

الفصل الرابع

هجرة العرب الثانية إلى بلاد ما بين النهرين

المبحث الأول: الحيرة - المملكة العربية المسيحية -

الحيرة مدنية عربية قديمة تقع حالياً جنوب مدينة الكوفة، أجريت فيها بعض التنقيبات عام (1967) لمعرفة شكل المدينة وطراز أبنيتها وقصورها خصوصاً الخورنق والسدير، وكشفت التنقيبات من الطبقات الأولية عن بقايا بيوت مبنية باللبن (الطين المجفف) وديراً كبيراً يعتقد أنه دير هند وبقايا المدينة أصبحت اليوم قرية صغيرة تضم بعض السكان وكنيسة قديمة وديراً آيلا للسقوط.

كانت بداية الحيرة في منتصف القرن الثالث الميلادي، حينما هاجرت بعض القبائل العربية مثل قبائل تنوخ وطي ولخم وكلب إلى العراق، وكانت أكبر القبائل من ال تنوخ، وشكلت هذه القبائل مع بعضها تحالفاً، وجدت الفرصة سانحة للتوغل إلى جنوب ووسط العراق دون أن يعترضهم الحكم الفارسي الذي كان سائداً على أرض العراق وذلك بسبب ما كانت تعانية المملكة الارشاكية (Arsacid) الفارسية من فوضى.

وقد أقامت هذه القبائل لها قرى زراعية متعددة غربي الفرات، وفيما بين السنوات (226-241م) جاء استقرار تلك القبائل على ثلاث مجموعات:

1. التنوخيون (الذين يسمون أحياناً بني لخم) استقروا غربي الفرات بين الحيرة و(الأنبار) في خيام مصنوعة من وبر الجمال.

2. التنوخيون الذين سموا فيما بعد بـ (العباد) الذين استقروا في الحيرة، يضاف إليهم بعض القبائل الكلدية التي كانت تسكن تلك المنطقة نفسها بعد سقوط بابل([49]).

3. الأحلاف الذين لا ينتمون إلى أي من القبائل الأولى أو الثانية ولكنهم تبعوا القوم الذين سكنوا الحيرة، واستقروا حولها في خيام قرب نهر الفرات.

كان القوم الذين أقاموا لهم بيوتاً في الحيرة أي العباد، قد نظموا حياتهم أكثر من القبائل الأخرى، ودعاهم المؤرخ هشام الكلبي (ت 820) بالعباد، أي الذين يعبدون الله ويبدو أن معظم كانوا موحدين أي أحناف مما سهل بعد ذلك انتشار المسيحية واللغة السريانية بين ظهرانيهم([50]). وذلك بتأثير صلاتهم مع السريان الآراميين من الغساسنة أو بتأثير القبائل الكلدية التي كانت تنتشر فيها المسيحية ولغتها هي السريانية أيضاً.

والحيرة اسم اشتق من السريانية (حيرتا) أي المعسكر، كان سكانها الذين استقروا فيها على ثلاث أصناف، فمنهم من يعبدون الله أي من الموحدين ومنهم نصارى، وأخيراً أولئك الذين عاشوا في أطراف مدينة الحيرة وكانوا لا يزالون يعبدون الأصنام، وهم الغالبية، وكان ملوك الحيرة إجمالاً موحدين أو مسيحيين ما عدا ثلاثة منهم أشهرهم منذر – الثالث الملقب بماء السماء، كان ملوك الحيرة تحت نفوذ الفرس يستخدمون فرسانهم لقتال البيزنطيين (الروم) أو القبائل الآرامية والعربية من الغساسنة والساكنة على حدود العراق والصحراء السورية خاصة في بصطرى (بصرى) وبطرا (بترا) وسرجيوبوليس (رصافا).

أما الحيرة فكانت خليط من العرب والكلدانيين وغيرهم، ورد في كتاب الأغاني (ج:12،15،16) حول الأنباط في الحيرة ذاكراً أن الحيرة لم تخل من النبط، حيث سأل خالد بن الوليد عندما فتح

الحيرة صلحاً مع المسيحيين، كبير القوم عبد المسيح بن بقلة، أعرب أنتم أم نبط؟ فأجابه عبد المسيح: أننا عرب استنبطنا، ونبط استعربنا.

وقد أطلق المؤرخون العرب هذا الاسم (نبط العراق) على بقايا البابليين والآشوريين والآراميين في العراق والذي كانوا آنذاك يتكلمون الآرامية والسريانية، وكان الساسانيون قد أطلقوا على جنوب العراق (سورستان) أي بلاد السريان.

أن توحد أهل الحيرة وانتشار القراءة والكتابة بينهم، وتعلمهم إلى لغتين أو أكثر العربية والسريانية والفارسية، جعل الحيرة تدريجياً مركز إشعاع لنوع من الثقافة والمعرفة والشعر في العراق، ظل تأثيره كبيراً على الجزيرة العربية حتى الفتح الإسلامي (637م) وقد جذبت الحيرة إليها بعض الشعراء المتميزين أمثال النابغة الذبياني وعبيد بين الأبرص حيث سكناهما الدائم في الحيرة، وكذلك الشاعر الأسود بن يعفر الذي امتدح الملك النعمان الأول بقوله:

وإذا اؤل بعد آل محرق

تركوا منازلهم بعد اياد

أهل الخورنق والسدير مبارق

والقصر دي الشرفات من سنداد

نزلوا بانقرة يسيل عليهم

ماء الفرات يجيء من اطواد

أرض يخيلها مقليها

كعب بن ماقة وابن أم زواد

جرت الرياح على محل ديارهم

فكأنهم كانوا على ميعاد

ولقد عنوا فيها بأنعم عيشة

في كل ملك ثابت الاوتاد

فإذا النعيم وكل ما يلهي به

يوماً يصير إلى بلى ونفاذ ([51])

لقد غطى ملوك الحيرة مساحة من الزمن بلغت حتى القرن السابع (522 عاماً) تقريباً حتى زوال مجدهم بمقتل ملكهم الأخير النعمان الثالث. يعد عمر بن عدي بن نصر بن ربيعة بن لخم، أول ملك تولى على التنوخيين الذين كانوا في البداية تابعين إلى أول مملكة عربية في العراق تولاها جذيمة بن مالك الابرشي أو الأبرص، التي كان مركزها مدينة (المضيرة) قرب الأنبار.

هجمت على إمارته ملكة تدمر، وكان عمرو ابن أخته قد عزم على الانتقام، واستطاع بحيلة من قتل الزباء، فحمل محل عمه جذيمة الذي فضل أن يتخذ من الحيرة مقراً له، وهو الذي عاصر سابور الأول ملك الفرس، والزباء هي التسمية العربية للملكة زنوبيا في المصادر اليونانية والسريانية، لكن

المؤرخين الرومان يؤكدون أنها لم تمت قتلاً على يد عمرو بل أخذها إمبراطور الرومان أسيرة إلى بلاده، وعلى أي حال فإن عمرو أول الملوك التنوخيين والعباد في الحيرة (268-288).

لا تسعفنا المصادر الأولية عمن خلف أول ملك للحيرة حتى مجيء النعمان بن امرؤ القيس أو النعمان الأول الملقب بالأعور، حيث تقع فترة حكمه في الربع الأول من القرن الخامس الميلادي. والنعمان الأول من أبرز ملوك الحيرة، شيد قصور عدة من بينها البارق والسدير ثم الخورنق بناه لرغبة ملك الفرس، الذي كان يسيطر بنفوذه على أرض العراق من عاصمته قطيسفون أو طيسفون (المدائن)، لكي يسكن فيها ابنه بهرام وأن يتعلم ويتدرب على أيدي فرسان الحيرة، وفعلاً ظل بهرام في الحيرة بضع سنوات.

يبدو أن الملك النعمان الأول في نهاية حكمه تفرغ للعبادة والصلاة مع وزيره ويروي الطبري في تاريخه عنه أنه صعد يوماً قلايته (القلاينة فكان الراهب المتبعد) في قصر الخورنق، إذ رأى البساتين والنخل والأشجار والأنهار مما يلي المغرب، والفرات مما يلي المشرق، والخورنق مكانه، فأعجبه ذلك فقال لوزيره، أرأيت مثل هذا المنظر وحسنه؟ فقال: ما رأيت الملك لا نظير له لو كان دائماً! فقال له ما الذي يدوم؟ فقال: ما عند الله في الآخرة! فقال: بم ذلك؟ فقال: بترك الدنيا وعبادة اله، فترك النعمان الملك ولبس المسوح (وهو لباس الرهبان) ورافقه وزيره، قال عدي بن زيد في هذا السياق:

وتبين رب الخورنق، إذ

أشرف يومياً ولعهدي تفكيره

سره ما رأى وكثرة ما يملك

والبحر معرضاً والسدير

فارعوى قلبه وقال: فما غبطته

حي إلى الممات يصير؟

ثم يعد الفلاح والملك والأمة

دارتهم هناك القبور!

ثم صاروا كأنهم ورق جف

فالوت به الصبا والدبور([52])

وذكرت المصادر السريانية أن شمعون أسقف الحيرة قام بتعميد النعمان، ومات في قرية (بيت كشاي) في الحيرة، ودفن في دير (حديد)، وكان نشاط السريان المسؤول الأول عن نشر النصرانية وسط القبائل في العراق وسورية وفينقية (لبنان)، وانتشرت النسطورية في العراق بينما تبنى المسيحيون في سورية الأرثوذكسية أو المونوفيزية.

ويروى في مخطوطة مؤرخة في (السابع عشر من نيسان عام 473م) ورد فيها أن أحد رجال الدين المسيحيين برصباعي قد زار مار شمعون العمودي وحكى له عن النعمان قبل أن يهتدي بالمسيحية، حينما جاءه أعيان الحيرة وقالوا له: أأذن لنا بزيارة مار شمعون، فرفض الملك وهددهم بالموت،

لأنه اعتقد أنهم إذا ما أصبحوا نصارى انظموا إلى البيزنطيين لكن النعمان يرى في منامه رجلاً مهيباً لم ير مثله أبداً، وكان معه خمسة آخرون وكان من بينهم شمعون نفسه الذي سعى إلى تقريعه.

ولذلك فقد أمر النعمان بالسماح بزيارة مار شمعون والسماح بالتنصير على يده وإقامة البيع والأديرة([53])، حكم بعد النعمان الملك المنذر الأول وكانت أمه هند من الغساسنة، وقد حكم فترة غير قصيرة، وهو الذي أراد أن يثبت أنه حليفاً مخلصاً للفرس فهاجم ملوك الغساسنة والنتيجة كانت وبالاً عليه إذ هزم شر هزيمة وقتل في عام (421م).

وبعد مرورنا بعهود ملوك آخرين لا نعرف عنهم إلا القليل من بينهم الأسود بن منذر وأمه تسمى (هرة) وأصلها من لخم، وقد حكم الأسود عشرين سنة، وجاءت الأخبار عن الأسود متضاربة فورد ببعض المصادر إن صدامات جرت بين الملك الأسود والغساسنة، بينما تزعم مصادر أخرى أن الأسود نفسه قد أسر في إحدى قرى الغساسنة([54]).

أما النعمان الثاني ابن الأسود، فأمه غسّانية من كندة، كانت أختاً للأمير الحارث بن عمرو، وهذا الزواج يقف دليلاً على أنه بالرغم من خلافات المناذرة والغساسنة القبلية، إلا أنه بسبب أن معظمهم موحدين أو مسيحيين، كانت تقوم بينهم مصاهرات وعلاقات قوية أحياناً في وقت السلم.

تشهد الوقائع التاريخية بشجاعة النعمان الثاني وبسالته في القتال، ومنها غارته على مدينة (الفراتية) في الشمال السوري والتي تسمى عند الروم بـ (كوماجين Kommagene) وذلك في عام (497م)، كما قام النعمان بمساعدة جيش الفرس بالإغارة على أوديسا (الرها) فاعمل فيها تخريباً، وقبل ذلك قامت قبيلة (بنو ثعلبة) وبتحريض من الروم، بالإغارة على حدود الحيرة واختراق نهر الفرات إلى داخل الحيرة بسبب خروج جيش الحيرة إلى القتال.

وبالرغم من أن أهل الحيرة قاتلوا وهم يتراجعون إلى الصحراء لكن بنو ثعلبة اعملوا في المدينة نهباً وتخريبناً، ثم جاء دور أبو يعفر الذي اعتلى العرش لمدة أربع سنوات وتسلم العرش بعده الملك المنذر – الثالث الذي دعته المصادر اليونانية باسم (الامونروس هوزكيكس) نسبة إلى أمه (شقيقة) أي (المنذر بن شقيقة).

وقد امتد حكمه نصف قرن تقريباً من عام (505) لغاة (554م) تخللها استيلاء ملك الغساسنة على الحيرة لفترة قصيرة (503-506) وتذكر لنا المصادر السباية امتداد نفوذ المنذر الثالث جنوب العراق كله وصولاً إلى قبيلة حميرة في الجزيرة العربية التي هاجمها عام (516م)، وذلك بسبب قيام الأعراب بقطع الطريق المعروف باسم (مأسل – حجان – وكتاع) وقد وجدت المعلومات منقوشة على رقيم حجري باسم أمر نبقة (معد يكرب) شاهداً على حملة النعمان لأنه شاركه حملته على عدد من القبائل الخاضعة لقبيلة (حمير) مثل بني ثعلبة ومذجج وغيرهما.

ووصلت غزواته إلى حمص واوديساواو افامية وأصلاً إلى حدود انطاكية، وقد سبى عدداً من الراهبات في أديرة حمص وكنيسة الرسول توما، فقدمهن أضحية قرباناً للإلهة الزهرة (العزى) وقد كان معهن أحد الرهبان المدعو (دادة) الذي عاش بعد ذلك ليروي القصة وفي عهده دالت له جميع القبائل في وسط وجنوب العراق حتى نجد وكذلك اعترفت به ملكاً بعض القبائل الغسانية على حدود بيزنطية (سورية) وفي عام (524) عاد مارشمعون إلى الحيرة التي كان قد وصل إليها سفيراً من قبيلة حمير التي تنصر بعض منها، وعرض عليه حقائق مفصلة عن اضطهاد اليهود للمسيحيين في نجران.

بالإضافة إلى ذلك كان النزاع قد تفجر بين تيارين للنصرانية فرجال الدين (النساطرة اتجهوا نحو العراق الذي يسيطر عليه الفرس ومملكة الحيرة) أما اليعقوبيون أو المنوفوزيون، فقد اتجهوا نحو بيزنطة التي أيدت اتجاهاتهم المذهبية، وقد اقنع المارشمعون المنذر الثالث أن لا يتخذ إجراءات شديدة مع نصارى مملكته، وانتهز المنذر الثالث أن لا يتخذ إجراءات شديدة مع نصارى مملكة كندة واستطاع أن يأسر ملكها الحارث بن عمرو وقيل ابنه ويقتله في نيسان من عام (528م)([55]).

وتميز عهد المنذر الثالث السيء الصيت بالحروب والقتال وقد لقب بماء السماء أكبر الظن أن اللقب أطلقه عليه سادته الفرس الذي كان يقاتل عنهم بالنيابة، كما عرف عنه شدة البأس والشراسة بسب كونه وثنياً لا يقيم وزناً من أديان أخرى.

وأول ضحاياه نديماه خالد بن المدلل وعامر بن مسعود في يوم اعتاد فيه الأيغال بشرب الخمر وسمع من نديميه كلمات لم ترق له، فأمر بأن يدفنا حيين، ومن اليوم التالي لم يتذكر ما حدث وما فعل لكنه سأل عن صديقيه، وعندما علم حقيقة ما أصابها، انتابته حالة من الأسى وتأنيب الضمير، فأمر بتشييد نصبين على قبريهما، وكان كل عام يقضي يومين إلى جانب قبريهما فيجلس إليهما وقد سميا بالغريين أي أولئك اللذين سفح دمهما.

ومن هذين اليومين كان أحدهما يسمى (يوم النعيم) فمن يستقبله من الأغراب يعطيه مائة ناقة سوداء أو (يوم (بؤس) كان يقدم لأول شخص قادم إليه رأس أحد الغربان في السوداء، ثم يقوم بقتله وذبحه عند النصبين المشيّدين، كما قدم عدد من الراهبات ضحايا على منحر العزى، وعندما سمعت إحدى زوجاته وكانت مسيحية انفصلت عنه وقررت تشييد دير لها منقطعة عن العالم.

ويقال أن الشاعر عبيد بن الأبرص زاره في يوم بؤس، فلقي نفس المصير الرهيب، واستمر هذا التقليد سنوات عدة حتى جاء دور الفارس حنظلة من قبيلة طي، الذي طلب من الملك مهلة عام ليذهب فيخبر أهله ويعود بضمان أحد حكماء الملك المدعو شارق بن عامر الذي قبل أن يضع نفسه بديلاً إذا لم يعد هذا الفارس بعد عام، وفعلاً وفي اليوم الموعد وصل حنظلة في الساعة الأخيرة حاملاً كفنه معه، وترافقه امرأة ندابة، حينذاك يقرر الملك تغيير هذه العادة السيئة وقد قتل الملك المنذر بن ماء السماء في يوم سمي (بيوم عين اباغ) التي تقع في واد وراء الأنبار على طريق الفرات عندما توغل المنذر التقى بجيش الغساسنة الذي كان قد كمن له مع مليكهم الحارث الأعرج من جبلة.

وغدر المنذر بالحارث وقتل ولداه حينئذ انقض الحارث بمقاتلته في معركة شديدة البأس فقتل المنذر عام (554) وهزمت جيوشه وسار الحارث إلى الحيرة فاستولى عليها ودمرها ودفن ولديه فيها، وبذلك انتهى مصير أقوى ملوك الحيرة وأكثرهم بأساً وعنفاً، عاصر من ملوك الفرس قباذ وابنه (انوشروان) من قياصرة الروم الإمبراطور (جستنيان).

ومما لا شك فيه أن دولة الحيرة بوصفها دولة على رأسها ملك هو القائد العسكري لهذه القبائل، وقد اكتسبت أهمية في عهد المنذر الثالث حيث أن وجود رأس واحدة تتولى القيادة إضافة إلى خبرة المنذر الواسعة في القتال ومكره وقسوته، من شأنه أن يؤدي إلى استبسال جيشه ومع التنظيم والتنسيق جعل جيشه أعلى مستوى من جيش الغساسنة الذين يمتلكون مساحة أفضل قدمها إليهم حلفاؤهم البيزنطيين فحينما تولى المنذر بن المنذر ماء السماء حكم الحيرة، كان يتوق إلى الانتقام ومقاتلة الغساسنة ليثأر عن موت أبيه وهكذا التقى الجيشان في منطقة (مرج حليمة) ولما طال القتال

أعلن الحارث أن من يقتل المنذر يزوجه ابنته الجملية حليمة، وسارع لبيد بن عمرو الغساني ابن عمها إلى قتال المنذر بعد أن أخذ فرس عمه الحارث واستطاع قتل الملك الشاب المنذر.

وانصرف الحارث ليهنأ فرسانه، فوجد أن القتال استأنف بقيادة أخيه الذي استطاع أن يقتل لبيد، لكن جيش الغساسنة صمد وأقسم على الدفاع المستميت عن أرضه إلى أن انتصر على جيش الحيرة، ففر أخ الملك المنذر مهزوماً إلى الحيرة.

لابد أن يذكر الزمن بعد ذلك الملك قابوس والملك المنذر الرابع اللذين كانا من أبناء الأميرة هند التي كانت مسيحية، لكن حكمهما لم يدم طويلاً لأن المنذر قتل في إحدى المعارك على حدود الغساسنة، واعتلى العرش النعمان الثالث ابن المنذر الرابع الذي كان آخر ملوك الحيرة والذي تميز بالحصافة والحكمة، وكني النعمان بأبي قابوس وقد حكم على الأرجح بين السنوات (585-613) تربي هذا الملك في أحضان عائلة مسيحية، وهي عائلة زيد بن حماد والد الشاعر عدي بن زيد، كان عدي شخصية جديرة بالذكر لأن مصيره ارتبط بمصير ملكه النعمان وحصل عدي على منصب من ملك الفرس خسرو آنو شروان، باعتباره رسولاً.

وكانت ثقافته وإجادته إلى اللغتين (الآرامية) السريانية والفارسية ما جعله قريباً من ملك الفرس الذي بعثه في مهمات رسمية إلى الروم في القسطنطنية كسفير له، وقد ساعد عدي على اختيار النعمان ملكاً على الحيرة من بين إخوته عند اجتماعهم إلى ملك الفرس، وبعد أن أحب عدي ابنة النعمان المسماة هند أيضاً حينما التقيا في كنيسة مارتوما، تزوجها بعد أن وافق أبوها على مضض لكن الأسود أخي النعمان استطاع أن يؤغر صدر، النعمان على عدي، فسجن النعمان عدي وتلك كان غلطته الكبيرة، وبعد أن سجنه تركه حتى مات في السجن فنشأ ابنه زيد وهو يتطلع إلى الانتقام لأبيه من الملك النعمان.

وأصبح زيداً سفيراً لكسرى أيضاً في بلاد النعمان شأنه شأن أبيه، وعندما سمع زيد أن الملك الفارسي خسرو برويز يريد اختيار مجموعة من الفتيات له، ذكر زيد لملك الفرس أن في أهل النعمان فتيات جميلات يليقن به ومنهن أخت الملك النعمان، فأرسل الملك الفارسي زيداً مع رسول فارس نعته لهذا الغرض، وكان زيد يضمر للملك شراً وأمام سوء فهم حصل بين رسول الملك الفارسي أثاره زيد وقصد، عاد الرسول غاضباً إلى طيسفون حينذاك طلب ملك الفرس من النعمان المثول أمامه، وعرف النعمان أن زيداً أوقع بينهما، مما جعل النعمان يخرج ويطوف بالقبائل محتمياً من كسرى، فلا تحميه تلك الموجودة في الحيرة حتى يصل إلى بني شيبان في ذي قار فيلتقي الفارس هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود، فيقيم عنده فترة من الزمن ثم يستودعه أسلحته وماله وأهله.

وسار النعمان إلى كسرى وهو يعلم أن في الأمر مكيدة أو نية سيئة، فما كان من كسرى حينما وصله النعمان إلا أن سجنه ثم قتله بصورة وحشية دوساً تحت أقدام الفيلة وقيل أيضاً أنه مات بالسجن مسموماً، وأرسل مع ثلة من الجيش إلى الحيرة لتنصيب شيخاً من طي عليها ومنها أرسل هذا الجيش إلى ذي قار وطلب من هاني بن قبيصه ودائع النعمان، ولكن هيهات أن يسلمها بطل بني شبيان ويخون عهداً أخذه على نفسه، فرفض هاني أن يساوم على ودائع النعمان، فهدده قائد كتيبة جيش الفرس بجيش جرار من خمسة الأف رجل فيهم كتيبتا الحيرة المعروفتان بالشهباء والدوسر كان بزدجرد قد جعلهما تحت تصرف ملوك الحيرة، وكان رجال الشهباء من الفرس ورجال الدوسر

من عرب تنوخ بقيادة إياس الطائي ومعه ألف رجل، يضاف إلى هذه الفرقتين أرسل كسرى جيشاً فارسياً يتألف من ألفي مقاتل توجهوا إلى ذي قار موطن بني شيبان.

كانت ابنة النعمان تشد ازر بني شيبان وبني سنان قائلة:

ألا أبلغ بني بكر رسولاً

فقد جد النفير بعنفقير

فليت الجيش كلهم فداكم

رئيس السرير وذا السرير

تأتي حين جد لهم إليكم

معلقة الذوائب بالصبور

فول أني أطلقت لذاك دفعاً

إذا لدفعته بدمي وزيدي

ولما تقارب الزحفان أشار فارس بني بكر حنظلة فقال أن النشاب الذي مع الأعاجم يفرقكم فهلموا وعجلوا اللقاء، وابدأوهم بالشدة ثم قام إلى راحلة حليلته فقطع قيودها وفعل الآخرون مثله، ليقاتل كل رجل منهم مدافعاً عن حليلته، ثم عملوا كميناً لهم وانتظروا([56]).

وهكذا التقى الجيشان في أرض ذي قار عام (610م) وتفتك أولاً نبال الفرس بطليعة مقاتلي شيبان لكن القبائل تصمد وتقاتل وخلفها الماء، وبعد زمن من القتال يصيب الجيش الفارسي الوهن، ويشتد قتال القبائل ثم يخرج على الفرس فرسان الكمين بقيادة يزيد بن حمار السكوني وحينذاك يحيق الارتباك بجيش الفرس ثم يبدأ بالهروب وكذلك حلفائهم من عرب الحيرة، وتبعتهم بكر لقتالهم فانتصرت عليهم والحقت هزيمة بهم، وتبلو قبيلة بكر بن وائل، بلاءءاً حسناً في ذلك اليوم، وتفخر القبائل العربية بهذا الظفر، وينتشر خبر أهمية قيادة الفارس هاني في الأفاق وترجع العرب أشعار الانتصار في كل صقع، وقد تفتقت قريحة الشعراء بأجمل القصائد أمثال أعشى قيس الذي يقول في قصيدة طويلة:

لقد ململة شهباء يقدمها

للموت لا عاجز فيها ولا طرف

جزع بخيبته مروع غير ناقصة

موقف حازم في أمره أنف

فيها فوارس محمودة لقاؤهم

مثل الأسنة لا ميل ولا كشف

ثم ألقى الشاعر الأعشى قصيدة ثانية يمتدح فيها آل شيبان، كما ألقى الشاعر أبو عمر بن العلاء أيضاً قصيدة، وكذلك فعل العذيل بن الفرج العجلي ومعه أبو كلبة التميمي ولقيط الايادي وبكير بن الحارث بن عباد.

ومن هذا التاريخ تبدأ معظم القبائل العربية والسريانية في العراق وقوفها ضد الحكم الفارسي وتصل الأخبار إلى مكة، ويسمع بها النبي محمد (r) فيقول: (هذا أول يوم انتصر فيه العرب على العجم) ومنذ بداية القرن السادس اشتهرت الحيرة بأنها أصبحت مدينة مسيحية ومركزاً للثقافة العربية – السريانية في العراق بأتيها الشعراء من الجزيرة العربية ومن اليمن ومن أطراف الشام خاصة في بلاط الملك المنذر الأخير، وكذلك من خلال مدرستها التي تميزت بتعليم اللغة وفيها نمى وتأسس الخط الحيري الشهير وربما تعلم كثير من العرب القراءة والكتابة فيها وأسلوب هذا الخط الذي أصبح أحد أسس الخط العربي جنباً مع تطور الخطوط النبطية الآرامية مع خط المسند القديم.

ومن بين الشعراء الذين حضروا هذه المدرسة المرقش الأكبر المتوفي سنة (552م) الذي تعلم الكتابة في الحيرة، وذكر المؤرخ البلاذري أنه اجتمع ثلاثة من مجودي الخط، فوضعوا أسس الخط العربي وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار، أي مدينة فيزوز شابور، ثم تعلم أهل الحيرة العربية من أهل الأنبار، وكان بشير بن عبد الملك أخو الأمير الاكيدر قد تعلم الخط العربي من أهل الحيرة ثم آتى مكة.

وكان كثير من شعراء العرب قبل الإسلام يلتقون تحت خيمة ملوكها أيام ازدهارها في القرن السادس الميلادي وينشدون في قصور ملوكها الشعر العربي الجميل نظراً لوجاهة الحيرة بين القبائل فقد كان مؤل العرب بعد مكة ونجران، من بين هؤلاء الشعراء النابغة الذبياني والفارس الشاعر حنظلة الطائي والنابغة الجعري، وقد أنجبت الحيرة اسحق العبادي الصيدلي والد حنين بن اسحق، كما أنجبت العالم والطبيب حنين بن اسحق وأخوه المترجم اسحق كما أنجبت مارسمعان الحيري ومار ايليا الحيري والمعماري (المهندس) عبد المسيح الحيري.

كما تميزت الحيرة بكثرة قصورها فقد ضمت سبعة عشرة قصراً منها الخورنق والسدير، وأبنيتها ذات فن معماري خاص بها، والذي يسمى بالحيري، ويمتاز الفن المعماري الحيري بالقباب العالية والأقواس نصف الدائرية المنحدرة فكرتها من البناء الأشوري لأبواب المدن وقصور الملوك، ويذكر العلامة يوسف حبي أن الكنيسة في العراق والتي سميت بكنيسة الشرق كانت ذات بناء تخطيطي يختلفان عن بناء الكنيسة في سوريا التي كانت متأثرة بالفن الهلنستي والفن البزنطي.

وأعيد بناء كنيسة كوخي على شكل العمارة الحيرية وذلك عام (451م) في سلوقيا، بمساعدة المعماري عبد المسيح الحيري، ويرجع طراز الصحن المستطيل للكنيسة العراقية إلى تقليد معماري بابلي قديم وجت آثاره في كنيسة مشابهة وفي معبد آرتميس – نانايا في مدينة دورا – يوربس التي كانت تابعة لأسقفية بين النهرين (العراق) حيث تعد كنيسة دورا – يوربس من الطراز المعماري المتأثر بالنزعة الهلنستية والأصول الآشورية.

كان معظم نصارى الحيرة من النساطرة، واجتهد اليعاقبة مراراً أن ينشروا مذهبهم فيها فلم يتمكنوا من ذلك، ومنها حملتهم في عهد المنذر الثالث والبطريرك (شيلا) وبذلوا جهودهم أيضاً في عهد ابنه النعمان بن المنذر أبي قابوس، ومع ذلك فقد كان لهم في العراق أسقفيتان واحدة في تكريت وهي كبيرة والأخرى في الحيرة وعاقولا لكنهما صغيرتان، وكذلك الحال في مدينة فيروز – شابور (الأنبار).

كانت الحيرة تضم أسقفية تابعة لكرسي جاثليق بين النهرين في طيسفون أو ساليق – طيسفون وأبرز كنائسها في الحيرة:

1. كنيسة الباعوثة.

2. بيعة دير اللج.

3. كنيسة دير هند الكبرى.

4. كنيسة دير هند الصغرى.

5. بيعة توما.

وفي الفتح الإسلامي للعراق، سار القائد خالد بين الوليد عام (633 م – 12 هـ) مخترقا جنوب العراق واستولى على فرات – ميشان والأبله جنوب موقع البصرة بعد مقاومة فارسية عنيفة حتى وصل جيشه إلى الحيرة فحاصرها، وطلب أهلها الصلح، فصالحها خالد وكتب لأهلها المسيحيين عهداً بالمحافظة عليها وعلى كنائسها وأديرتها على أن يدفع أهلها الجزية([57]).

وكانت الجزية تسعين ألف درهم وفي رواية أخرى تسعين ومائة ألف درهم، وعسكر جيش خالد قرب القصر الأبيض ماراً بقصر الخورنق([58])، وقد أدى تأسيس الكوفة مقابل عاقولاً كعاصمة للإسلام ونموها، إلى أفول نجم مدينة الحيرة وبدأ الناس تدريجياً بهجر بلداتها، وقد استعملت حجارة قصور الحيرة وأبوابها في بناء عمارات الكوفة، ولم يبق خلال القرون التالية من مدينة الحيرة التي كانت تضج بالحياة كثاني أهم مدينة في العراق، بعد طيسفون إلا بلدة مسيحية صغيرة في عطائها وإشعاعها، فقد قيل أن الخليفة أبو جعفر المنصور قد زارها لطيب هواها وهو في طريقة إلى الحج وكان ذلك في منتصف القرن العاشر الميلادي. وبقيت الحيرة قرية منسية حتى في عهود استقلال العراق، فلم يجر العناية بها أو ترميم آثارها من قصور وديارات وكنائس.

المبحث الثاني : مدن عراقية مهمة

(الكوفة وكشكر ودير قنى وفرات – ميشان)

أولاً: مدينة الكوفة التي دعاها السريان عاقولا:

ورد اسم مدينة عاقولا كثيراً في المصادر السريانية، لكن لا يعرف بالضبط متى شيدت بلدة عاقولا؟ إذ قيل أنها بنيت في أرض (الكوفة) على أنقاض مدينة فرثية بناها الملك ولكاش (فولكاش) الأول (51-78 م) وأحياناً يرد اسم عاقولا ويقصد بها الكوفة أو الكوفا.

ويذكر المؤرخ ميخائيل الكبير في هذا المنحى: (أن القائد سعد قد عسكر بالقرب من مدينة الكوفة أي عاقولا) ([59])، مع العلم أن الكوفة لم تكن قد مصرت قبل فتح طيسفون أي في عام (17 هـ - 637 م) ونظراً لوجود آثار عشرة أديرة في ظاهرة الكوفة فإن الباحث يتسائل هل يمكن أن تكون بلدة عاقولا قد بنيت بقرب الكوفة قبلها بزمن ثم طالها عمران الكوفة فاندمجتا معاً بعد توسع مدينة الكوفة؟

ويذكر في هذا الصدد الباحث أديب نوار قائلاً: (كان في الكوفة أسقفان أحدهما نسطوري والآخر يعقوبي، وكانا يسكنان في دار الروم لأن نصارى الكوفة كانوا يسمونها عاقولا بالسريانية). ونقل الباحث المذكور عن المستشرق لويس ماسنيون قوله: (أنه وجد في العصر الإسلامي رسامان من أصول صينية وكانا يسكنان في سنة (75 هـ) في مدينة (يا – كيو – لو) أي عاقولا وهذا وهو الاسم السرياني للكوفة) ([60])، أما الباحث اللغوي الأستاذ إبراهيم السامرائي فيذهب أبعد من هذا متسائلاً: (ألم تكن الكوفة الحاضرة التي مصرها المسلمون مكان الحضارة الآرامية القديمة (كوثا) أو في جوارها؟ أن الحاضرتين الإسلامية والآرامية كانتا في أرض بابل في سواد العراق كما يقول ياقوت وليس غريباً أن تكون حاضرة المسلمين قد تبدلت بالثاء فاءٌ وهذا يحدث كثيراً في الأصوات السامية) ([61]).

وفي كتاب ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر آل محبوبة، أن الكوفة كان يقال لها عاقولة أو عاقولا، وذكر التاريخ السعردي لمؤلف سرياني مجهول أن الكوفة كانت تسمى عاقول قبل بنائها، وفي كتاب تقويم الكنيسة النسطورية الذي نشره بطرس عزيز، أن الكوفة كان يقال لها كوباً أي الشوكة، وفي دليل الراغبين أن كوباً بمعنى عاقول.

والعاقول نبت ترعاه الإبل، وكان الناس منهم يقول عن هذا الموضوع عاقولا ومنهم من يقول كوبا وبين (كوبا دكملا) بالسريانية وبين عاقول تشابه في الأصول، قد يكون بعض رجال الفتح الإسلامي حينما قدموا إلى المنطقة قد سمعوا بهذه اللفظة فأطلقوا على البلدة التي مصرت كوفة، وهذا ليس ببعيد لتضارب الآراء في اشتقاق كلمة كوفة من أصلها العربي وفي سبب تسميتها([62]).

ضمت الكوفة أكثر من عشرة أديرة معظمها حول المدينة بالإضافة إلى كنيسة كبيرة هي كنيسة أم خالد، وكان الناس يقصدون تلك الأديرة أيام الأعياد المسيحية فتكون موضع تجمعات واحتفالات ولقاءات، وكانوا يسعون فيها للتقرب إلى الله أو الصلاة له، أو ينقطع الرهبان والنساك منهم فيها طوال حياتهم.

وكان للأديرة كذلك دور صحي إذ اشتهر بعض الرهبان القادمين من الحيرة و جنديشابور في مزاولة الطب والتداوي بالأعشاب ومعالجة المرضى، كما كان للأديرة دوراً ثقافياً في تعلم القراءة والكتابة أو في تبادل وجهات النظر في الأديان والفلسفة وعلوم الأقدمين وخاصة اليونان.

كانت الأديرة قد امتدت حتى ظاهرة الحيرة، وكانوا يحتفلون بالأعياد مع شمامستهم رافعين الصلبان والأعلام التي تمثل قبائلهم العربية القادمة أصلاً من اليمن أو البحرين أو ميشان ومن جملة أديرة الكوفة دير (بني مرينا) وموقعه عند النخيلة الذي اشتهر فيما بعد في حوادث معركة كانت بين أهل الكوفة والخوارج في يون النهروان، وهناك دير بونا الذي كان في قرية بونا في ضواحي الكوفة.

أما دير زرارة فكان محط شعراء المدينة، والموقع ينسب إلى (زرارة بن يزيد من بني البكاء) ([63])، وكانت زرارة تشتهر ببساتينها، ومن بين سكانها عدد من اليهود اشتهر منهم (بطروني اليهودي) الذي برع في الفلك والفأل، وقد ورد في تاريخ الجاثليق (احودما) أن دوره لم يقتصر على تنصر عرب بيت عربايا في الجزيرة، بل امتد نشاطه إلى التنوخيين البدو المنتشرين بين الأنبار والحيرة وعرب عاقولا وهم بعض سكان الكوفة.

وقد مصرت الكوفة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب t في السنة التي مصرت فيها البصرة، وهي دائرة وسميت بالكوفة التي تعني عند كثير من المؤرخين الفتلة أو الاستدارة، وسماها عبده بين الطيب (كوفة الجند) قائلاً:

إن الذي وضعت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غول

كان أسقف الكوفة في مطلع القرن الثامن جرجيس، وكان يصلي بالمسيحيين الذين كانوا من قبائل طي وعقيل وتنوخ، وعرف أيضاً بأسقف العرب، وكان من المتضلعين في الفلسفة ووضع شروحاً لبعض الأسفار المقدسة وأسرار الكنيسة كما نظم القصائد الدينية وترجم كتاب (الاوركانون) لأرسطو، ولعل المسيحيون قد لعبوا دروا في النهضة الفكرية التي شهدتها مدينة الكوفة مركز الخلافة الجديد، وكانت المناقشات المذهبية والدينية بين المسلمين تمتاز بالتنوع في التفكير والتوجهات، وقد انتشرت فيها فرقاً دينية متضاربة مثل السباية والمرجئة والكيسانية التي تأثرت بفكرة عودة المسيح وانتقلت الفكرة بعد ذلك إلى التقليد الإسلامي.

إلا أن ما يميز الإبداع الكوفي هو ظهور الخط الكوفي الذي يدل على دقة في الرسم وكانت الخطوط المستقيمة متأثرة بالخط السرياني الأسطر نجيلي من حيث هيئته العامة المربعة، والمعروف أن العرب في بداية الإسلام يدينون للحيرة بمشاركتها الفعالة في الكتابة العربية، كما تأثر أهل الكوفة بحياة الرهبان فأمست الكوفة من مراكز الزهد والتصوف في الإسلام حتى إن بعض الزهاد الكوفيين قد لبسوا المنسوجات الصوفية الخشنة المشابهة لمسوح الرهبان.

ومن بين الشخصيات التي برزت في تلك الأنحاء هاني بن قبيصة بن مسعود الذي كان شريفاً عظيم القدر ولعله كان موحداً أو مسيحياً، كما بني أول والي للكوفة خالد بن عبد الله القسري كنيسة قرب جامع المدينة سميت بكنيسة خالد أو كنيسة أم خالد، وهو أول شخصية إسلامية يبني بيعة للنصارى في تاريخ الإسلام، والمعتقد أن ذلك يعود إلى أن أمه كانت مسيحية، ووردت عاقولا باسم عاقولاء في (معجم البلدان)، ووجد الحموي شعراً من أشعار بني مازن نقله عن خط ابن حبيب في شعر صاحب بن ذيبان المازني يخاطب مسلمة بن عبد الملك:

أمسلم أنا قد نصحنا فهل لنا بذاكم على أعدائكم عندكم فضل؟

حقنتم دماء الصلبتين عليكم وجد على فرسان شيعتك القتل

وفاتهم العريان فساق قومه فيا عجباً أني البداءة والعدل؟

أقام بعاقولاء منا فوارس   كرام إذا عدّ الفوارس والرجل([64])

ضمت الكوفة جماعات مختلفة من العراقيين لعلهم بقايا سكنة بابل وسلوقية ويبور وسبّار، كما تمثل موضعاً كان يرتاده أبناء القبائل العربية المسيحية، أشار إليها البطريرك مار دنخا الأول مغريان تكريت في سيرة مار ماروثاً التي كتبها في بداية القرن السابع للميلاد، وكان المسيحيون في الكوفة قد عملوا بصناعة النسيج إضافة إلى امتهانهم تجارة القوافل من الحيرة وشغاثة عبر الصحراء إلى مملكة حطرا (الحضر) وكانوا عنصراً فاعلاً في تبادل البضائع لموتاهم، إذ كانوا يشيعونهم وهم في طريقهم إلى المقبرة حيث كان إشراف القوم يتقدمهم أسقف المدينة والقساوسة الذين يسيرون وهو يتلون الصلوات رافعين الصليب، وكانت مقبرة النصارى قد اشتهرت فيما بعد باسم (ناووس الكوفة) ([65]).

كما ضمّت الكوفة مجتمعاً يهودياً يقدر بستة الآف يهودي سكنوا قرب مرقد الملك (يهويكين) الباني لضريح حزقيال أحد أبناء اليهود والمسبيين إلى بابل في العصر البابلي – الكلدي، وقرب ضريح الشبان الثلاثة الذين أحرقوا في الاتون والذين يتذكرهم ولا ريب قدماء الكوفيين([66]).

ومما زاد في أهمية الكوفة في نظر المسيحيين أن الخليفة عمر بن الخطاب t أشار إلى إخراج المسيحيين من مدينة نجران في اليمن والتي كانت مدينة مسيحية منذ القرن الرابع الميلادي، لذلك هاجر معظم المسيحيين إلى جهة الكوفة وقرب الكوفة أقاموا لهم قرية بنوها من القصب واللبن باسم القرية النجرانية أو نجرانة بقرب نهر (ابان) وأنشأوا لهم ديراً باسم دير نجران وهو غير دير نجران في اليمن ودير نجران في بصرى.

وعندما أصبحت الكوفة عاصمة الخلافة في عهد الإمام علي t وقدم الكوفة، جاءه وجهاء القوم من نصارى نجران وطلبوا منه أن يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم في اليمن وإلى كنائسهم وحقولهم، لكن الخليفة لم يوافق لأنه لم يرد أن يخالف سلفه فاضطروا إلى البقاء.

وفي مصدر آخر ذكر أن النجرانية أصبحت فيما بعد حياً من أحياء الكوفة يقع بين المسجد الجامع ودار بني اود ويؤكد هذه الواقعة ياقوت الحموي قائلاً: (أن أهل نجران نزلوا قرية وابتنوا لهم ديراً دعو (الاكيراح) ثم شخصوا إلى الخليفة عمر وتظلموا إليه فكتب إلى المغيرة في أمرهم، فرجع الجواب وقد مات الخليفة فانصرف النجرانيون إلى تلك القرية على نهر ابان واستقر فيها، وفي العصر العباسي كان أبو نواس الشاعر الرقيق المعروف لا يأتي إلى الكوفة حتى يزور دير الاكيراح قائلاً:

دع البساتين من ورد وتفاح   واعدل هديت إلى ذات الاكيراح

اعدل إلى نفرٍ دمت شخوصهم من العبادة إلا نضو أشباح

يكررون نواقيس مرجعةً   على الزبور بأمساءٍ وإصباح

تنأى بسمعك من صوت تكرهه فلست تسمع منه صوت فلاح

إلا الدراسة للإنجيل من كتبٍ   ذكر المسيح بإيلاج وإفصاح

ثانياً: مدية كشكشر: أول مدينة مسيحية في بلاد الرافدين:

كشكر أو كسكر أقدم مدينة مسيحية في العراق، لعل معناها في الآرامية عامل الزرع، بنيت على شاطئ دجلة في مجراه القديم جنوب العراق قرب الكوت، وتبعد عن بغداد زهاء (170 كم)، وكانت تقع شرق مدينة واسط التي بناها والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في مفتتح القرن الثامن الميلادي (702م).

من المرجح أن كشكر كانت مدينة آرامية بنيت قبل الميلاد على أنقاض بلدة (خسرو سابور) وكانت تسمى (بيت كشكراتي) ، وتقع وسط كورة أراماي في زمن الفرثيين التي تشمل حوض دجلة الأدنى من أطراف النهروان إلى البحر (الخليج العربي)،اشتهرت المدينة بمنتجاتها من الحبوب كالحنطة والشعير والأرز، كما ذاع صيتها بتربية الدجاج والبط وورد ثناء على دجاجها في كتاب الحيوان للجاحظ.

وكانت كشكر أول مدينة في بلاد الرافدين تجاوبت مع دعوة مار ماري تلميذ الرسول مار أدي، حيث اهتدى أهلها إلى المسيحية قبل أن يهتدي أهل ساليق (سلوقية) والذي كان قد وجد في بادئ الأمر صعوبة في هدايتها بعكس كشكر، وكان أهلها ذوي علم وأدب وذكاء وحذاقة لم يبلغ إليها غيرهم، وكان مار ماري قد وجد في كشكر معبداً يسجد فيه للشيطان ما يشبه النسر وفيه تمثال يدعى (نيشار)، وقد صنع مار ماري في كشكر أعمال بر وقد شفى بعض المرضى حتى إن كاهن المعبد نبذ الأصنام، واقتدى به كثيرون من أهل المدينة فاعتنقوا عبادة الله الحي، وبنى مار ماري لهم كنيسة قبل أن ينحدر إلى دير قوني وميشان ثم يعود إلى ساليق.

ونظراً لأهمية كشكر التي أصبحت مركزاً مشعاً للمسيحية فقد اعتبر مطران كشكر نائباً للمطران أو لرئيس الأساقفة في بلاد الرافدين وذلك عند شغور كرسي ساليق – طيسفون مركز رئيس الأساقفة، وحدث أنه في فترة خلافية بين الأساقفة شغل كرسي الجاثليق مطران كشكر لفترة ثلاث سنوات (567-570م) ([67]).

كان قد أقيمت في كشكر عدة أديرة منها الدير الذي أنشأه الراهب (راموي) وكذلك الدير الذي أقامه (قفرا) قرب نهر دجلة بجوار (جيلتا) و (غائن)، كما أسس مار سركيس دودا ًديراً (بجبل) كشكر، وفي أيام مارس سركيس كان حنيناً الحديابي قد ذهب إلى نصيبين حين جهد في الدعوة والهداية بين الوثنيين، وألف كتباً عدة وتاريخاً كنسيا ثم قدم كشكر وهناك قضى نحبه([68]).

ومن الشخصيات في مدينة كشكر في القرن الثالث الميلادي (القديس) ارخيلاوس الكشكري الذي كان أسقفاً لكشكر ولعله أول أسقف لها، صنف بالسريانية كتاباً يحتوي على جدل جرى بينه وبين الهرطوقي (مانسس) الذي كان قد أنكر على المسيح صحة ناسوته، واسم الكِتاب (ضد مانسس)

([69]). وكان مار يوحنا الذي أصله من مدينة كشكر أيضاً ذهب وأنشأ ديراً في (جبل أوروك([70]).

كان الملك الساساني اردشير الأول (224-241) قد احتل كشكر ودمرها انتقاماً لمسيحيتها وصمودها ضد هجومه الكاسح على العراق، لكن بعد حين عاد العديد من سكانها، وازدهرت من جديد، وكان (تومرصا من كشكر) قد عقدت له رياسة الأساقفة في طيسفون وكان يطوف المدن ويعمر البيع أي الكنائس، وكان يعرف غوامض الناس، وبقي في هذه الرئاسة مدة سبع سنين ودفن في طيسفون([71]).

وكان مار سبريشوع قد أمره الملك الفارسي بالذهاب والبقاء في مسقط رأسه على أثر خلاف بينه وبين المطارنة الآخرين، فلما ذهب إلى كشكر عمد إلى بناء دير في الموضع المعروف باسم (بزادنهرواثا) وقام بهداية الكثيرين إلى المسيحية هناك([72])، وفي القرن السادس الميلادي برز الراهب إبراهيم الكبير الكشكري الذي تضلع في علوم الدين وقصد الحيرة ثم الإسكندرية وسيناء وتعلم هناك أنظمة الرهبان والزهاد ثم عاد، ومن مصنفاته (سفرة في قوانين الحياة النسكية) طبعه المستشرق شابو في روما سنة (1898).

وفي زمن خسرو (كسرى) الأول انوشروان (531-579) وسعت كورة كشكر وأضيف عليها كورة بهر سير وكورة هرمزدخره وكورة ميسان وجعلت طسوجين هما خسرو سابور والزندورد، فلما مصرّ المسلمون الأمصار فرقوها، واشتهرت كشكر بزكاء الأرض وجودة الغلات، وكانت مدينة كبيرة وواسعة خراجها في زمن الإسلام اثني عشر ألف مثقال كما يذكر ياقوت الحموي، وكان أهلها لا يريدون الخروج سيما وأن معظمهم مسيحيون يدفعون الجزية، لكن الشاعر عمران بن حطان سخر من أهلها قائلا([73]):

فلو بعثنا بعض اليهود عليهم

يؤمهم أو بعض من تنصرا

لقالوا رضينا إن أقمت عطاءنا

وأجريت ما قدسن من بر كسكرا

سميت كشكر في زمن الإسلام بكسكر، وكانت المدينة آنذاك تتألف من أربعة مناطق هي الزندورد شمالاً والثرثور والجوزار والأستان، وكان يجري فيها ثلاثة جداول من الفرات هي صلة وبرقة والريّان، دعا المسلمون أهلها بالنبط أي الآراميين أو السريان، وقد ورد أن الحجاج منع بقاء النبط في واسط، وقد نقل الحجاج إلى قصره في واسط أبوابا من بعض عمارات أديرة كسكر مثل دير سباط ودير مار سرجسان (فضج أهل المدينة المسيحيين وقالوا قد أمنا على مدننا وأموالنا، فلم يلتفت إليهم) ([74]).

أهملت مدينة كشكر، ثم تداعت في القرن الحادي عشر للميلاد، ولم يبق منها الآن غير آثارها التي لم يجر التنقيب عنها.

ثالثاً: بلدة دير قنى (Dir Qunna):

دير قنى أودور قنى أو دير قوني كما يفضل السريان تسميتها، بلدة عراقية نشأت في موضع كانت تعيش فيه امرأة نبيلة في عهد الملك الغوثي ولكاش الأول (51-78م) تدعى (قنى) بضم القاف وتشديد النون، وكانت قنى مريضة بمرض (البرص) جعلها تستقر في مزرعة لها بعيداً عن جلبة العاصمة فطيسفون.

وفي رواية أخرى ضعيفة، أن الملك المذكور كان قد استدعى القديس مار ماري من سلوقية المجاورة لقطيسفون بعد أن اشتكى منه الأهالي بأنه يبشر بالمسيحية ويدعو بذلك إلى دين جديد مخالف للزرادشتية دين البلاد، وأراد الملك أن يمتحن إيمان مار ماري وقوته الروحية، فسأله إن كان يستطيع أن يشفي أخته (قنى) من مرضها فسافر مار ماري إلى المنطقة التي كانت تعيش فيها، وقدر له بنعمة الله تعالى أن يشفيها من مرضها، فمنحت له أرض بنى عليها كنيسة بمعونة المؤمنين وكان ذلك قد تم في أواخر حياته أي بين السنوات (79-82).

وبعد أن بشر في ميشان التي تضم منطقة فرات ميشان والابلة والأهواز أو بيث هوزاي، عاد إلى بلدة دير قنى وتوفي فيها في عام (82) ودفن في داخل الكنيسة التي أسسها أمام المذبح، وكان مار ماري قد أوصى قبيل وفاته أن يكون خلفه في رعاية المسيحيين في العراق وميشان مار فافا([75]).

ونشأت خلال هذه الفترة بجوار الكنيسة بلدة أصبحت محجا للمؤمنين باعتبار أن مار ماري هو أحد تلاميذ رسل المسيح الاثنين والسبعين الذي انتشر بعضهم مع مار ماري يبشرون في المسيحية في المشرق أمثال مار ادا أو أدى ومار توما، وسميت تلك البلدة دور قنى أي مدينة قنى، وصارت موضعاً يدفن فيه جثالقة المشرق من النساطرة.

في أواخر القرن الرابع الميلادي، وفي أيام الملك الساساني بهرام الرابع (388-399) التمس الراهب عبدا أي عبديشوع القناني الذي كان من سكنة بلدة دور قنى أن يسمح للأهالي ومعظمهم من المسيحيين أن يقيموا ديراً فإذن لهم، حينذاك شيدوا ديراً كبيراً لرغبة كثير من الرهبان الذين أرادوا أن يكونوا قريبين من رسول المسيحية في العراق، كما أقيم بعد بناء الدير بفترة مدرسة باسم اسكول مار ماري التي نمت وتطورت خلال القرون التالية([76]).

وفي هذه الفترة أيضاً أي في القرن الرابع الميلادي تبدل اسم البلدة إلى دير قني بدلاً من دور قني، وصار المسيحيون في العراق يزورون مرقد القديس مار ماري مؤسس المسيحية في بلاد ما بين النهرين ويزورون الكنيسة التي أقيمت في البلدة لا سيما في عيد الصليب ليشتركوا في المناسبة التي يحتفل بها الرهبان احتفالاً مهيباً كما كان كل جاثليق أي رئيس للأساقفة حينما يرسم كجاثليق ينبغي أن يزور مرقد القديس مار ماري، وذلك بعد إجراءات التنصيب التي تجري عادة في الكنيسة الأم كنيسة كوخي في ساليق (سلوقية) التي تجاور قطيسفون، فكان يتوجه الجاثليق إلى بلدة دير قنى مع جماعة من الأساقفة والرهبان وعظماء الشعب وثلة من الجنود، ثم يرجع إلى كرسيه في ساليق([77]).

وكان دير مار ماري السليح أي الرسول، يضم بناءاً فخماً وصفه الشابشتي بأنه كان على ستة عشر فرسخاً من (بغداد) وهو دير عظيم كالحصن المنيع وحوله سور ضخم عال محكم البناء وفيه مائة قلاية لرهبانه، وحول كل قلاية بستان وفي الدير من جميع الأثمار والفواكه، وفي وسطه جدول جار ويضيف ياقوت في معجمه على ما تقدم، أن هذه صفاته القديمة أما الآن منتصف القرن الثاني عشر فلم يبق منه غير سوره، والبناء معظمه قد خرب ولا يزال فيه بعض الرهبان، وكأنه خرب بخراب

النهروان، وأن المتحدر من دجلة القريبة منه يرى نوره من بعيد، وقد وصفه الشاعر أبو علي محمد بن الحسن في قصيدة مطلعها:

يا نزل النسك بدير قنى قلبي إليى تلك الربا قد حنا([78]).

وقد خرج من أبناء هذه البلدة السريانية عدد من أعلام العراق بينهم الكاتب والوزير:

علي بن عيسى بن داود الجراح، ومحمد داود بن الجراح، والحسن بن مخلد بن الجراح، والوزير ابن فياض والفيلسوف العراقي الأشهر متى بن يونس والفضل بن يحيى بن فرخان شاه وغيره([79]). وكان عبدون بن مخلد أخو صاعد بن مخلد قد صار في بلدة دير قنى فأقام فيها راهباً للنسك والتعبد حتى وفاته سنة (310هـ).

وقد تطورت اسكول مار ماري في قرون تالية بعد أن أصبحت موئلاً للمنطق والفلسفة والطب واللاهوت، وصارت في القرن السابع تدرس اللغة السريانية واللغة العربية ومن العلوم والمعارف، فقد علمت الفلسفة والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى وعلوم الدين المسيحي، وكان فيها خزانة كتب حافلة تضم أمهات المؤلفات السريانية واليونانية والفارسية التي كانت متداولة في ذلك العصر، وكان من أشهر أساتذتها في التاسع الميلادي إبراهيم قويري وتوفيل وبنيامين، وقد تعلم على يد هؤلاء بعض من طلاب الفلسفة أمثال أبو بشر متى ين يونس القناني (ت 940م) الذي سرعان ما أصبح بعد ذلك من أهم أساتذة اسكول مار ماري ومن أبرز فلاسفة عصره، وقد تعلم على يديه طلاب علم برزوا في الفلسفة أو الطب أمثال أبو نصر محمد الفارابي ويحيى بن عدي وابن السمح وأبو الفرج بن الطيب من أشهر أطباء عصره وغيرهم.

ومن أساتذة المدرسة المذكورة أيضاً الجاثليق إسرائيل (ت 962م) الذي درس في الاسكول حينما كان راهباً ولما صار جاثليقا صار يعلم في الاسكول حتى أصبح من أدباء عصره ومن خطباء زمانه، وقد أكرمه الخلفية المطيع لله العباسي لعلمه ومناقبه الجمة.

ويبدو أن الدير قد أصابه بعض الخراب في القرن الثاني عشر الميلادي كما أسلفنا، فقام مار ايليا الثالث المعروف بأبي حليم (ت 1190م) بإعمار الدير والكنيسة، ويؤخذ من أخبار المؤرخين أن بلدة دير قنى قد استولى عليها الخراب في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، ويشاهد اليوم على ضفة نهر دجلة الشرقية قرب بلدة العزيزية التي تبعد عن بغداد إلى الجنوب زهاء (90كم) أطلالاً هي ما تبقى من دير مار ماري، وهي آخر أثر من بقايا دير قنى الرافدينية السريانية.

ومن الجدير بالذكر أن عدداً من سكنة بلدة دير قوني كما يفضل المسيحيون تسميتها، قد زاروا أطلال البلدة مؤخراً قادمين من مدينة مالابار الهندية، بعد أن كان أسلافهم قد سافروا إلى هناك لتأسيس كنيسة شرقية تضم الآلاف من المسيحيين الذين لا يزالون يتحدثون باللغة السريانية (السورث) حتى الآن إلى جانب اللغة الهندية وهو يشكلون في مالابار مجتمعاً صغيراً يسمون بالقانانيين([80]).

رابعاً: فرات ميشان قرب البصرة:

موقع البصرة المدينة الإسلامية التي مصرت في (17 هـ - 636م) هو الزبير الحالية قد قامت على الضفة القريبة اليوم لما يدعى (كري سعدة) التي كانت في البداية موقع خيام الفاتحين المسلمين حيث ينفصل طريقا الابلة عن طريق الأحواز عند (الخريبة).

إن ضريح الحسن البصري مع المقبرة الأولى المدعوة (الجبان) تقعان قرب سوق (المزبد) بينما أمسى ضريح الإمام أنس بن مالك t اليوم قرب محلة العرنوس القديمة، وكانت محلة (أهل العالية) تقع بين سوق المربد وجامع البصرة وجاء العباسيون عام (132 هـ) ونظموا الري في المدينة متخذين خوض المربد واسطة لذلك، وحيث أن المربد كان محطة للقوافل كان الشعراء يجتمعون هناك حتى لقب المكان بعكاظ الإسلام.

كانت البصرة مصدراً رئيساً لفنون صناعة السفن والقوارب في العراق وكانت هذه الصناعة قد ورثتها عن مدينة فرات ميشان القريبة منها، كان من بين أهل البصرة مسيحيون ويهود يسمون بالراهدنيين من سالكي البصرة في محلتين خاصتين بهما هما: القراؤون والتلموديون وكانت محلة القرائين موطن الحبر اليهودي في البصرة (يغث بن علي البصري) عام (920م) وقد أشر بينامين التطيلي عن وجود (10) الأف يهودي في البصرة يقابل (6000) يهودي في الكوفة قرب مرقد الملك (يهو يكين) الباني لضريح حزقيال وكذلك ضريح الشبان الثلاثة الذين أحرقوا في الاتون والذين يتذكرهم الكوفيون القدماء([81]).

وهكذا نجد أن أرض العراق قديمة وعريقة بالحضارات والشعوب التي ترغب في أن تسكن في هذه الأرض المعطاءة، وهي ذات جذور إنسانية ودينية نابعة من الأقوام التي عاشت فيها في الماضي كالآرميين والأشوريين والبابليين فضلاً عن العرب وهنالك أقوام أخرى عاشت معنا تقاسمنا السراء والضراء.

وقد أدى موت البصرة البطيء في القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر إلى أن تصبح قرية صغيرة تعرف بالزبير ... وقد نشأت بصرة ثانية في شمال العشار وهي الابلة القديمة بالقرب من الشاطئ الأيمن لشط العرب، وكانت هذه البصرة الجديدة واقعة تحت التأثير الزهدي المتمثل بالرفاعية، وهناك صفوة صغيرة مختلفة، تحيط بها أكثرية شيعية غروية.

ولنعد إلى البصرة الأولى، بحسب ما جاء في معجم البلدان فإن المسلمين بعد أن حلوا بالبصرة بقيادة عتبة بن غزوان توجهوا إلى الابلة وهي اليوم العشار واستولوا عليها بسهولة، وبعد الابلة مروا بمدينة تدعى (الفرات) ولابد أنها (فرات – ميشان) ويؤكد وجود مدينة الفرات أشارته مرة أخرى إليها قائلاً: (فلما قاتل عتبة أهل (مدينة الفرات) جعلت امرأته تحرض المؤمنين على القتال ...) وقد وردت مدينة فرات ميشان باسم فرات البصرة بعد ذلك وقال عنها الحموي أنها كورة بهمن – اردشير([82]).

وفرات ميشان مدينة ذات جذور آرامية، نشأت قديماً في منطقة ميشان باسم (براث – ميشان) لعلها وجدت في القرن الثالث قبل الميلاد وكان جيش الإسكندر الأكبر إمبراطور اليونان وأثناء عودته من فتح مصر، قد نزل إلى الأحواز التي كان معظم سكانها من الآراميين والأنباط، وأقام في موقع المحمرة الحالية مدينة سميت خراكس أو خراسين (Chara Ssen) ثم سار محاذيا الفرات وأنشأ ميناء عليه سمي (بابلا Ebla) حينما كان الفرات حتى القرن الثاني قبل الميلاد يجري ودجلة وحدهما حتى يصبا في خليج ميشان (الخليج العربي) وأن بلدة ابلا تغير اسمها في القرون الميلادية الأولى إلى (الابلة) كما شيد جيش الإغريق ميناءاً أخراً فيما يعرف اليوم بجيرزة فيلكة وسماه (ايكاروس).

وكانت فرات ميشان في القرن الرابع للميلاد قد أصبحت مدينة سريانية وأن معظم سكانها من المسيحيين، وكانوا يشتهرون بصناعة القوارب، كما كانت المدينة تعتبر مركزاً للتجارة بين الخليج والعراق وفارس ظلت فرات ميشان قائمة حتى القرن التاسع الميلادي، وكان أسقفها آنذاك عالماً مشهوراً وهو ايشو عدناح الذي انتقل من مدينة فرات ميشان إلى البصرة وتلقب ايشوعدناح بالبصري حباً بالمدينة وكان ايشو عدناح قد ألف كتاباً مهماً في التاريخ السرياني وهو (الديورة في بلاد فارس والعراق) وذلك في عام (860 م) تقريباً وقد ترجم الكتاب إلى العربية وقد سبق كتاب الديورة للشابشتي بأكثر من قرن من الزمن وقد أضاف ايشوعياب في كتابه أسماء ومواقع المدارس في العراق والتي ناهزت الخمسين مدرسة والتي تدرس السريانية واللاهوت والمنطق والرياضيات ومن بينها اسكول مار ماري في دير قني ومدرسة الحيرة والأنبار التي أخذت تدرس اللغة العربية في القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الميلاديين.

مصادر المبحث الخامس

1. قطيسفون (Ctesiphon) عاصمة البارثيين، تبعد (25) كم جنوب بغداد الحالية، بناها الفرس مقابل مدينة (سلوقية دجلة) بعد زوال المجد السلوقيين اليونانيين، خاصة بعد أن غزاها الرومان عام (162م) وقد أعيد بناء قطيسفون مرات عدة أخرها في نهاية القرن الرابع الميلادي على يد كسرى يزدجرد حيث بنى فيها قصراً فخماً اشتهر بارتفاع طاقة المقبب وأطلق العامة على هذه المدينة (سلمان باك) أي سلمان الطاهر، لأنها تضم رفاة الصحابي سلمان الفارسي t، اشتهرت قطيسفون في حروبها ضد البيزنطيين وفي حادثة مقتل أمير العرب النعمان الثالث قبل أن تصبح مركزاً لحركة الجيوش العربية إلى الشام.

2. قلاية: تعبير سرياني للمكان الذي يوفر للإنسان السكينة والوحدة والانعزال يستخدم عادة في الأمكنة التي يسكنها راهب وحده.

3. العزى: صنم أنثى من الأصنام التي شاعت في شبه الجزيرة العربية، وهي إحدى ثلاث أشهر أصنام كانت تعبد مع اللات وهبل، واسم العزى مشتق من العزة أي القوة والرفعة، والعزى بالأصل هي عشتار بين النهرين التي تمثل الحب والحرب معاً والتي تبناها الكنعانيون باسم عشتروت وكان للفرس والعرب منحر يذبحون ضحايا خاصة في الحيرة ومكة قبل الإسلام.

الفصل الخامس

طلائع الثقافة السريانية

المبحث الأول : ازدهار المسيحية في العراق

يمكن القول أنه في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الرابع وبداية القرن السادس، كان نصف سكان العراق تقريباً قد أصبحوا مسيحيين، مستنتجين الأمر من خلال مبالغ الجزية التي فرضها المسلمون على المسيحيين والتي بلغت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب t أكثر من مليون ونصف درهم بالإضافة إلى المبالغ التي دفعها أهل الحيرة والتي بلغت أكثر من تسعين ألف درهم حيث اعتبروا جلهم مسيحيين وأن لم يكونوا كذلك ولذلك سارع الكثيرين من السكان غير المسيحيين لإعلان قبوله للإسلام.

كان معظم المسيحيين في العراق من أصول آشورية وبابلية وآرابية وخاصة في شمال ووسط العراق، أما في الجنوب فكانوا معظمهم من الآراميين الذي سكنوا منذ العصر البابلي الأخير منطقة الأهواز ومصب دجلة والفرات غرب وشرق شط العرب وكذلك في منطقة القادسية وغيرها قبل أن يهاجر العرب بكثرة إلى جنوب العراق ويسكنون خاصة في الحيرة وشثاثة وفيروز – اردشير (الأنبار).

كما هاجرت عدد من القبائل الآرامية والعربي في دولة حاطرا في الربع الأول من القرن الثالث إلى المدن العراقية الأخرى خاصة في منطقة حدياب، وكانت مدن آشور ونيبور ولكش مأهولة بالسكان العراقيين القدماء، بدليل أنه لدينا أوعية وجرار وصلبان تعود إلى المائة الرابعة للميلاد وجدت فيكل من نيبور وآشور([83]).

أما آشور فكانت إحدى المدن العراقية الرئيسة إلى جانب بابل واربيلا وكرخ سلوخ في زمن الإسكندر وخلفاءه السلوقيين وكذلك في زمن حكم الفرس الذين ورثوا اليونانيين في حكم العراق وهناك تماثيل وقصور ومعابد وقبور وجدت في مدينة أشور تعود إلى الفترتين اليونانية والفارسية وخصوصاً البارثيين منهم([84]).

وكانت مدينة حصنا عبراياً، أي الحصن عبر النهر، قد نمت عبر نهر دجلة حول حصن آشوري قديم كان قد بنى على دجلة لحماية مدينة نينوى الأشورية، وكانت هذه البلدة نواة لمدينة (مسبين) الموصل كما سماها الرومان في القرن الرابع الميلادي حينما غزوا طيسفون ومنطقة نينوى لفترة قصيرة([85]).

وكانت حصناً عبراياً تابعة إلى جاثليق مدينة تكريت التي كانت مركزاً للسريان الأرثوذكس في العراق والذين انتقلوا تدريجياً وخاصة بعد الفتح العربي إلى حصنا عبرايا (الموصل) حيث أصبح مركزهم في دير مار متى أما تكريت فكانت في هذه الفترة أي في المائة الخامسة والمائة السادسة تضم حوالي (80000) نسمة معظمهم من النصارى وما قصة الجاثليق سليح والذي سمي في الروايات الإسلامية سطيح وهروبه عندما قفز بحصانه من حصن تكريت إلى نهر دجلة إلا واحدة من الروايات المسيحية التاريخية في تكريت.

وكان السريان في تكريت لديهم شبه استقلال، وكانوا قوة واحدة عند تعرضهم لأي هجوم أو اعتداء فارسي، ويذكر المؤرخ الروماني مرشيلينوس أن أهالي تكريت وغيرها من المدن العراقية قد عانت كثيراً جراء المعاملة السيئة للفرس وخاصة بالنسبة إلى فرض الضرائب على العراقيين والتي زادت

في زمن الملك قباذ (488-531) على مبلغ (150) مليون درهم وكانت تزداد كلما دخل الفرس في معارك وحروب مع الرومان.

كان العراق في تلك الفترة مقسماً إلى عدة مرزبانات أو ولايات أبرزها بيث عرباي غربي دجلة أي منطقة الجزيرة التي كانت مركزها مملكة حاطرا (الحضر) ثم أصبحت تكريت مركزاً لها بعد تدمير حاطرا، وولاية حدياب أو اديابين كما سماها الرومان التي كانت تضم مدناً عديدة أبرزها اربيلا وحزا أما مرزبانة بيث اراماي فتشمل بابل والحيرة وكشكر وشفاثة (عين التمر).

ومن ثم مرزبانة بيث هوزايي (أي منطقة الأهواز) مضافاً إليها منطقة شط العرب وتشمل مدن ابلا أو ابلة (جنوب البصرة) وكرخ – ميشان وهرمز – اردشير وفرات ميشان وبيت لافاط (جنديسابور) وغيرها ثم منطقة طيسفون عاصمة الإمبراطورية الفارسية الساسانية التي تشمل عدة مدن من أبرزها ماحوزا وفيه – اردشير وساباط وسلوقيا (ساليق) وغيرها.

في بداية القرن الخامس، ثم عقد اتفاقية سلام بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية بعد الاضطهاد الرهيب الذي واجهه المسيحيون الساكنين في إيران والعراق وشمال سوريا الذين كانوا تحت السيطرة الفارسية، وقد أقر العاهل الفارسي يزدجرد الأول أويزدكرد بضرورة وضع حد لنزاع دولته مع رعاياها النصارى ليعيشوا بسلام.

وقد أرسل وفداً برياسة (ماروثا) أسقف ميافارقين من قبل الإمبراطورية الرومانية الشرقية في القسطنطينية إلى الملك يزدكرد، وقد ترك (ماروثا) أثراً حسناً في نفس الملك الذي أولاه ثقته، وقد أمر يزدكرد بإعادة بناء الكنائس المخربة وإطلاق سراح السجناء بسبب عقيدتهم النصرانية، وسمح لرجال الدين المسيحيين بالتجول والترحال في كل مكان في أنحاء الإمبراطورية، وقد حث المطران (ماروثا) الملك على السماح بعقد مجمع كنسي للأساقفة في العراق وجنوب إيران في مدينة سلوقية لتحقيق وحدة الكنيسة المسيحية، وقد عقد هذا المجمع في مطلع القرن الخامس (410م) تحت رياسة اسحق أسقف سلوقية، وكانت من نتائج المجمع أن ارسيت سلسلة من القواعد التي أدت إلى اتفاق الكنيسة الشرقية مع القواعد المعمول بها في الكنيسة الغربية في سوريا البيزنطية.

كانت مطرانية سلوقية وطيسفون، تعمل تحت سلطة أسقفيات بيت لافاط (جنديسابور) ونصيبين، وفرات (برات) ميان واربل وكرخا سلوخ وقد خضع لهذه المطرانيات ما يقرب من ثلاثين كنيسة منتشرة في مدن وبلدات عراقية أخرى([86]).

وكان يزدكرد قد ترك من بعده ثلاثة أبناءهم سابور وبهرام ونرسي، وكان يزدكرد قد أقام (سابور) ملكاً على الجزء التابع للمالكة من آرمينية، وكان نرسي ابن أم يهودية، قاصراً، أما بهرام كور أو جور فلعله كان عليلاً أو ضعيفاً حيث أرسل إلى الحيرة لينشأ هناك نشأة قوية ويتدرب على الفروسية والعادات العربية في بلاد الملك نعمان الثالث.

إن بعض المصادر السريانية، وكذلك المدونات الكنسية تشير إلى أن بهرام جور الأمير الفارسي العليل، لم يتلق العلاج في الحيرة وحسب، بل وتلقى أفكاراً مسيحية في بلاط النعمان الذي كان قد اهتدى إلى المسيحية بتأثير الجاثليق شمعون، الذي كان من بني الحارث بن كعب وكان أحد أجداده ذات يوم من مؤسسي الحيرة([87]).

وكان رجال البلاط والنبلاء والموبذات يحقدون على الملك يزدكرد أو يزدجرد بسبب تساهله مع النصارى، وهكذا جرت الأمور بعد وفاته إذ أسرع ابنه الملك شابور إلى طيسفون، ولكن الحاشية في البلاط تمكنت من اغتياله، ونصبت مكانه أميراً اسمه كسرى ملكاً على البلاد، وهو من الأسر الملكية ومن فرع بعيد عن عائلة الملك يزدجرد، ولكن الأمير بهرام، لم ينتظر أن يهزم بغير معركة، وقد أمده النعمان اللخمي بجيش، وتقول المصادر الإسلامية أن الأمير ومعه ابن ملك الحيرة، ساراً على رأس فرقتين هما (الدوسر) وهي فرقة مقاتلة من أهل الحيرة والأخرى الشهباء وهي للفرس كانت محطتها في الحيرة وتقدما نحو طيسفون فارتاعت الحاشية الفارسية المتآمرة، ويبدو أن الجيش الفارسي لم يتحرك من مواقعه في طيسفون، وبدأت الحاشية تفاوض الأمير بهرام وأصر أن يستعيد الملك، وتم عزل كسرى وولي بهرام العرش الفارسي.

وارتاح المسيحيون في إيران والعراق لتنصيب بهرام ملكاً على الدولة الفارسية لتآلفه مع المظاهر المسيحية التي كانت موجودة في المدن العراقية وخاصة في سلوقية واربل وكرخ سلوخ وكشكر والحيرة وعاقولا التي كانت تعج بالأديرة والكنائس بالإضافة إلى أن الملك بهرام كان ينفر من الزرادشتية بحكم التوجهات المسيحية في بلاط الملك النعمان، بالإضافة إلى ذلك أنه بعد ذلك مال إلى مباهج الحياة والترف.

خلف بهرام، الملك بهرام الخامس، الذي بدأ أيام ملكه باضطهاد المسيحيين بتدبير من الموبذان (رئيس الطائفة الزرادشتية) موبد فهر شابور، الذي كان كبير مستشاري الملك، ولذلك أخذ النصارى من العراقيين يفرون إلى الأراضي السورية في حماية الدولة الرومانية البيزنطية، كما فر الموظف الإيراني الكبير الذي أنيط به اضطهاد النصارى، وكان من نتيجة كل ذلك أن قامت حرباً بين الفرس والبيزنطيين، كان للبيزنطيين التفوق بوجه عام، وانتهت بعقد صلح بينهما في عام (422م) من بين شروطه اعتراف الفرس للنصارى بحرية العقيدة.

وازدهرت المسيحية في هذا القرن في الحيرة، وجنوب العراق حيث أصبحت الحيرة أسقفية تابعة مباشرة لجاثليق ساليق – طيسفون عاصمة للبلاد، وأول مطران أو جاثليق للحيرة كان عبد يشوع في عهد النعمان الأول عام (410)، فلما حل في الحيرة سعى إلى بناء دير سمي دير (بني)، جاء من بعده الأسقف شمعون العربي ثم الأسقف شمعون الثاني (486م) وايليا (497م) ونرساي (524) ومن كنائسها المشهورة بيعة (توما) التي ذكرها صاحب الأغاني وبيعة (دير اللج) التي اشتهرت في الاحتفالات الدينية في عهد الملك النعمان الأخير في بداية القرن السابع الميلادي وكذلك كنيسة الباعوثة التي ذكرى الهمذاني.

وفي نهاية القرن الخامس الميلادي كان السريان في ذلك الحين في سوريا والعراق يتجادلون في إحدى المسائل اللاهوتية الأصولية، فكان النساطرة يقولون أن ليسوع المسيح طبيعتين متميزتين إحداهما إنسانية والثانية الهية، بينما كان القائلون بوحدة الطبيعة وهم (المونوفيزيون) أو ذوي الطبيعة الواحدة، اللذين يقولون أن هاتين الطبيعتين قد وحدتا في شخص المسيح.

وبدى تدريجياً أن الفريقين أصبحا في مفترق الطرق، وكان الجدال قائماً في مدرسة الرها شمال حران، حيث كان نصارى العراق وإيران يتلقون الثقافة الدينية والفلسفية، وحينما تولى الأب (ايباس Ebas) إدارة المدرسة أخذ يبشر بالفكر النسطوري، لكن بعد وفاته سنة (457) تم طرد رجال الدين النساطرة من الرها من بينهم (برصوما)، وكان فيما يظهر رجلاً متميزاً ذو ثقافة ومنطق مقنع

فاستطاع أن يكسب عطف الملك الساساني في طيسفون في زمن الملك فيروز، وبذلك أتيح له مجال لينشر أفكاره في ساليق وطيسفون مركز المسيحية في العراق وإيران، ثم انتقلت الآراء النسطورية بين السريان في معظم أنحاء الولايات في العراق في حدياب وبيث كرماي وبيث ارامايي ومملكة الحيرة وكشكر، وربما ساعد الملك الفارسي في ميله إلى هذه الطائفة على انقسام مسيحيي العراق عن مسيحيي سوريا ليضمن دعمهم ومساعدتهم في المال والرجال وخصوصاً في الحيرة التي كانت قبائلها تقابل القبائل الغسانية التي كانت أيضاً في معظمها مسيحية وكانت القبائل العربية على حافات الصحراء السورية أي المنطقة التي تمتد من عين التمر (شثاثة) وحتى أطراف بطرا وتدمر وبصرى وسرجيوبوليس (رصافا) شمال سوريا كانت تعتبر بالنسبة للإمبراطوريتين المتنافستين منطقة عازلة (Buffer Zone).

لم يظهر عداء واضح للمسيحية في القرن الخامس، لأن الإمبراطورية الرومانية (بيزنطة) كانت مشغولة بالفتن الناشئة من غزوات البرابرة على أوربا، فلم تشكل خطراً على الإمبراطورية الساسانية، وفي عهد الملك بلاش (أوولكاش) كان الأسقف (برصوما) موضع رعاية الحكم الساساني، وقد أرسله الملك الساساني إلى القسطنطينية لإبلاغ البيزنطيين بارتقاء الملك بلاش العرش الساساني، ثم أمره الملك في عودته أن يبقى في نصيبين لتسوية مسألة الحدود ويبتعد عن المجمع الذي دعا إليه الجاثليق (اكاس) في سلوقيا.

وهكذا استقرت النسطورية في العراق وإيران فيما عدا مدينة تكريت التي أصبحت مركزاً للسريان المونوفوسنين في العراق، وبعد إغلاق مدرسة (الرها) مرة أخرة من قبل الإمبراطور زينون التي كان رئيسها الأسقف برصوما، تحول تلميذه نرسيس إلى نصيبين فأقام مدرسة فلسفية ذات ميول نسطورية بقيت تدعم الكنيسة في العراق حتى وفاة الأسقف برصوما عام (495).

وفي النصف الثاني من القرن الخامس، كانت المسيحية قد أجيزت تقريباً في الدولة الساسانية، ولم يقم عداءاً ضدها سوى مضايقات الموبيذانات الفارسية أصحاب معابد النار ونكايات موظفي الضرائب الذين كانوا يريدون أن يفرضوا على النصارى ضرائب عالية تختلف عن بقية المواطنين، وقد أقامت السريانية الشرقية دستورها في مجاميع سنة (410) وسنة (420) التي عقدت في عاصمة البلاد طيسفون وتحت أنظارها، وقد تم ذلك بمساعدة رسولين وصلا من قبل إمبراطور بيزنطة هما الأسقف (ماروثا) أسقف ميافارقين، والأسقف اكاس الذي يترأس كنيسة (آمد).

ولذلك استطاع السريان النسطوريون تجنب الاضطهاد المنظم، والعيش بهدوء في هذا القرن تحت الإرشاد الروحي من جثالقتهم وأساقفتهم، كما استطاعوا أن يرسلوا مندوبين عنهم إلى مملكة الحيرة والمدن التابعة لها في كشكر وفرات – ميسان وكرخا – ميسان وغيرها حيث اهتدى آلاف العرب وأقاموا الكنائس والأديرة في الحيرة وكشكر، كما أقام أولئك النساطرة الذين طردوا من الإمبراطورية البيزنطية، مدارس للثقافة والعلوم السريانية حيث درست فيها الديانة المسيحية واللغة السريانية والفلسفة واللاهوت والأدب.

وفي القرن السادس كان النصارى قد منحوا حرية العقيدة بعد الصلح الذي تم بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية عام (562) ومن الجائز أن تكون مزامير العهد القديم قد ترجمت من السريانية إلى البهلوية في عهد (كسرى انوشروان)، وقد عثر على أجزاء من هذه الترجمة في تركستان وهي

موجودة في متحف برلين، وقد ألف (بولس أو بول برسا) مطران نصيبين أيام الجاثليق يوسف كتاباً عن المسيحية وقد أضاف إليه عرضاً عاماً للآراء المختلفة المتعلقة بوجود الله والكون.

وبعد أن أوصدت روما أبواب مدرسة أثينا الفلسفية لتشددها في الديانة عام (529)، واضطهدت فلاسفتها، هرب بعض منهم إلى العراق واحتموا بالبلاط الساساني وهم: (دماسكيوس السرياني وسمبليكوس الصقلي وايليموس الفريجي وديوجين، وايزودور Isidore البابلي)، بالإضافة إلى ذلك كانت الثقافة والعمارة والفلسفة الهلنستية قد أنعشت الفكر في العراق على مستوى السريان والفرس وسرت إلى المدارس والثقافة الدينية والعلمية، كما أن للثقافة الفارسية والهندية تأثيرها الخصب على الثقافة السائدة في العراق.

ومن الجدير بالذكر أن الباحث المعروف كريستنسن، المتخصص في تاريخ الفرس، قد أشار إلى أن السريان نقلوا كتب الحكمة الهندية إلى السريانية ومن بينها كليلة ودمنة وقطع نثرية وشعرية في الحكمة، ويبدو أن كليلة ودمنة ترجمت في وقت مبكر من القرن السابع إلى العربية أيضاً.

وبعد الحرب التي قامت في مفتتح القرن السابع طويلاً بين بيزنطة والساسانيين، استطاع الفرس أن يستولوا على أنطاكيا ومن ثم الزحف إلى دمشق وبيت المقدس حيث انتزعوا صليب المسيح الذي كان معلقاً في كنيسة المهد، وبعثوا به إلى كسرى في طيسفون عام (615)، ولم تمض بضعة سنوات حتى زحف الخزريون الأتراك على بلاد الرافدين حتى وصلوا إلى طيسفون فحاصروها سنة (628) فهرب الملك وحاشيته.

وفي هذه الفترة كان يزدين السرياني، وهو من أصل آرامي قد شغل منصباً كبيراً في الإدارة المالية بمدينة كرخا سلوخ، وقد وهب هبة عظيمة لصومعة أنشأتها شيرين زوجة الملك النصرانية التي شيدت أديرة وكنائس على طراز كنيسة بيت لحم في القدس.

كان المسيحيون العراقيون قد اهتزت مشاعرهم عند استحواذ ملك الفرس على أحد رموز المسيحية العظيمة (الصليب) وقد أودع الملك الصليب المقدس في بيت المال الجديد الذي أنشأه بقرب قصره في طيسفون، لكن عندما هاج اليهود في القدس والكنيسة، أمر الملك الفارسي بإلقاء القبض على العابثين وصلبهم كما صادر أملاكهم بأمر من الملك دمشورة (يزدين) الذي سعى إلى تعمير ما تهدم من الكنائس.

أما كسرى فقد سال لعابه عندما أخبره الوشاة بأن يزيدين يمتلك أكواماً من الذهب، فأمر كسرى بقتل يزدين وبتعذيب زوجته لعلها تخبره عن مكان كنوز زوجها التي بولغ بها.

كان آنذاك الملك النعمان الثالث ملك عرب الحيرة الذي اعتنق المسيحية، وكان فريسة لمزاج كسرى الحقود، وقد قيل أن النعمان رفض مصاحبة كسرى حينما كان هارباً من الخزريين الذين حاصروا طيسفون، كما أنه أبى أن يزوجه ابنته، وفي السنوات (595-604) سجنه كسرى ثم قتله وانتزع حينئذ مملكة الحيرة من سلالة بني لخم ليعهد بها إلى إياس الطائي، وأقام معه قائداً من الفرس رقيباً عليه يعرف بلقب (نخويركان)، وكان الجشع والقسوة والقتل أبرز صفات كسرى الثاني ففي الثمانية والثلاثين عاماً التي حكم فيها، جمع بكل ما استطاع من الوسائل أموالاً ضخمة.

وفي السنة الثامنة عشر من حكمه (607-608)، نقل كسرى كما ذكر كريستنس ما يعادل (خمسة وسبعين وثلثماية مليون فرنك من الذهب) إضافة إلى مقادير هائلة من الجواهر والكسي الموشاة

بالذهب، وغادر إلى القصر جديد بناه في بلدة (دستكرد – خسرو) التي تقع على الطريق الحربي الكبير الذي يتجه إلى همدان على مسافة نحو (700 كم) شمال شرق طيسفون قرب بلدة (قصر شيرين)، إذ لم يكن يأمن أقاربه الموجودين في قصره المنيف في طيسفون.

وفي مدة أربع سنوات تقريباً بتولي يزدجرد الثالث، الذي انهزم جيشه القوي بقيادة رستم أمام المقاتلين المسلمين، ووصل القائد سعد بن أبي وقاص طيسفون بعد هزيمة جيش الفرس بالقادسية، وعسكر بجيشه أمام قصر كسرى، وجمع من القصر كنوزاً وأكواماً من الذهب والفضة والجواهر بالإضافة إلى السجاجيد والثياب ودواب عليها حلية كسرى ووشاحه ودرعه التي كانت منقوشة بالجواهر وأرسلها إلى المدينة كما أرسل سيوف يزدجرد والنعمان الثالث وتاج (كسرى) إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالإضافة إلى سبايا من نساء العائلة المالكة من بينهن بنات ملك الملوك يزدجرد الثالث.

ومن الجدير بالذكر ان النسطورية انتشرت في العراق وإيران وذهبت أبعد من ذلك إلى الهند ووصلت إلى الصين، وفي مدينة بيان – فو من أعمال الصين، اكتشفت نصب تذكاري كتب عليه باللغتين السريانية والصينية أسماء سبعة وستين مسيحياً سريانياً من المرسلين الذين وصلوا إلى هذه المدينة سنة (635م) وذلك تخليداً لجهودهم في هداية البشر، وبواسطة الخط السرياني، أصبحت آنذاك تكتب به اللغتان المنغولية والمنشورية، أما في الهند فقد ترسخت الصلات بالسريانية والنسطوري في الشاطئ الغربي للبلاد ولاسيما في (ملبار).

أما الكنيسة الغربية أو السورية، فقد تحولت إلى الطائفة الأورثوذكسية التي انتشرت في سوريا وخاصة في الشام وحلب، كما دعمت أصحاب الطبيعة الواحدة شمالاً إلى أرمينيا التي أصبحت أول دولة تؤمن بالمسيحية وفي وقت مبكر ثم جنوباً إلى مصر حيث الأقباط الذي اعتنقوا المسيحية وهم جزء من الكنيسة الأرثوذكسية مع نوع من الاستقلال وكانت المسيحية في مصر شأنها شأن العراق وسوريا ولبنان وفلسطين تمثل غالبية السكان قبل الإسلام حتى منتصف القرن السابع الميلادي ثم بدأ عددهم ينحسر تدريجياً.

المبحث الثاني : مظاهر الثقافة السريانية

خلال التطورات الاجتماعية التي سادت في بلاد ما بين النهرين وسوريا وذلك بانتشار المسيحية وظهور ثقافة جديدة هي مزيج من التراث البابلي والآرامي والتأثيرات الفلسفية اليونانية، وهي الثقافة السريانية، بدأت تدريجياً تميز السكان في كل من العراق وسوريا على الرغم من أن هذين البلدين كانا تحت الهيمنة الفارسية واليونانية ومن ثم الرومان البيزنطيين وجابه سكانهما صنوفاً من الاضطهاد، كما حدث مثلاً في سوريا في عهد الإمبراطور دقليانوس والذي تصاعد في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث حتى اهتداء الإمبراطور كونستانتين (قسطنطين) إلى المسيحية عام (313م) حينما صدر مرسوم ميلانو الذي سمح بحرية جميع الأديان السماوية والوثنية، تبع ذلك الاضطهاد الأربعيني (339-379) الذي قام به ملك الفرس ظناً منه أن المسيحيين في العراق لابد أن يكونوا طابوراً خامساً للرومان، ولكن الوقائع أثبتت فيما بعد خطأه.

ونظراً لسهولة اللغة السريانية لفظاً وكتابة قياساً إلى اللغتين الفارسية واليونانية، فقد بدأت تنتشر في بلدان الهلال الخصيب خصوصاً وأن الموجات الجديدة للقبائل العربية كانت لا تزال بعيدة عن التعليم.

وكان السريان يكتبون على نمطين أو نموذجين، هما النموذج السرياني الغربي في سوريا والنموذج السرياني الشرقي في بلاد ما بين النهرين اللذان تكونا نتيجة للصراع بين مذهبين مسيحيين على أثر انقسامهم إلى سريان نساطرة وسريان يعاقبة في منتصف القرن الخامس.

وتذكر الهيئة السوفيتية الناشرة لبحوث العالمة في علوم السريان بالاتحاد السوفيتي السابق، السيدة نينا بيكوليفسكايا: (أن السريان والثقافة السريانية لعبتا دوراً عظيماً للغاية ابان القرون الميلادية السبعة الأولى على نطاق التاريخ الحضاري لمنطقة الشرق الأدنى، فقد لعب السريان دور حلقة الوصل بين حضارات وثقافات ذلك العصر وخاصة الحضارتين الفارسية واليونانية وبين أقوام الهلال الخصيب (العراق، سوريا، لبنان، الأردن، وفلسطين) وقد تنامى هذا الدور وتعاظم في القرنيين السابع للميلاد والثامن عندما حدث الاحتكاك الحضاري والديني في بدء نشوء الخلافة الإسلامية بين القوتين الأعظم المسيحية ومعها الغرب والبيزنطيين وبين الشرق الإسلامي.

ونظراً لقرب السريان من العرب لأن بعضهم يعود في أصوله إلى العرب، فقد برزوا كوسطاء فاعلين لنقل القيم الثقافية والفلسفية وتبادلها بين الشرق والغرب، فقد اطلع السريان أخوانهم العرب على تراث العلوم القديمة – على مؤلفات أفلاطون وأرسطو في الفلسفية وكتابات جالينوس وابيقراط غيرهما في الطب والصيدلة.

كانت ثقافة السريان تزداد عمقاً واتساعاً على أثر المناقشات والجدالات الفكرية المطروحة بين الفلسفات القائمة في العراق وسوريا، مثل الفلسفة اليونانية وكذلك جابهت المسيحية عقائد فكرية ومذاهب فلسفية مدعومة من قبل الدولتين الفارسية والبيزنطية كالزرادشتية والمانوية([,])، والديانات الوثنية اليونانية والرومانية، فاكتسبوا خبرة ومعرفة واسعة في الفلسفة والعقائد والمنطق.

يضاف إلى ذلك مناقشات المسيحيين الحامية فيما بينهم من خلال المجامع الكنسية أي المؤتمرات المسيحية في القرن الخامس والتي انتهت بانقسامها إلى مذهبين رئيسيين هما النسطورية واليعقوبية،

وقد مر الصراع المذهبي المسيحي في القرون الميلادية الأولى في طورين أساسيين يتمثل أولهما في إرساء الأسس اللاهوتية (الفقهية) للدين المسيحي، وكان من أبرز معالمه الصراع ضد الاريوسية([,]).

في حين أن الطور الثاني تميز بالمجادلات العنيفة والنقاشات المذهبية التي كان الحكم الفارسي يؤججها، ويسعرها بين النساطرة المونوفيزيين ([,]) والخلقيدونيين ([,]) حول طبيعة يسوع المسيح وأمه مريم العذراء ومفهوم تجسد المسيح وأخيراً مفهوم كلمة الله، الفلسفي أو اللوكوس (Logos).

بعد توسع النصرانية في القرن الثالث الميلادي خصوصاً في إقليم طيسفون وحدياب وبيت هوزاي (الأهواز) وكذلك في حران وانطاكيا، بدأت كثير من المعارف تزدهر على أثر انتشار المدارس السريانية في معظم المدن الرئيسية في كل من العراق وسوريا، وقد برز عدد من العلماء السريان من بينهم الأب (شلحوفا) أسقف اربيل (ت 253) وكان قد ولد وترعرع في مدينة كشكر (واسط) ثم درس في مدرسة طيسفون، وبعد ذلك أصبح مدرساً نشيطاً في مدارس العراق لكن مؤلفاته مفقودة لذلك لم يصلنا منها شيء.

وفي أواخر القرن الرابع أيام الملك بهرام الرابع التمس الراهب العراقي عبداً أو عبد يشوع القناني (نسبة إلى بلدة دير قني (قرب العزيزية) من جاثليق طيسفون، أن يشيد ديراً في أنحاء القبائل العربية الوافدة إلى الحيرة، فلبي طلبة ثم بنى ديراً آخراً في (دير قني) باسم (مار ماري) وألحق به مدرسة عالية عظم شأنها حتى أصبح فيها ستون معلماً من رجال الدين والعلمانيين، وتخرج فيها كثير من المتعلمين والأساقفة وأشهرهم الأب (مار أحي) الذي أصبح جاثلقيا فيما بعد وتوفي سنة (415م) وكذلك الجاثليق (مار يابالاها ت 420) فلما سمع الملك يزدجرد بشهرة الأب عبد يشوع، انفذه سفيراً لفارس ليحسم الخلاف بينه وبين أخيه (بيهورين شابور) الذي كان قد هرب إلى بيزنطية على أثر خلاف بينهما.

فقام بما عهد إليه من مهمة أحسن قيام، وبحث وهو في طريق عودته عن رفات الشهداء المسيحيين في عهد الاضطهاد الأربعيني، ووضع كتاباً جلياً سطر فيه أصولهم وأخبارهم وخصوصاً أولئك الذين سمع عنهم([88]). أما مار ماري فبعد أن صار جاثليقا، أرسله الملك يزدجرد إلى القسطنطينية لمقابلة إمبراطور الروم (ثيودوسيوس الثاني 408-450) لتوثيق روابط الصلح والسلم بين الإمبراطوريتين، وكان من أهم أعماله تجديد بناء بيعة طيسفون الكبرى كما ابتنى ديراً في بلدة دسكرة الواقعة على ضفة نهر ملكا في إقليم طيسفون.

ومن أشهر القصور المسيحية القصر الأبيض في الحيرة الذي أقامه جابر بن شمعون أسقف الحيرة وأحد أبناء أوس بن قلام، وكان قد أتاه الملك النعمان مع عدي بن زيد وطلب منه مالاً يستعين به على أمره عند كسرى، فضيفهما ثلاثة أيام وأعطى لملك الحيرة ثمانين ألف درهم([89]).

أما عدد الديارات في العراق فقد زادت على المائتي ديراً ذكر معظمها (الشابشتي) فمثلاً أن الملك النعمان بن المنذر (أبو قابوس) (585-613م) بنى دير (اللج) في الحيرة، وكان دير مار متى من أروع الأديرة في حصننا عبرايا.

كانت خزائن الكتب والمكتبات في تلك الأديرة معيناً لا ينضب طيلة وجود تلك الأديرة التي امتد بعضها إلى الوقت الحاضر والتي حفلت بأنفس المصادر والمخطوطات التي تحدثت عن ثقافة وعلوم السريان منذ القرن الخامس الميلادي وحتى الوقت الحاضر، كتبت ليس في السريانية

وحسب، بل أحياناً باللغة العربية والفارسية خاصة بعد الإسلام، وأشار المستشرق الفرنسي الأب شابو إلى نيف وثلاثة آلاف مخطوطة بقيت صامدة عشرات السنوات ونقل قسم منها إلى مكتبات الفاتيكان وجامعة لوفان في بلجيكا والمكتبة البريطانية والمكتبة الوطنية الألمانية.

واشتهرت بعضها خصوصاً تلك التي تضم الكتابات الآرامية والسريانية الأولى للكتاب المقدس التي وجد بعضها منقوشة ومجلدة وذات زخارف ملونة، وكان بعضها تضم هوامش ملونة بالحبر الأحمر والأخضر رسم عليها أشجاراً وأشكالاً من الزهور والورد والأغصان وأوراق الشجر متأثرة بالفن الهلنستي والفن الفارسي، وقد أخذها فيما بعد النساخ العرب خاصة إبان الدولة العباسية حينما ازدهرت الثقافة العربية ورسمت على المخطوطات الأشكال النباتية والشجرية.

اشتهر نصارى العراق بالموسيقى الكنيسة واستعلموا الدف والنقارة في المناسبات الدينية والأعياد خاصة أعياد الميلاد والقيامة، ووضع الأدباء السريان وشعرائهم شعراً دينياً رائعاً لا يزال يتداول حتى يومنا هذا التي تمثل التقرب إلى الله والمسيح ومريم العذراء شفيعة المسيحيين.

واشتهر من المهتمين في الموسيقى الدينية الربان (الراهب) سيروي (ت سنة 630م) وولداه راميشوع وجبرائيل، وكذلك باسيليوس التكريتي، قال الابشيهي في المستطرف: (لأهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون من خلالها الله تعالى، ويبكون على خطاياهم، وخطايا البشر ويتذكرون الحيرة من السريان، فاستعملوا في مآدبهم وأعراسهم ومجالهم الكنارات والطبول والدفوف والصنوج والأبواق والنواقيس أحياناً، واستعاروا من الروم الأرغن وإله تشبه العود لكنها أطول منه، أما الغناء الحيري فقد طارت شهرته في الأفاق.

كان أهل العراق يتعاطون البيع والشراء فينفذون إلى الأسواق المنتشرة في أقاليم العراق والجزيرة للمقايضة مع عرب الغساسنة على الرغم من العداوة الموجودة بينهم وبين عرب الحيرة، وكان العراقيون يتاجرون عادة بالبز والعطر والالطاف التي تجلب من الهند وسواحل عمان.

لما تربع على عرش الساسانيين كسرى الثاني ابرويز (590-628م) خاف رجال الدين المسيحيين من أذاه، فتركوا مركزهم في العاصمة طيسفون ومنهم جاثليق العراق (ايشو عياب الارزني)، لكنه عاد بعد حين، عندما وجد أن الملك اعتمد في أطباءه على السريان، بل أنفذ طبيبه الخاص (مار آبا الكشكري) سفيراً إلى الإمبراطور موريكوس (موريقي) لأمور خطيرة تهم الدولتين، كما ولى يزدين السرياني، مشرفاً على حسابات إقليم باجرمي في شمال العراق، وأقام يوحنا الكشكري أمينا لخزانته، هذا فضلاً أن السريان علموا أن الملك كان متزوجاً بإمرأتين مسيحيتين هما (مريم) ابنة ملك الروم موريكوس (و شيرين) السريانية من مدينة (فرات ميشان)، فشيد إلى الزوجة الأولى كنيسة، وشيد للثانية قصراً جميلاً أصبح علماً في زمانه. بحيث سميت بلدة (بلاشبار) التي بنى فيها القصر فيما بعد بـ (قصر شيرين).

إن الانتشار الواسع للثقافة والعلوم السريانية مرتبط بتاريخ مدن ما بين النهرين والتي تشغل مدن طيسفون وجنديسابور والرها ونصيبين، المكانة الأكثر ريادة وطليعية بينها، سواء كمواقع اجتماعية أو كمراكز تجارية وتعليمية على مستوى رفيع من المعرفة والتنظيم.

لقد استطاعت الكتابة والقراءة والتقاليد المدرسية التي استمرت وتوارثت منذ القرن الثالث الميلادي، أن تيسر استيعاب اللغة السريانية، وتساعد على استخدامها كلغة عالمية لعبت دور الوسيط الفعال ما بين الروم والمسيحيين في سوريا وبين السريان في بلاد ما بين النهرين الذين كانوا ينتشرون في

العراق في هذه الفترة أي بين منتصف القرن الثالث حتى منتصف القرن السابع تقريباً وبالرغم من موجات الاضطهادات الفارسية والبيزنطيين قبل اهتدائها إلى المسيحية، فإن السريان بثقافتهم القومية والشعبية لعبوا دوراً اجتماعياً وإنسانياً في استقرار المجتمعين العراقي والسوري، وحموا تراث البلاد وأصالتها.

لهذا أصبح السريان أعضاء بارزين ومترجمين في اللقاءات والمباحثات بين الإمبراطوريتين المتصارعتين في منطقة الهلال الخصيب، وتم اعتمادهم في البعثات الدبوماسية وتسليم الرسائل الخطيرة التي كان يجري تبادلها بين الإمبراطوريتين، وكانت إجادتهم إلى اللغات اليونانية والفارسية والعربية بالإضافة إلى تميزهم وهم في معظمهم من رجال الدين، بالثقافة والمنطق والإيمان والجرأة، بل أن عدداً منهم كانوا موجودين باستمرار في البلاط الساساني وعلى مقربة من ملوك الفرس إلى درجة من الصعب الاستغناء عنهم([90]).

كان في العراق ما يقرب من خمسين مدرسة سريانية منظمة تعلم في صفوفها العلوم السريانية واليونانية من دين وفلسفة ولغات وطب وفلك، ومنذ المائة الخامسة للميلاد، أخذ نصارى العراق يدرسون فلسفة أفلاطون وأرسطو وينقلون مصنفاتهما إلى لسانهم، هذا فضلاً عن المدارس والجامعات التي نشأت في المدن التي أنشأها الأسرى الانطاكيون في جنديسابور وماحوزا قرب طيسفون وماحوزا الثانية قرب اربيل بالإضافة إلى أن عدداً منهم من الذين أرسلوا إلى جنديسابور كانوا ذوي ثقافة جيدة من بينهم الضباط المدربون والمهندسون الذين يبنون الطرق المعبدة والجسور والأطباء، هؤلاء الذين جلبوا من قبل الملك هرمزد بهرام الأول (272-273م) أثر انتصاره على البيزنطيين واحتلال أهم مدنهم انطاكيا.

وقد أصبحت جنديسابور، كما ذكرنا مركزاً مشعاً للعلم وكانت مدرستها بمستوى جامعة في القرون الوسطى كما عرفت هذه المدرسة بمكتبتها التي حوت صنوفاً من المخطوطات اليونانية والفارسية والسريانية التي وردت أخبارها بشكل مستمر في أمهات كتب التاريخ العربية – الإسلامية حتى القرن التاسع الميلادي.

وقد قسم السريان المدارس إلى قسمين: أولية أو ابتدائية وأخرى عالية، فأداروا ونظموا منذ القرن الرابع أربع مدارس عالية أو جامعات منظمة في مدن انطاكيا والرها ونصيبين وجندسابور، وأصبحت هذه المدارس محط اهتمام رواد الثقافة والعلم وتراهم وهم يشدون إليها الرحال من جميع أنحاء العراق وجنوب غربي إيران وشمال سوريا.

أما المدارس التعليمية التي كانت تدرس اللغة السريانية وآدابها فقد انتشرت في المدن الرئيسية للعراق كما ذكرنا، فمثلاً أن المعلم (إبراهيم النتفري) الذي عاش في أواسط القرن السادس، شيد عدة مدارس في اربيل ووضع رسائل كثر في علوم مختلفة، وأن بولس المعلم أسس غيرها وعلم في مدرسة اربيل أكثر من ثلاثين سنة، ودعي إلى القسطنطينية من قبل الإمبراطور البيزنطي (يوسنيانوس) ليلقي محاضرات فلسفية ويقدم شروحاً للكتاب المقدس على بعض وزرائه، ولا ننسى مدرسة (بيت شاهات) في حصننا عبرايا التي حوت في صفوفها نيفاً وثلاثماية تلميذ([91]). وكذلك مدرسة كرخ – سلوخ ومدارس طيسفون وكشكر والحيرة([92]).

أما الكنائس والأديرة أو الديارات في العراق فكانت موجودة في جميع المدن، بل كانت أحياناً تبنى بين المدن، فقد كانت مثلاً بين الحيرة و (الكوفة) أديرة عدة وكذلك بينها وبين شفاثة.

وأشهر الكنائس بعد الكنيسة الاولى كوخي في طيسفون والكنيسة الخضراء الضخمة التي شادها في تكريتا أو تكريت المطران السرياني الأورثوذكسي (مار ماروثا) (ت639م) وقد بولغ في تنميقها وزخرفتها وصور القديسين فيها وكذلك كنيسة طيسفون وكنيسة الحيرة واشتهرت في الأيام الأولى للإسلام كنيسة أم خالد التي أقامها والي الكوفة خالد عبد الله القسري في ذكرى أمه المسيحية، ثم بيعة عدي بن الدميك اللخمي التي بنيت أيضاً في الكوفة، كما اشتهرت كنيسة مار دانيال في بابل التي هدمت خلال الاضطهاد الأربعيني (339-379م) واشتهر أهل الحيرة بالتجارة فكانت قوافلهم تخرج من العراق إلى أنسابهم في اليمن، وكانت تقام في بلدة (بقة) إحدى ارباض الحيرة سوق عامة وهنالك اجتمع في إحدى السنين الحكم بن أبي العاص الذي كان لديه عطراً للبيع ووافاها حاتم الطائي المشهور بضيافته وكرمه، وجاء في فتوح البلدان أنه اجتمع في إحدى السنين مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوصفوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء اللغة السريانية، وكانت العلاقة قوية بينهم وبين عرب اليمن وعرب البحرين فكانوا يحملون لهم البضائع الفارسية وخصوصاً السجاجيد.

واشتغل نصارى العراق بالحدادة والصياغة والحياكة فألموا بأطراف هذه الصناعات وأتقنوا أشغالها وعرفوا ضروب زخارفها، هذا فضلاً عما عرفوه من فنون التجارة التي كانت مزدهرة في بلاد الفرس وتفننوا في عمل المنابر والمقاصير لكنائسهم وأديرتهم، وكانت الحدادة رائجة بينهم فبرعوا في صناعة السيوف والأبواب التي عرفت في الحيرة لأول مرة لاشك أنهم ورثوها عن البابليين الذين انتقلوا إلى الحيرة قادمين من سلوقية الهلنستية، التي تعلموا فيها صناعة الأبواب والشبابيك والسيوف([93]).

أما أبرز مظاهر الثقافة السريانية في القرون الميلادية الأولى فيمكن إيجازها على النحو التالي:

أولاً: ارتباط ثقافة السريان وعلومهم وآدابهم بالجذور الحضارية لوادي الرافدين وخاصة الحضارات الآرامية والأشورية والبابلية، وقد عبر أهل العراق عن جذورهم الحضارية في آدابهم وفي كتابة تاريخهم العريق، ففي حقل الأدب والشعر عرف السريان الأوزان الشعرية ومارسوا الشعر الحر المشابه للشعر السومري أو البابلي، فقد نظم أحد المثقفين السريان وهو برديصان شعراً رقيقاً بأوزان أوجدها لأول مرة، وسار الآخرين عليها في نظم الشعر السرياني في القرن الثالث الميلادي، حيث تناول جميع الأغراض الشعرية بروح دينية وإنسانية وبلغ ما نظمه مار افرام ما يزيد على مليون بيت من الشعر، وهكذا تأثير الشعر السرياني بالشعر البابلي باعتماده على النظم بأوزان بسيطة حرة وكذلك اهتمامه باللازمة والتكرار أحياناً مثل الشعر الرافديني عامة وخصوصاً الشعر السومري، ولقد تأثر فيما بعد علماء اللغة من المسلمين بالشعر السرياني و أوزانه لأن اللغة السريانية كانت قريبة جداً من اللغة العربية.

ثانياً: عني السريان وخاصة العرب منهم في الحيرة وكشكر أكبر مدن العراق بعد طيسفون العاصمة بالعمارة والبناء بدءاً ببناء الأديرة والكنائس الشرقية التي سعى فيها أهل الحيرة أن تكون ذات طابع شرقي متأثر بالعمارة الآشورية والبابلية الباقية فاستوحوا من كل ذلك طرازا عراقياً من العمارة سمي بالطراز الحيري الذي يتميز بمعرفتهم في بناء القبب والأواوين والأعمدة المدورة والمقرنصة والتي ربما انعكست في أذهانهم من الفن الهلنستي والروماني في أبنية قصورة مملكة ميشان الآرامية في الأهواز والخليج وكذلك بتأثير أبنية ومعابد مملكة حاطرا (الحضر) الآرامية – العربية.

وقد أسهم الحيريون من السريان وغيرهم من سكان العراق بناء أكثر من (220) ديراً و أكثر من (50) كنيسة على طراز عراقي شرقي يخالف طراز الأديرة والكنائس في سوريا وفلسطين ذات الطراز الروماني كما شارك الحيريون في بناء (17) قصراً في الحيرة وهو كما أحصاها الباحث طالب الشرقي أبرزها قصور مثل الخورنق والسدير والأبيض وقديس وقصر عبد المسيح بن بقيلة صاحب الحيرة بعد مقتل ملكها النعمان الأخير عام (612م) ([94]).

كما يعتمد الطراز الحيري باستخدام الطابوق أي الأجر المشوي بنوعيه العادي والفرشي أي العريض، كما يتميز بالأقواس والأواوين والفتحات العالية المستديرة، وكانت غرف الرهبان (القلايات) تبنى على شكل قبة تستقر على أربعة جدران عريضة وهذا طراز يستخدم أيضاً في صدر الكنيسة حين تستقر القبة في أعلى سقف ا لمذبح أو المكان المقدس يتبعها بناء مستطيل لجلوس المؤمنين، بالإضافة إلى ذلك فقد عني الحيريون بنقش عماراتهم وكنائسهم وتصورهم وزخرفتها برسوم هندسية ونباتية

ثالثاً: التمسك بالتراث السرياني وباللغة السريانية الشرقية حتى الوقت الحاضر رغم الظروف الصعبة والنكبات التي واجهت الأديرة المنتشرة في العراق، خلف لنا السريان تراثاً ضخماً من المخطوطات التي ملأت مكتبات الأديرة والكنائس في معظم المدن الرئيسية في العراق وقطرايا وفرات – ميشان وجنديشابور (بيت لافاط)، و على الرغم من ثقل الأحداث التي واجهتها الأديرة خصوصاً بعد سقوط بغداد في عهد هولاكو والعهد العثماني، فقد حافظت كثير من الديارات على مكتباتها حيث كانت تخفيها في البيوت والقبور أثناء الاجتياحات والتعديات، واضطر بعض رجال الدين من نقلها إلى مكتبات أخرى في العالم، أما اللغة السريانية الشرقية (السورث) فقد استمر سكان القرى والأرياف في شمال العراق بالمحافظة عليها وتلقينها لأولادهم وأحفادهم حتى استقلال العراق عام (1921)، عندما سمح لهم بإدخالها في المدارس الابتدائية الأهلية، ثم في تدريسها، وأخيراً قلصت ضمن دائرة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي.

رابعاً: العناية بالطب: بدأ الطب السرياني معتمداً على معرفة أهمية الأعشاب والنباتات وتجربتها عملياً بشكل متوارث أضيف إليها في القرن الرابع للميلاد ترجمات من الطب اليوناني وخصوصاً جالينوس الذي كان طبيباً واسع العلم في مجالات الطب المختلفة، وبعد إنشاء مدرسة جنديشابور من قبل الفرس وتدفق الأسرى من ذو الثقافة اليونانية الذين سبوا في إنطاكيا، فإن المدرسة تطورت إلى كلية للطب خصوصاً في القرن السادس الميلادي حينما بدأت تدرس باللغة السريانية فأضيف إليها المعرفة المحلية في الطب وزاد عليها إنشاء أول مستشفى تعليمي في الطب بجانب المدرسة، حينما تخرج أطباء سريان ذوي علم في معظم فروع الطب آنذاك فغطى الأطباء السريان بلاطات الخلفاء الأمويين ثم العباسين وعملوا الطب إلى الأجيال العربية القادمة، وكان جرجيس بن يختيشوع، على سبيل المثال قد استدعاه أبو جعفر المنصور ليكون طبيبه الخاص عام (775م) ويقول مؤرخ الأطباء السريان والعرب ابن أبي اصيبعة: أن هؤلاء الأطباء أداروا البيمار ستانات للمرضى وعززوا صناعة الطب وتفننوا في تدريس أصولها وكذلك في الاستنباط للمرضى والاكتشاف وتنافسوا في التصنيف والتأليف وتعاونوا مع الأطباء المسلمين في تشخيص كثير من الأمراض كالجدري والحصبة والحمى القرمزية وزادوا في الأدوية الصيدلانية وكذلك في مجال التشريح والأمراض القلبية والدورة الدموية.

خامساً: العناية بالتعليم: وجدنا في العراق وميشان (الأهواز ومنطقة الفرات ميشان والخليج) حوالي (50) مدرسة معظمها يجري التدريس فيها بالأديرة حيث كان الأسقفة يمثلون الطبقة المثقفة في البلاد يشاركهم في ذلك طالبي الفلسفة والطب والأدب والفلك وغيرها وذلك منذ بداية القرن الخامس الميلادي وحتى القرن التاسع الميلادي، حيث كانت تعلم اللغة والثقافة السريانية والدين المسيحي والفلسفة والمنطق والرياضيات.

وهذا العدد من المدارس يعتبر كبيراً قياساً إلى بقية أقطار الهلال الخصيب وإيران، أشار إلى ذلك المؤرخ عمر فروخ قائلاً: (كان للسريان النساطرة في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم اللاهوت والفلسفة والثقافة اليونانية باللغة السريانية)، كما اشتهرت مدرسة جنديشابور في الطب، اما اسكول مار ماري في بلدة دير قنى قرب العزيزية، فقد اشتهرت بتعليم الفلسفة والمنطق من أشهر معلميها إبراهيم قويري وإبراهيم المروزي الذي قدم في مدرسة حران وأبو بشر، متى بن يونس القناني الذي علم الفلسفة إلى أشهر فلاسفة السريان والمسلمين أمثال يحيى بن عدي وأبو نصر الفارابي، وكان السريان يركزون في تدريسهم كالمسلمين على فلسفة الأخلاق وعلى التوافق بين الأديان السماوية والفلسفة اليونانية.

سادساً: الإسهام الفعال في حركة التأليف والترجمة التي أطلقها الخلفاء العباسيون الأول، خاصة بعد تأسيس أكاديمية بيت الحكمة عام (800م)، وقد عمل السريان مع الفلاسفة والأطباء والعلماء من كل دين ولغة وأثنية في التأليف في حقول الطب و الفلسفة والأخلاق والمنطق وكذلك في حركة الترجمة من السريانية ومن اليونانية إلى العربية، وقد ألف مثلاً حنين بن اسحق (37) كتاباً وترجم أكثر من مائة كتاب، إضافة إلى كتاباته رسائل أخلاقية ومعجماً للغة العربية للكلمات ذات الأصل اليوناني والسرياني، ويقدر عدد المشاركين في حركة الترجمة إبان عهد المأمون أكثر من مائتي فيلسوف وطبيب ومترجم أكثر من نصفهم من السريان.

سابعاً: ساهم السريان من ذوي الأصول العربية في الحيرة وبصرى والأنبار و رصافا وغيرها في رسم الكتابة العربية أو الخط العربي قبل الإسلام، إذ أن بداياته جرت بين الغساسنة وهم السريان العرب في الصحراء السورية ومركزهما بصرى ورصافا، أو جرت في العراق في مدينتي الأنبار والحيرة، وكان السريان قد بدأوا في تعليم العربية في بداية القرن السابع الميلادي في مدارسهم إلى جانب اللغة السريانية، وعلى سبيل المثال فقد تعلم الشاعر المرقش اللغة العربية في الحيرة، وكانت بعض الرسائل والكتابات على القراطيس بالعربية تصحح في بلاط الملك النعمان الرابع.

كما ذكر المؤرخون العرب وجود ثلاثة من المجودين في الكتابة العربية يعلمون الخط العربي في الأنبار واتضح من خلال البحث أن أسمائهم تشير إلى أصول سريانية، ويؤكد ذلك الباحث محمد سعيد الطريحي الذي يقول: (أن العرب قبل الإسلام يدينون للحيرة بمعرفة فنها في الكتابة، ثم يمضي قائلاً: أنه تشير النظرية الشمالية الحيرية إلى أن جماعة من طي قاموا بوضع هجاء العربية على هجاء السريانية وعلموا الكتابة لأهل الأنبار وعن هؤلاء تعلمها أهل الحيرة، ومن ثم انتقلت إلى مكة والطائف قبل ظهور الإسلام) ([95]).

ولا ننسى أن (أبجد هوز حكي كلم صعفص قرشت) هي الحروف السريانية التي نجدها لفظاً تشابه الحروف العربية، فقد استعملها العرب قبل الألف باء تاء العربية، ولقد حذف الحيريون الكتابة

العربة وصنفه تدريسها وخطهم الحيري أشهر من أن يذكر، ويروى عن عامر بن شراحبيل الشعبي أنه قال: سألنا المهاجرين، من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: تعلمناها من أهل الحيرة.

المبحث الثالث : الطب السرياني

لقد اهتم السريان بالفلسفة والفلك والأدب بالإضافة إلى الدراسات اللاهوتية والديينة، ولكن الموضوع الآخر الذي تعمقوا في دراسته وتجربته ألا وهو الطب وخاصة بعد انتقال علوم مدرسة الإسكندرية أو بالأحرى جامعة الإسكندرية إلى مدارس انطاكيا والرها ونصيبين.

تحدثنا عن مدرسة الإسكندرية التي كانت من أشهر الجامعات في العصر الوسيط لأنها كانت تدرس الفلسفة والطب والرياضيات والأدب والشعر والموسيقى، وعرفنا أيضاً أنه نشأت مدرسة راقية في العلوم وخاصة في الطب، ألا هو مدرسة جنديشابور أو جنديسابور بالإضافة إلى المدارس الأخرى في العراق مثل مدرسة طيسفون واربيل وغيرهما.

والمهم أنه في القرن الرابع كانت هناك ثلاثة مدارس تدرس الطب هي مدارس انطاكيا والرها وجنديسابور، وكان معظم الأطباء المتخرجين في هذه المدارس هم من أهالي العراق وسوريا ومعظمهم كانوا من السريان الذين كانوا قد انتشروا في الهلال الخصيب خاصة وعرف من الأطباء السريان أمثال سرجيس الراسعيني واطنوس الآمدي، وذكر الطبري: (أن شابور استقدم من الهند طبيباً وعينه في منطقة الأهواز في كرخ بيت لافاط أو جنديسابور ومنه تلقوا معلوماتهم الطبية) ([96]).

وفي بداية ظهور الإسلام كان الحارث بن كلدة طبيب العرب، أصله ثقيف من أهل الطائف، رحل إلى أرض فارس، وأخذ الطب عن مدرسة جنديسابور، ثم طبّب في أرض فارس، وعاد إلى مدينته ثم جاء إلى مكة واستقر فيها، كان الحارث على الأرجح يهودياً ومات في أول الإسلام ولم يصح إسلامه كما يذكر ابن العبري، ونجد طبيباً آخراً عرف في العصر الأموي وهو (ابن آثال) الذي كان طبيباً متقدماً على بقية الأطباء في دمشق، وهو سرياني درس في مدرسة الإسكندرية أو مدرسة جنديسابور، وكان ابن آثال خبيراً في الأدوية المفردة والمركبة وقواها، ومات في أيام معاوية.

ومن الأطباء السريان المشهورين في بداية فتح العراق بولس الأجانطي وكان خير خبير في علل النساء كثير الاهتمام بأمراضهن، وكانت قابلات النساء يسألنه حتى سمي بالقوابلي، وله كتاب في الطب نقل حنين بن اسحق عنه فيما بعد، تسع مقالات وله كتاب آخر في علل النساء، أما ما سر جويه الطبيب البصري الذي كان سرياني اللغة يهودي المذهب، فقد تولى أيام الخليفة مروان بن الحكم تفسير الكناش لأهارون القس إلى العربية، وكان اهارون قساً في الإسكندرية، وكناشه في الطب موجود في السريانية ويضم ثلاثين مقالة([97]).

من الواضح أن قاعدة علوم الطب والصيدلة في العصر الوسيط تعود إلى المعرفة الطبية الغنية التي خلفها الأطباء اليونانيين حيث تميزوا بعلو مستواهم في الطب كما هو الحال في الفلسفة، وكانت تلك المعرفة قد انتقلت من مدرسة الإسكندرية وبعد إغلاق هذه المدرسة في القرن الخامس الميلادي توزع طلاب العلم في العراق وسوريا من السريان وغيرهم إلى المدارس الموجودة في انطاكيا والهرا ونصيبين وجنديسابور.

وبدأ السريان يؤلفون الكتب الطبية باللغة السريانية حتى بلغ السريان في علوم الطب شأواً كبيراً ليس أدل على ذلك أن الحسن بن سوار المعروف بابن الخمّار يقول عنه ابن أبي اصيبعة: (أنه نقل

كتب كثيرة في الطب من السريانية إلى العربية)، وكذلك الحال بالنسبة إلى الطبيب يحيى النحوي ويوحنا بن سرابيون حيث يذكر بن أبي اصيبعة أيضاً بأن جميع ما ألف كان بالسريانية([98]) وكان الحسن بن سوار قد ذكر التشريح الأول مرة في أحد كتبه وسماه (علم البدن وأعضائه) وقال عنه: (أن أول ما يظهر لنا من الإنسان، وأن آخر ما تفعله الطبيعة).

أما يوحنا بن سرابيون فله من الكتب الكناش الكبير والكناش الصغير وهو المشهور بالإضافة إلى سبع مقالات في الطب الذي نقله الحديث الكاتب لابن الحسن ابن النفيس المتطبب سنة ثمان عشرة وثلاثمائة للهجرة، ومنهم أيضاً عيسى بن قسطنطين، وكان من أفاضل الأطباء سرجيس الرأس عيني وهو أول من نقل كتب اليونان إلى السريانية وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة، وأكثر كتب هؤلاء لا تزال موجودة، وقد نقل أبو بكر الرازي ولد (864م) كثيراً من كلامهم في كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوي([99]).

ومن الجدير بالذكر أن سرجيس الراسعيني الذي كان الطبيب الأول في مدرسة جنديسابور في أوائل القرن السابع الميلادي قد بحث في كتابه عن العقاقير وتركيب الأعشاب بحيث غدا دستوراً للصيادلة في بيت هوازي والحيرة وطيسفون، وقد ترجم فيما بعد في بيت الحكمة، والمخطوط الأصلي موجود في مكتبة الفاتيكان، أما الطبيب شمعون طيبوثه الذي كتب كتاباً مهماً في الطب العملي في القرن السابع بعد تخرجه من مدرسة جنديسابور فقت تمّت ترجمته إلى اللغة العربية وبذلك يكون الأطباء السريان من خريجي مدرسة جنديسابور قد ساهموا إسهاماً فعالاً في إيجاد قاعدة أساسية لنشأة الطب العربي ونموه، كما ساعدوا في رفع المستوى الصحي للمجتمع في العصرين الأموي والعباسي وخصوصاً الطبقة العليا.

وكان على رأس أولئك الأطباء في العصر العباسي جوجيس أو جرجس بن بختيشوع الذي استدعاه الخليفة المنصور حينما كان يشغل رئيس أطباء بيمار ستان جنديسابور التي كانت قد أقيمت قبل القرن السابع الميلادي ولاشك باعتبارها أول مستشفى عرفت في الشرق أو أنها من أوائل المستشفيات في القرون الوسطى وأشهرها، وكان استقدامه بعد تأسيس مدينة بغداد وذلك حينما مرض المنصور في عام (765) ولم يستطيع أطباءه شفاءه.

ولما جاء جورجس جاء معه طبيبان مساعدان هما إبراهيم وعيسى بن شهلا، وقد عهد المنصور بعد ذلك إلى جورجيس طبابة البلاط وقام حفيده في عهده الرشيد بتأسيس بيمارستان للعامة بجانب قصر الخلافة بإشارة من الخليفة الرشيد.

خصص ابن أبي اصيبعة فصلاً كاملاً (الثامن من طبقات الأطباء) إلى (الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس) وذكر أهمية مدينة جنديسابور كمركز لدراسة الطب وكيف انبثقت من مدرسته أو بيمار ستانه حركة الاشتغال بالعلوم الطبية في البلدان الإسلامية، وأساس هذه الحركة بلا جدال أسرة بختيشوع، ومعنى بختيشوع عبد المسيح وأبرز هؤلاء الأطباء من آل بختيشوع هم:

1. جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع (توفي حوالي سنة 768).

2. بختيشوع بن جورجيس (توفي عام 801).

3. جبرائيل بن بختيشوع وهو حفيد جورجيس (توفي سنة 827).

4. بختيشوع بن جبرائيل (توفي سنة 870).

وهناك ثمان أطباء آخرين من آل بختيشوع شاركوا تطور الطب العربي في العصر العباسي الأخيرة، وهناك رواية تدل على مدى تقدير المنصور إلى الحكيم جورجس، مرض جورجس، وكان الخليفة يرسل إليه من يعرف خبره، ولما اشتد عليه المرض، أمر به الخليفة، فحُمل على سرير إلى دار العامة، وخرج إليه الخليفة ماشياً ورآه، وسأله عن خبره، فبكى جورجس لبعاده الطويل عن أهله في جنديسابور فقال الخليفة: يا جورجس: اسلم وأنا أضمن لك الجنة، قال: جورجس: أنا على دين آبائي حيث يكون آبائي أحب أن أكون، أما في الجنة أو في جهنم.

فضحك الخليفة من قوله، وقاله له: وجدت راحة عظمية في جسمي منذ رأيتك وإلى هذه الغاية، وقد تخلصت من الأمراض التي تلحقني، قال له جورجس: إني اخلف بين يديك الحكيم عيسى بن شهلا، وهو تربيتي، فأمر الخليفة أن يخرج جورجس إلى مدينته، وأن يُدفع إليه عشرة آلاف دينار، وعاد فعلاً جورجس إلى بلده، أما الطبيب الآخر الذي اشتهر في البلاط العباسي فكان جبرائيل حفيد جورجس حيث خدم جعفر البرمكي، ويقول عنه ابن أبي اصيبيعة أنه: منذ يوم خدم الرشيد إلى أن انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد)، ولما تولي الخليفة الأمين وافي إليه الحكيم جبرائيل فقبله أحسن قبول وأكرمه، كما حظي بنفس الثقة من طرف الخليفة المأمون لأنه عرف بسعة علمه في الطب حيث ألف أكثر من (11) كتاباً ومقالة في الطب ذكرها ابن أبي اصبيعة([100])، ولما مرض جبرائيل وقربت نهايته، طلب من الأعوان دفنه في دير مار سرجيوس بطيفسون.

وهنالك عالم في الطب لمع نجمه ألا وهو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه، كان أبوه صيدلانياً يعمل في تركيب الأدوية في بيمار ستان جنديسابور، فنشأ ابنه وتعلم في مدرسة جنديسابور حتى أصبح مدرساً فيها يعلم الطب والصيدلة، وقد أرسل إليه الخليفة الرشيد ليكون أميناً على ترجمة الكتب التي جلبها من أنقرة وعمورية، وفي عهد المأمون عين رئيساً لأكاديمية بيت الحكمة، وهو أكثر العلماء تعمقاً في مسائل الطب حيث ألف أو ترجم أكثر من (44) كتاباً ورسالة في الطب والصيدلة، ويعد أحد علماء عصره في القرن التاسع الميلادي.

وكان ينافس هذا العالم في الطب عالم آخر الذي يمتلك فكراً حراً وبعداً فلسفياً في نظرته إلى الحياة والأخلاق ألا هو حنين بن اسحق العبادي الحيري (809-873) الذي عمل تحت إشراف يوحنا في بيت الحكمة حتى وفاة يوحنا (857م) والراجح أن حنين قد حل مكانه في إدارة بيت الحكمة بعد أن أصبح شيخاً متعباً في أيام المتوكل، وقد عانى حنين بن اسحق الذي اضطهده أطباء عصره من زملاءه لنبوغه وتفوقه عليهم ولكثرة تآليفه وترجماته، فاتهموه بانتقاده للأيقونات والتماثيل وهو نقد كان قد جرى ضمن كنيسة الإمبراطورية الرومانية، وهذا الانتقاد سبب سجنه وبعثرة مكتبته ومصادرة ما يملك، ينسب إلى حنين أكثر من (19) كتاباً ترجمه أو تأليفاً.

ولعله أكثر أطباء زمانه خصباً وغزارة في النتاج الفكري الطبي([101])، وقد أسهم الأطباء السريان الذين يشكلون نسبة كبير من الأطباء العاملين من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي من عدد الأطباء سواء في البيمار ستانات أو بلاط الخليفة أو في حركة الترجمة العربية، حيث أسهموا بقوة فيه ترجمة أمهات الكتب الطبية اليونانية، بالإضافة إلى ما ألفوه في الطب وطب العيون والصيدلة والأغذية ساعدت بالتالي إلى إيجاد أرضية علمية لنمو وتطور الحضارة العربية في الطب

والفلسفة، والصيدلة وزاد في الأمر اتساعاً في القرن الثامن حينما بدأ السريان وغيرهم من الأديان والأثنيات يؤلفون كتبهم باللغة العربية.

ولنطلع على بعض ما ترجموه في مجال الطب والصيدلة وطب العيون والأغذية لمؤلف واحد هو جالينوس أو كالين (Galen):

1. كتاب الغرق ترجمة حنين بن اسحق.
2. كتاب الصناعة ترجمة حنين بن اسحق.
3. كتاب طوترن في النبض ترجمة حنين بن اسحق.
4. كتاب اغلوثى في التأني لشفاء الأمراض ترجمة حنين بن اسحق.
5. كتاب المقالات الخمس في التشريح ترجمة حنين بن اسحق.
6. كتاب الأسطقصات (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.
7. كتاب المزاج (ثلاث مقالات) ترجمة حنين بن اسحق.
8. كتاب القوى الطبيعية (ثلاثة مقالات) ترجمة بن حنين اسحق.
9. كتاب العلل والأمراض (ست مقالات) ترجمة بن حنين اسحق.
10. كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنية (ست مقالات) ترجمة بن حنين اسحق.
11. كتاب النبض الكبير (ست مقالات) ترجمةحبيش بن الأعم.
12. كتاب الحميات (مقالتان) ترجمة بن اسحق.
13. كتاب البحران (ثلاث مقالات) ترجمة بن اسحق.
14. كتاب أيام البحران (ثلاث مقالات) ترجمة بن اسحق.
15. كتاب تدبير الأصحاء (ست مقالات) ترجمة حبيش بن الأعم,
16. كتاب اختلاف التشريح (مقالتان) ترجمة حبيش بن الأعم.
17. كتاب تشرح الحيوان الميت (مقالة) ترجمة حبيش بن الأعم.
18. كتاب تشرح الحيوان الحي (مقالتان) ترجمة حبيش بن الأعم.
19. كتاب تشرح الرحم (مقالة) ترجمة حبيش بن الأعم.
20. كتاب حركات الصدر والرئة (ثلاث مقالات) ترجمة اصطفى بن باسيل.
21. كتاب علل النفس (مقالتان) ترجمة اصطفى بن باسيل، أصلحله بن حنين اسحق.
22. كتاب حركة العضل نقل اصطفى بن باسيل وإصلاح حنين بن اسحق.
23. كتاب الحاجة إلى النبض (مقالة) ترجمة حبيش بن الأعم.
24. كتاب الحركات المجهولة (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.

25. كتاب أفضل الهيئات (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق إلى السريانية ومن ثم إلى العربية.
26. كتاب سوء المزاج المختلف (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.
27. كتاب الأدوية المعزرة (11 مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.
28. كتاب المني (مقالتان) ترجمة حبيش بن الأعم.
29. كتاب المولود لسبعة أشهر، ترجمة حنين بن اسحق.
30. كتاب تقدمه المعرفة ترجمة عيسى بن يحيى.
31. كتاب رداءة النفس (ثلاث مقالات) ترجمة حنين بن اسحق.
32. كتاب القصد ترجمة عيسى بين يحيى واصطفى من باسيل.
33. كتاب الذيول (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.
34. كتاب قوى الأغذية (ثلاث مقالات) ترجمة حنين بن اسحق.
35. كتاب التدبير المطلق (ثلاث مقالات) ترجمة حنين بن اسحق.
36. كتاب الذياق إلى ين (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.
37. كتاب إلى اثراسا بولس (مقالة) ترجمة يحيى بن البطريق.
38. كتاب في الطبيب الفاضل فيلسوف (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.
39. كتاب بقراط الصحيحة (مقالة) ترجمة حنين بن اسحق.
40. كتاب محنة الطبيب (مقالة) ترجمة حبيش بن الاعم.
41. كتاب السبعيني مقالة (أوريبا سيوس) ترجمها حنين بن اسحق وعيسى بن يحيى إلى السريانية.
42. كتاب الترياق ترجمة يحيى بن البطريقة.
43. كتاب الحشائش لديسقو ريدس ترجمة اصطفى بن باسيل صححه حنين بن اسحق.

المبحث الرابع : الفلسفة عند السريان

كانت مدرسة الإسكندرية التي تعد ثاني جامعة في العالم بعد جامعة أثنيا، قد تجددت روحها في عهد الفيلسوف فرفريوس ([.]) الذي أعاد تقاليدها ومناهجها في التدريس لكافة علوم العصر وهي الفلسفة والرياضيات، والفلك والشعر والموسيقى. والأمر الذي يهمنا هو ظهور مدرسة أخرى في الإسكندرية تنافس المدرسة الأولى، لعل ذلك حدث على عهد الفيلسوف اوريكانوس أو أوريجنوس (Oregen) (185-253) الذي حدد مهام الفلسفة وأضاف إليها الفلسفة المسيحية بقوله: (يجب أن نستخدمها (ويقصد الفلسفة) حتى نتمكن من فهم الكتاب المقدس طالما أن الفلسفة إذا ما درست دراسة حقيقية فإنها تؤدي بنا إلى كشف حقيقة يسوع المسيح اللاهوتية([102]).

وسرعان ما التحق فرفريوس بمدرسة الإسكندرية الثانية بعد أن اهتدى إلى المسيحية، وأخذ يعلم الفلسفة المسيحية، كان فرفريوس معجباً بمنهج الفيلسوف اوريكانوس في التفسير ومؤداه: (أنه لا يجوز تفسير الآيات الدينية تفسيراً حرفياً، لأن الكتاب المقدس لم يدون لعصر من العصور ولا لشعب من الشعوب بل إنه لكل الأزمان والدهور ولكل أبناء البشر، وأن تفسيراً حرفياً لعضة الجبل مثلاً، أو بعض المزامير المتضمنة بعض العبارات لو فسرت تفسيراً حرفياً لأضعفت الإيمان في صدورنا، ولهذا كان من الضروري أن يستشف الإنسان المدون بين السطور وأن يبحث عن المعاني والتقاليد الروحية التي تحتويها جمل وعبارات الكتاب المقدس).

لكن الفلاسفة والعلماء المسيحيين ومعهم بعض اليهود سرعان ما عادوا إلى مدرسة الإسكندرية الأولى، بعد اهتداء الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية في الربع الأول من القرن الرابع، وفي نهاية القرن الرابع نشأت مدرسة منافسة لمدرسة الإسكندرية وهي مدرسة انطاكيا، وهكذا فقد انتقلت مظاهر الفكر العلمي والثقافي في العصر الوسيط من روما إلى الإسكندرية ومن الإسكندرية إلى انطاكيا ومن ثم سنرى هذه العلوم تنتقل إلى مدرستي نصيبين والرها، وظلت هذه المدارس الفلسفية والدينية حافلة بالعطاء الفلسفي والعلمي حتى نهاية القرن الثامن الميلادي، وكان صاعد بن أحمد الأندلسي (ت1070م) قد قال: (أن ثاسطيوس والإسكندر الأفروديسي وفرفريوس الصوري هم أعلم الناس بكتب الفيلسوف ارسطو وأوحدهم بكتب الفلسفة) ([103]).

وظلت مدرسة الإسكندرية، تشع فلسفة وعلماً، ففي حوالي (500) كان اونيوس بن هرمياس أحد المفكرين الأفلاطونيين المحدثين ربما كان مشرفاً على مدرسة الإسكندرية آنذاك، ويروي لنا (زكريا المدرسي) أن الحياة الدراسية التي قضاها حوالي نهاية القرن الخامس في مدرسة الإسكندرية هو وصديقه سويرس قد أغنتهما بالفلسفة والعلوم، وفي النصف الأول من القرن السادس كان يحيى النحوي الشخصية المسيحية الكبيرة في مدرسة الإسكندرية.

وفي أوائل القرن السابع الميلادي، كان اصطفن الإسكندراني فيلسوف بلاط الإمبراطور هرقل أشهر معلمي هذه المدرسة، وعلى الرغم من أن معظم خريجها هم من فلاسفة القرن السادس، وتخرج من أكاديميتها طبيباً معروفاً لدينا هو سرجيوس الرأسعيني ومعه أيضاً طبيبين مشهورين هما بولص الأجانيطي واهرن الذي ورد اسمه في مؤلفات تاريخ الأطباء، وكانت الكتب والمؤلفات الطبية التي ألفها هؤلاء ذات أثر كبير في دراسات الطب الأولية في بداية نشوء الطب العربي، وقد ذكر ابن أبي اصيبعة في كتابة (طبقات الأطباء) [ج: 2، ص: 135] من كتاب مفقود للفارابي يدور

حول ظهور الفلسفة في الشرق العربي قال فيه: (مضار التعليم في موضعين وجرى الأمر على ذلك إلى أن جاءت النصرانية وبطل التعليم في رومية وبقي في الإسكندرية وخاصة الفلسفة.... الخ) ([104]).

كانت الفلسفة الأفلاطونية المحدثة قد غدت قاعدة الفكر في منطقة الشرق الأدنى، وجرت محاولة للتوفيق بين نظريات أفلاطون وأرسطو من جهة وبين بعض الآراء المسيحية الشرقية، (واستطاعت الأفلاطونية المحدثة أن تكون ثنائية تنطوي على المثال والمادة للفكرة القائمة بأن الله والطبيعة شيء واحد، وأن الإنسان والكون المادي ليسا سوى مظهر من مظاهر الذات الإلهية)، وهو المذهب المعروف بمذهب وحدة الوجود، الذي عاد وظهر في الفكر الصوفي الإسلامي، كما يقول المؤرخ الكبير فيليب حتي، وبحسب هذا المذهب فإن الكون المادي ليس سوى فيض من الله الواحد الذي تنبثق منه النفوس التي يمكن لها أن تعود وتتحد به عبر طرق الصوفية والتنسك والعبادة المستمرة، كان أنصار الأفلاطونية المحدثة الثلاث من سكان الشرق الأدنى، وهم أفلوطين المصري المولد والروماني الأصل (ت 270م) وفرفريوس (ن305م) واسمه يدل على أنه في الغالب فينيقي الأصل، والثالث يمبليخوف وهو اسم سرياني الأصل (ت 333م).

كان من حسن حظ المسيحية أنها ورثت كثيراً عن الفلسفتين الأفلاطونية والفيثاغورسية، ففي مدينة الإسكندرية حيث التقت التيارات الفكرية اليهودية والمسيحية ومعهما الفلسفة الإغريقية التي كانت منذ البداية موضع صراع، ثم استقرت بعد أن صار محورها الدين المسيحي، وكان (كليمنت) أشهر مفكر مسيحي في الإسكندرية ترأس أكاديمية الإسكندرية وحاول التوفيق ما بين الفلسفة الدينية المسيحية والفلسفة الإغريقية ومن ثم جاء بعده القديس (أوغسطين) الذي ربما كان أعظم مفكري المسيحية بعد القديس بولس الذي كان من دعاة الأفلاطونية الجديدة قبل اعتناقه المسيحية، وسرعان ما أصبح كاهناً مسيحياً في مدينة (هبو) إحدى المدن الفينيقية في شمال إفريقيا.

واشتهر كتابه (مدينة الله) الذي صور فيه الفكر المسيحي والكنيسة المسيحية كدولة عالمية تقوم على أنقاض روما، لكنها ذات أصول قائمة منذ بداية الزمان، ولحقه في الفلسفة (جيروم) الذي اشتهر بترجمته للكتاب المقدس من العبرية والآرامية إلى اللاتينية، وأصبحت ترجمته هذه هي الترجمة المعترف بها في أوربا، ونمى الفكر السرياني وتطور بحيث جرى التأكيد على الإيمان والعقل وحب العلم وطلب المعرفة تخلصاً من الغيبيات، وبذلك أوجدوا للمسيحية نظاماً خاصاً وفلسفة مبنية وكان هؤلاء الفلاسفة الثلاث كلمنت وأوريجين واوغسطين هم الذين وضعوا فلفسة الثالوث المقدس أي (الله والابن والروح القدس) وهكذا أصبحت الفلسفة التي انتشرت في العراق وكل الشرق الأدنى فلسفة دينية مع السماح للمناقشة العقلانية ومع التأثير الواضح بالفلسفة الأفلاطونية والأرسطية المنطوية على عناصر العدل والإيمان والعقل والتنظيم.

وبذلك تكون الفلسفة السريانية مزيجاً من الفكر المسيحي والأفلاطونية مع تأثرها بالتراث الحضاري البابلي والآشوري والآرامي سواء في الطقوس والعبادة أو في الأفكار الثانوية، وبذلك نشأت الفلسفة السريانية في مدارس انطاكيا ودمشق وبيروت والرها ونصيبين، وكذلك في طيسفون ودير قنى على يد ثوفيل وإبراهيم قويري.

وزادت اللغة السريانية غنى حينما بدأ السريان يترجمون الفلسفة الإغريقية كاملة، ولقد زهت مدرستي انطاكيا والرها (اديسا) حتى سنة (489م) بعد أن أغلقت مدرسة الإسكندرية وعندما أغلق

الإمبراطور زينون تلك المدرستين البارزتين أثناء محاولته الانتصار إلى بعض من العقائد الفلسفية الدينية، فقد نزح أساتذتها وتوجهوا إلى المدينة الثالثة المهمة في الشمال السوري وهي نصيبين التي كانت أخر مدينة مهمة في بلاد ما بين النهرين تحت النفوذ الساساني، وفي هذه الفقترة ظهر راهب اشتهر وأحبه الناس في لبنان وهو (القديس) مارون مؤسس الطائفة المارونية.

لدينا أول موسوعة ألفت بالسريانية هي (الموسوعة الفلسفية العلمية) التي أعدها أيوب الأبرشي الرهاوي من أبناء القرن التاسع الميلادي (ت 873م) ولو ترجمت في حينها إلى اللغة العربية لكانت أضافت جوانب كثيرة إلى الفلسفة العربية لاحتوائها على أنواع من الفلسفات التي سادت في القرون التسع من الميلاد، أما بالنسبة للرهبنة، إحدى أسس اللاهوت والفلسفة المسيحية، فقد دعى إليها أشهر عالم سرياني مار افرام الكبير (306-373م) واهتم بها كثير من العراقيين في الأديرة التي تزيد على مائة دير في أنحاء العراق، وبعضها بقي حتى الوقت الحاضر مثل دير مارمتي ودير مار ميخائيل ودير مار بهنام وغيرهم في حصننا عبرايا (الموصل) ودير هند الصغرى ودير هند الكبرى في بقايا مدينة الحيرة وغيرها.

والخلاصة أن النظرة الفلسفية السريانية، كانت تقوم على أساس أن معرفة الأشياء الخارجية تتم بالاستدلال من حيث أن العالم الخارجي هو العلة، أما الفكرة فهي المعلول، وهم لم ينكروا الافتراضات الميتافيزيقية، وكانت المعرفة لديهم مقسمة بين الذات والموضوع أي الذات المدركة من جهة والعالم فهو موضوع المعرفة من جهة أخرى، وكانوا يرون الأشياء أنها وجوداً مستقلاً، وأن العقل انعكاس لها وهو ناتج عن إيمانهم بأن كل شيء في الطبية من خلق الله، ولدينا الفيلسوف برديصان الذي نشأ في الرها في منتصف القرن الثاني وتثقف في مدرستها.

وقد ألف عدة كتب في الفكر والفلسفة والدين منها ما يناقش الهراطقة أي الوثنيين لكن لسوء الحظ ضاعت معظمها منها كتابة المشهور عن الفلك الذي استنتج من خلال دراسته بأن العالم سينتهي بعد مرور ستة آلاف سنة حسبما أورده عنه جرجيس أسقف العرب في الحيرة في أحدى كتبه.

لكن كتابة الفلسفي (القضاء والقدر) أو (شرائع البلدان) فإنه لا يزال مخطوطاً في مكتبة المتحف البريطاني ويرتقي إلى القرن السادس، بعد أن عثر عليه الباحث البريطاني (كيورتن) فقد قام بطبعه وتحقيقه بالإنكليزية بعنوان (الملتقط السرياني) والكتاب على شكل محاورة بين الفيلسوف وبين تلاميذه على غرار محاورة سقراط، وقد أثبت برديصان أن الإنسان يتمتع بحرية الضمير والعقل، وأنه يؤاخذ على أعماله لأنه مسؤول عنها، وقد درس نظام العالم السماوي المنظم والعالم الأرضي وتأثيراتهما المتبادلة، ونسبت إليه أفكار وتعاليم غنوصية، وقال بأن الخلائق عدا الإنسان غير مسؤولة عما يصدر عنها من عمل.

أما لإنسان، الذي يتمتع بالعقل وبحرية العمل لفعل الخير أو الشر حسب إرادته، وحسب رأي برديصان، فإنه الإنسان يتأثر بعوامل ثلاث: الطبيعة والقدر والإرادة، فالقدر عبارة عن قوة منحها الله لتبديل حالات حياتنا وفقاً لما رصدت عنه حركة النجوم (لاحظ تأثير الفلسفة الكدانية التي كانت ترجع مسيرة حياة الإنسان إلى حركات النجوم) وأن تأثير القدر متزامن مع ولادة الإنسان، ومن الجدير بالذكر أنه كان يعتقد بالجن النجمي، وربما أن أفكاره الفوصية والكلدانية قد قادته إلى ما يشبه الآراء المخالفة للدين المسيحي والتي اتهم فيها بالهرطقة في نهاية حياته الحافلة([105]).

أما سرجيس الرأسعني (ت 536) فكان سيد عصره في الطب والمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعة، وهو من أوائل الكتاب السريان الذي نقلوا من اليوناني إلى السرياني، وعنه درس الفلاسفة السريان أمثال إبراهيم قويري، وأشهر مؤلفاته كتاباً في المنطق بسبعة أجزاء إضافة إلى مقالات في الأجناس والأنواع والأفراد عدا ما ترجم في كتب الفلسفة والمنطق اليونانية.

وكانت الفلسفة قد اشتهر بها كل من بشر قنى بين بونس ويحيى بن عدي وإبراهيم المروزي ويعقوب الكندي والفارابي وهم باكورة فلاسفة السريان والعرب، مما يدلل على أن الفلسفة السريانية والفلسفة الإسلامية بدأتا تصبان في بحر واحد هو الحضارة العربية التي تفتحت أزاهيرها في بلاد مابين النهرين موطن الحضارات القديمة وذلك في بداية العصر العباسي، وقد اتسعت أهمية الفلسفة في عهد المأمون حيث شجع نخبة من الفلاسفة وطلاب الفلسفة والمترجمين من السريان ومن جميع الأقوام والأثنيات على دعم حركة الترجمة العربية التي وضع أسسها بيت الحكمة العباسي عام (800م) ووصلت إلى ذروتها في نهاية القرن التاسع الميلادي، أما أبرز ما ترجمه الفلاسفة السريان أو تلاميذهم في الفلسفة سواء عن اليونانية أو عن السريانية، فيذكرها الباحث (الأب) سهيل قاشا على النحو التالي:

أولاً: كتب أفلاطون:

1. كتاب السياسة نقله حنين بن اسحق.
2. كتاب المناسبات ترجمة يحيى بن عدي.
3. كتاب النواميس ترجمة حنين بن اسحق ويحيى بن عدي.
4. كتاب طيماوس ترجمة أبي البطريق وأصلحه حنين بن اسحق.
5. كتاب افلاطئ إلى اقريطن ترجمة يحي بن عدي.
6. كتاب التوحيد ترجمة يحيى بن عدي
7. كتاب الحس واللذة ترجمة يحيى بن عدي.
8. كتاب أصول الهندسة ترجمة قسطا بن لوقا.

ثانياً: كتب ارسطو طاليس:

1. كتاب فاطيفورياس ومعناه المقولات من ترجمة حنين بن اسحق.
2. كتاب باري اينياس ومعناه العبارة ترجمة حنين بن اسحق إلى السريانية وترجمة ابنه اسحق إلى القريبة.
3. كتاب أنا لوطيقا الأول وهو تحليل القياس ترجمة ثيا دورس إلى العربية.
4. كتاب أنا لوطيقا وهو البرهان، مقالتين لأرسطو ترجمة حنين إلى السريان وترجمة منحي يونس إلى العربية.
5. كتاب لوغيفا وهو الجدل لأرسطو ترجمة اسحق بن حنين إلى السريانية وترجمة يحي بن عدي إلى العربية.

6. كتاب سوفسطيقا وهو الحكمة المموهة لأرسطو ترجمة متى بن يونس إلى السريانية ونقله يحيى إلى العربية.

7. كتاب ريطوريقا وهو الخطاب لأرسطو نقله اسحق بن حنين إلى العربية.

8. كتاب أبو طيفا، وهو الشعر لأرسطو ترجمة متى بن يونس من السريانية إلى العربية.

9. كتاب السماع الطبيعي لأرسطو ترجمة حنين بن اسحق في اليونانية وترجمة إلى العربية يحيى بن عدي.

10. كتاب الافرديس لعز الأسكندر لأرسطو شرحه باللغة العربية يحيى ين عدي في ثلثمائة ورقة.

11. كتاب السمع والعلم، وهو أربع مقالات ترجم هذا الكتاب ابن البطريق وأصلحه حنين بن اسحق كما ترجم متى بن يونس المقالة الأولى منه.

12. كتاب الكون والفساد، ترجمة حنين بن اسحق من اليونانية إلى السريانية وترجة اسحق بن حنين إلى العربية، وترجمة أيضاً اسحق الدمشقي إلى العربية.

13. كتاب النفس وهذا ثلاث مقالات ترجمها حنين بن اسحق إلى السريانية ونقله اسحق ين حنين إلى العربية.

14. كتاب الحروف بالالهيات ترجمة اسحق بن حنين.

15. كتاب الأخلاق وهو اثنتا عشرة مقالة ترجمة اسحق بن حنين وتفسير فرفريوس.

16. الحس والمحسوس ترجمة أبي بكوس كما ترجمه متى بن يونس.

17. كتاب ما وراء الصنعة لثافرسطس، ترجمة يحيى بن عدي، وقد ذكر ابن الطبري أن يحيى بن عدي ترجمه من السريانية إلى العربية.

18. كتاب برقلس في تفسير فادن في النفس، ترجمة من السريانية إلى العربية أبو علي ابن زرعة.

19. كتاب الآراء الطبيعية لفارطمش وهو يتألف من خمس مقالات ترجمة قسطابن لوقا.

هذا عدا ما ترجموه من عشرات المؤلفات في الطب والجراحة وطب العيون والصيدلة والنبات والحيوان والفلك والأسطر لأب والرياضيات والهندسة والميكانيكا والموسيقى وعلم النفس والرياضة تزيد على (123) مؤلفاً([106]).

المبحث الخامس : المدارس السريانية

كانت المدارس في العراق الوسيط في معظمها ذات مستوى أولي تعني بدراسة الفلسفة واللاهوت واللغة السريانية واللغة اليونانية وتفسير الكتاب المقدس، والفلسفة، كما نجد في مدارس طيسفون واربيل وتكريت وكشكر وغيرها وقد أضيف إلى مدرسة الحيرة اللغة العربية، وربما كانت أول مدرسة تدرس اللغة العربية والخط العربي حيث عرفت في القرن السادس الميلادي حينما درس فيها عدي بن زيد وابن بقيلة وعمرو بن عبد المسيح صاحب القصر الأبيض وهو زعيم قبلي معروف بالحيرة.

كانت معظم المدارس في العراق وسوريا وفلسطين تقوم في الأديرة أو الكنائس، وقد أحصى الباحث (الأب) البير أبونا أكثر من مائتي دير في بلاد الرافدين وحده في حين أشار (الأب) بطرس حداد إلى وجود ما يزيد عن خمسين كنيسة في العراق الوسيط، ولا يعني ذلك وجود مثل هذا العدد من المدارس السريانية.

ومن المعتقد أن المدارس في العراق لا تقل عن خمسين مدرسة بمستوى أولي كما أفادنا ايشو عدناح وأكدتها الباحثة بيكوليفسكايا وعلى النحو التالي:

1. مدرسة بيت عيناثا في منطقة بيت زبداي.
2. مدرسة ديرمار ادونا في منطقة بيث قردو في شمال بلاد الرافدين.
3. مدرسة شيبان في منطقة بيث قردو.
4. مدرسة مدينة بلد في منطقة عرباي.
5. مدرسة دير ايشوزيخا في بيت عرباي.
6. مدرسة دير مار ايشالاها في بيث نوهذرا (زاخو).
7. مدرسة بلدة نهشروان في منطقة حدياب.
8. مدرسة دير في جبال منطقة حدياب.
9. مدرسة دير في جبال منطقة حدياب.
10. مدرسة في مدينة كرخ دي بيث سلوخ (كركوك).
11. مدرسة دير مار صليبا في كرخ سلوخ.
12. مدرسة بلدة خربة جلال في منطقة بيت كراماي.
13. مدرسة دير سبر يشوع في منطقة بيت كرماي.
14. مدرسة دير مار سركيس في بيت اراماي.
15. مدرسة مدينة عاقولا أو الكوفة.
16. مدرسة بيت عبرايا لعله يقصد حصنا عبرايا (الموصل فيما بعد).

17. مدرسة بلد فرات – ميشان (فيما بعد البصرة).

18. مدرسة بلدة سلوقية.

19. مدرسة مدينة الحيرة.

20. مدرسة مدينة كشكر (فيما بعد واسط).

21. مدرسة بلدة ماحوزي (قرب طيسفون).

22. مدرسة قرب دير بيت عابي بناها الأسقف ايشوعياب الثالث، الواقعة في منطقة المرج القريبة من مصب نهر الزاب الأعلى، بنيت في نهاية القرس السادس أو بداية القرن السابع للميلاد.

23. مدرسة دير بيت مفاش في جبل حمرين بناها ايشوزيخا([107]).

24. مدرسة أو اسكول ماري ماري في بلدة دير قنى (العزيزية) حيث تطورت هذه المدرسة المسيحية إلى اسكول للفلسفة واللاهوت على يد أبو بشر، متى بن يونس أو يونان وإبراهيم القويري وإبراهيم المروزي الذي كان معلماً في مدرسة مرو وفي نهاية القرن التاسع انتقل إلى العراق ليعلم في اسكول مار ماري إلى جانب إبراثم قويري الذي كان قد ترك مدرسة حران وجاء إلى هذه المدرسة الفلسفية العراقية التي اشتهرت في عهد أبي بشر، متى بن يونان الذي كان قد تخرج على يديه فلاسفة يشار إليهم بالبنات أمثال أبو نصر محمد الفارابي ويحيى بن عدي الذي عد أشهر فلاسفة السريان، وكان اسكول مار ماري يدرس الفلسفة منذ القرن التاسع الميلادي باللغة العربية التي حلت تدريجياً محل اللغة السريانية.

يتضح أن نشأة معظم هذه المدارس في العراق كانت في الأديرة عموماً أو في بعض الكنائس، وكانت تلك المدارس تمزج بين الثقافتين الرئيسيتين السريانية واليونانية وأحياناً تضيف إليها بعض الاعتبارات للظروف الموضوعية التي عاش فيها الأقوام العراقية عامة والسريان بخاصة في أجواء من السيطرة الفارسية والحروب المستعرة من حين لآخر بين الفرس والبيزنطيين وأحياناً بين قوات من الحيرة تدعمها وحدات فارسية وبين قوات من الغساسنة تسندها وحدات بيزنطية، وقد استبيحت المدن العراقية غير ذات مرة مثل طيسفون واربيل وحصنا عبرايا ومملكة حاطرا وغيرها.

وهكذا ندرك الأهمية الكبرى لظاهرة التعليم لسكان المدن العراقية إبان العصر الساساني – السرياني، فقد كانت تلك المدارس تمزج بين الدين والثقافة العامة مشابهة بذلك المدارس الإسلامية التي نشأت في العصر العباسي، وكان التعليم الأولي في هذه المدارس يقوم على تلقي المعارف الأساسية مثل مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الحساب إضافة إلى الدين وتفسير الكتاب المقدس والفلسفة.

وتذكر الباحثة بيكوليفسكايا، أنه لم يكن الحماس الديني وحده باعثاً على التعلم، بل الأمر تطلبته العلاقة التجارية التي كانت النشاط المركزي والأساسي لسكان المدن([108])، وكانت التجارة ونقل البضائع بواسطة القوافل أو الأكلاك وتوفير السلع الأساسية هي محور الحياة الاقتصادية للعراقيين في القرون الميلادية الأولى، وبغية استمرار التجارة بين العراق وفارس والجزيرة العربية وبصرى وتدمر وغيرها من مراكز التجارة، وتوحيد سبلها كان لابد من توفير مجموعة من المهارات مثل القدرة على القراءة والكتابة بلغتين على الأقل للتفاهم مع الشعوب والأقوام الأخرى كالسريانية والعربية أو العربية واليونانية تضاف إلى ما يتعلمه المتخرج أحياناً من صناعات ونشاطات كالبناء

وأنواعه وصناعة النبيذ والصيرفة التي كانت تجري في مراكز المدن وقد اشتهرت بالصيرفة مدينة الحيرة مثلاً.

وكان السريان متقدمين في مجالي الطب وصيدلة الأعشاب معتمدين على ما ترجموه منذ القرن الثاني من الطب اليوناني الذي كان طباً متقدماً في زمانه، وعلى أولئك المتخرجين من مدرسة جنديسابور أو من مدرسة انطاكيا وبينهم عدد من السريان.

أما المدارس العليا فكانت مدارس نصيبين والرها في شمال سوريا أو شمال غربي بلاد الرافدين ومدرسة جنديسابور في الأهواز في بلاد فارس، بالإضافة إلى مدرسة الإسكندرية في مصر ومدرسة انطاكيا في سوريا، وربما كانت هنالك مدارس عليها في دمشق وأرشليم في فلسطين ليس لدينا معلومات كافية عنها.

وسنتاول مدرسة الحيرة باعتبارها نموذجاً مؤثراً لدراسة أولية في العراق الوسيط ومدرستي الرها ونصيبين وهما ذات مستوى عالي كما قلنا.

مدرسة الحيرة:

يقول مؤرخ مدينة أو مملكة الحيرة الباحث يوسف غنيمة أنه لابد وأن تكون هنالك مدرسة أو أكثر في مدينة الحيرة، إذ أن ايليا الحيري مؤسس دير مار ايليا في حصنا عبرايا درس العلوم الدينية واللغة السريانية في مدرسة قريته، كما أن مار عبد الكبير درس أيضاً في مدرسة الحيرة، وأن الشاعر المرقش الأكبر، وهو أبو عمر الشيباني وأخاه (حرملة) درسا الكتابة العربية على نصراني من أهل الحيرة.

وكان زيد بن عدي قد درس الكتابة العربي وحذقها في مدرسة الحيرة، وكان زيد هذا أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى وكان يجيد الآرامية لغة الدبلوماسية بين كسرى والبيزنطيين، كما أن البطريرك ايشو عياب الثاني (628-664) حدثت له صعوبات، فجاء إليه مفسر من مدرسة الحيرة ليعضده في أمره، وقد وسط المطران جرجيس (661-681) لإزالة خلاف ناشئ بينه وبين مطران نصيبين، معلماً من معلمي مدرسة الحيرة، وكان (المتلمس) وهو شاعر في الجاهلية قد طلب من شخص حيري أن يقرأ له الصحيفة التي كتبها له ملك الحيرة عمرو بن هند، أمراً فيها الشخص المرسلة له أن يقوم بقتل الرسول، وهكذا نجا من الموت حينما قرأت له([109]).

ومن المعتقد أن أولى المدارس أنشأت في طيسفون ومن ثم في اربيل وانتشرت بعد ذلك في مدن أخرى وفي القرن الثالث أو الرابع في مدن الحيرة وكشكر وكوخ سلوخ ودور قني وغيرها.

مدرسة الرها:

مدينة الرها أو اورهاي كما أطلق عليها السريان، مدينة مهمة في بلاد الرافدين (حالياً أورفا بتركيا) تقع شمال حران، أطلق عليها البيزنطيون اديسا (Edessa) كانت عاصمة مملكة آرامية صغيرة سرعان من آمن أهلها بالمسيحية وكذلك ملوكها (الاباجرة).

سميت مدرسة الرها بمدرسة الفرس، وقد عزز دراستها زيارات لشخصيات مهمة لها مثل (تيتانس) الذي اشتهر بكتابة (الدياتسرون) أي الإنجيل الذي يجمع الأناجيل الأربعة، كما زارها الفيلسوف الأسقف برديصان ثم أنها أصبحت فيما بعد مسرحاً لجدالات فلسفية ولاهوتية بين أتباع مفكرين خرجوا على التقليد المسيحي أمثال (مرقيون) والهرطقي (اريوس) يضاف إليهما الفيلسوف (ماني)

صاحب الفلسفة المانوي الذي بدأ شبابه مسيحياً بعد أن كان فارسياً زرادشتياً في مملكة ميشان، حيث شارك بالمناقشات في مدرسة الرها، ولذلك أصبحت هذه المدرسة تضم تيارات مذهبية مسيحية وفلسفات جديدة أشبه بندوة إخوان الصفا في البصرة. وقد علم فيها وربما أدارها فيلسوف السريانية مار افرام السرياني (306-373) وذلك في أواخر حياته منتقلاً من مدرسة افرام نصيبين سنة (363) على أثر احتلال الفرس لمدينة نصيبين وتخريبها.

تأثرت مدرسة الرها بالتيارات الكفرية والمذهبية المختلفة الموجودة في الإمبراطورية الفارسة، وبعد وفاة مارا افرام السرياني بخمسين سنة تقريباً حل مشرفاً على المدرسة الأب (قيورا) وذلك في عام (437) وأصبح المعلم الأول لها منتقلاً إلى اتجاه بيزنطي بدلاً من كون مناهجها كانت سريانية رافدينية، وكان اتجاهه يتمثل بمزيج من الفكر اليوناني – الروماني مضافاً إليه اللاهوت المسيحي.

وجعل المدرسة تركز على الترجمة من اليونانية، وتبعه الأب (هيبا) عام (457) الذي أضاف ترجمات أفضل لكتابات المفكر (تيودوروس)، وكان من جملة أساتذة المدرسة كل من (معنا) و (كومي) و (برونا) الذين وجهوا أفكار المدرسة نحو التفسيرات المونوفوسية البيزنطية وأصبحت مناهجها تماثل مناهج مدرسة انطاكيا، وقد جرى الاهتمام بالأفلاطونية المحدثة، وأضيف إلى المنهج عناية في العلوم البحتة كالفلك والهندسة والرياضيات والطب([110]).

مدرسة نصيبين:

كانت من أفضل المدارس العليا في زمانها، وكانت مناهجها تتطور في علوم الطب تطوراً هائلاً كما هو الحال في مدرستي جنديسابور وانطاكيا، أما من الناحية الدينية واللاهوتية فقد تقدمت أيضاً في عهد الأسقف (برصوما) (ت 495)، ولا ننسى أن مار افرام في بداية حياته ومن ثم نضوجه الفكري كان يدرس فيها حتى أصبح المدرس الأول المسؤول عن مناهجها وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي.

وقد أعيد تكوينها بعد استيلاء الفرس عليها، وتطورت إلى أكاديمية في عهد مار نرساي (ت502) وكانت توصف بالمدرسة العليا وأبرز موضوعاتها السير التاريخية والمعالم التراثية السريانية والكتاب المقدس وتفسيره وتأويله ومبادئ الرياضيات والفلك والفلسفة إضافة إلى الطب السرياني وفي عهد نرساي لعبت المناقشة دوراً أكبر في التعليم بدلاً من التلقين، وكانت إجادة اللغة السريانية إحدى مهماتها، ولذلك نجد أن الأبجدية السريانية قد ضبطت حركاتها تدريجياً من قبل الأساتذة والعلماء السريان الذين اختصوا بالأدب السرياني بالنحو فأوجدوا بذلك لأول مرة قواعد واضحة للقراءة السريانية الصحيحة، بينما كانت الكتابة البهلوية النقيض من ذلك فهي متغايرة التراكيب النحوية، ومعقدة التصريفات وتقتصر على الصوتيات وأحرف المد([111]).

وفي عهد الأسقف (برصوما) وضعت أولى القواعد في أسس التعليم العالي في هذه المدرسة، وقد وافق على هذا النظام الدراسي أعضاء المدرسة كافة وطلبتها، وقد سجلت هذه القواعد تحت إشراف المطران نرساي بناء على طلب من مجلس المدرسة ووجهت إلى أسقف نصيبين المطران (أوسي) وذلك في السنة التاسعة من حكم قباذ (كافاد) الموافق لسنة (496).

ازدهرت مدرسة نصيبين في الربع الأول من القرن الرابع للميلاد على أثر اهتداء الدولة الرومانية – البيزنطية إلى المسيحية، إذ كانت الدروس والموضوعات تعبر عن ثقافة سريانية خجولة، أما الآن فقد تشجع السريان في تثبيت الأفكار المسيحية ونشرها خاصة في عهد أسقف نصيبين الأب

يعقوب الذي كان أحد المشرقين في مجمع (نيقية) الذي انعقد في عام (325)، وكان أقرب تلاميذه وأشهرهم افرام السرياني الذي اشتهر باسم مار افرام الكبير.

وبعد تخرج افرام من مدرسة نصيبين عاد معلماً بها فقد كان قد بدأ يؤلف وينظم الشعر الديني، فأضاف تفسيرات معمقة للعهد القديم والعهد الجديد واستمر يشرف عليها حتى خراب المدرسة على أثر استيلاء الفرس على المدينة.

وقد أدين المطران برصوما في مدرسة نصيبين بسبب دعوته للطبيعة المزدوجة للمسيح، وهي الطائفة التي كانت سائدة في الإمبراطورية البيزنطية، وبعد أن ترك التعليم في المدرسة سعى أن يكون بطريركا على المدينة على الرغم من معارضة أغلبية المسيحيين، لكن بدهائه استطاع أن يقنع السلطات الفارسية بأهميته في العلاقات السياسية بين الفرس والبيزنطيين سميا وأنه كان له أصدقاء في الجانب البيزنطي إضافة إلى معتقده، وبذلك أصبح برصوما يشترك في الأمور السياسية والإدارية للدولة الفارسية في المسائل التي تقع بينها وبين البيزنطيين متعاوناً مع السلطات الفارسية ومع ملك العرب في الحيرة، وفي عهده بدأت الأرثوذكسية تنتشر بين طلبة المدرسة وفي المجتمع النصبيني بالرغم من أن أغلبية المسيحيين في العراق وفارس كانوا نساطرة.

الفصل السادس

عناية السريان بالتاريخ وبمفكريهم وكتابهم

المبحث الأول : التواريخ السريانية

من الأهمية بمكان دراسة تاريخ العراق قبل الإسلام وخاصة القرون الميلادية الأولى، والأكثر أهمية عدم إهمال المصادر السريانية والاقتصار على المصادر العربية – الإسلامية، فالمصادر السريانية إلى جانب المصادر اليونانية والرومانية والفارسية تشكل الأرضية الحقيقية للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها الأقوام الساكنة في العراق خاصةً وفي بلاد الهلال الخصيب عامة إبان القرون الميلادية الأولى، لأن المصادر العربية – الإسلامية كُتبت في القرن التاسع وما بعده، بينما المصادر السريانية التاريخية بدأت منذ القرن الرابع للميلاد.

ورغم تركيزها على التطورات الدينية المسيحية إلا أنه يمكن الاستنتاج منها الكثير عن الأحوال الاجتماعية والسياسية وتأثير الحكم الفارسي الفرثي أو الساساني على كثير من أهل العراق الذين أخذوا يتحدثون بالسريانية والعربية ولا يكتبون سوى بالآرامية والسريانية حتى القرن السابع الميلادي.

ومما يسهل تناول المصادر السريانية التاريخية أن معظمها قد ترجم إلى العربية وخاصة في السنوات الأخيرة، حيث يشهد المشرق العربي اهتماماً كبيراً في معرفة آراء المؤرخين السريان حول الأحداث التي وقعت في العراق وسوريا خاصة وذلك بربطها مع السياق التاريخي الذي سارت عليه أمهات كتب التاريخ العربي.

ينقسم تاريخ المشرق من وجهة نظر سريانية إلى ثلاثة حقب:

الحقبة الأولى: نتناولها بالدراسة تمتد من القرن الأول للميلاد حينما نشأت المسيحية ومن ثم اللغة السريانية التي ترشحت من اللغة الآرامية التي كانت سائدة في القرون التي سبقت ميلاد المسيح حتى القرن الأول الميلادي على الرغم من سيطرة الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية على العراق والهلال الخصيب، وقد نمت اللغة السريانية في شمال سوريا وخاصة في مدينة الرها ووضع أسسها الفكرية في الأدب العلامة مار افرام السرياني وأصبحت لغة الكنيسة ومعظم المسيحيين في المشرقي العربي حيث نمت المدارس الأولية في العراق وسوريا ومنطقة بيت هوزاي (الأهواز) وبلغت أكثر من خمسين مدرسة تدرس اللغتين السريانية وأحياناً اليونانية، وذلك حتى القرن السابع الميلادي حينما بدأت مدرسة الحيرة تدرس اللغة العربية قراءة وكتابة وقيل أنه كان هنالك متعلمين آخرين في الأنبار.

أضف إلى ذلك هنالك مدارس عليا في انطاكيا والرها ونصيبين وكذلك مدرسة في جندسابور في الأهواز التي كانت تدرس علوم الطب، وكانت الكتب التاريخية تعتمد على الثقافتين الفارسية واليونانية وعلى ثقافة الكتاب المقدس بالنسبة لما قبل المسيح، ولكن منذ القرن الثاني جرى تسجيل وتوثيق كثير من الأحداث الدينية والكنيسة وبعض الأحداث المدنية باللغة السريانية.

وتميزت هذه الحقبة بالمشكلات الإنسانية والاجتماعية والاضطهادات التي أثارتها السلطتين الفارسية في العراق والرومانية في وسوريا، ولبنان، وفلسطين، هذا بالإضافة إلى ما جابهه المثقفون والمؤرخون السريان من عنت من حكامهم بما فيهم الأباطرة البيزنطيين الذين كانوا يتدخلون في حياة الناس وأفكارهم، لذلك نجد بعض كتب التاريخ ألفت ووضعت دون أن يسجل عليها اسم مؤلفها،

ولدينا أمثلة عديدة مثل تاريخ اربيل والتاريخ السعودي والتاريخ الصغير وأمثالها كتبت بأيدي مؤرخين مجهولين.

الحقبة الثانية: الممتدة بين القرن التاسع والقرن الثالث عشر، فإنها تتميز بكتابات ابن الكبرى التاريخية وكتاب تاريخ مار ميخائيل السرياني، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الفترة تعد متقدمة على سابقتها في جانبين:

الأول: مساهمة السريان الكبيرة في حركة الترجمة العربية وإجادة السريان للغة العربية إضافة إلى اللغات الأخرى.

الثاني: ازدياد عدد من يكتب تاريخاً باللغة العربية من السريان بدلاً من السريانية.

الحقبة الثالثة: التي تمتد من القرن الرابع عشر حتى الوقت الحاضر فقد مر بها السريان بأصعب الأحوال والفترات خصوصاً فترة ما بعد سقوط الدولة العباسية أعقبها فترة التسلط العثماني على المشرق العربي الذي عرف بالعنجهية والتمييز والفساد الإداري، فقد انكمش رجال الدين السريان في كنائسهم القليلة أو في أديرتهم البعيدة يسجلون ملاحظاتهم وتاريخيهم بخوف ورهبة معتمدين في العراق على مساعدة الأهالي تعاون القرى المسيحية التي تنتشر في شمال العراق وشمال سوريا وفي جبال لبنان، حتى إذا دعى العرب إلى النهضة الحديثة، كان المسيحيون أول المشاركين من خلال ثقافتهم وإجادتهم للغات والعمل الصحفي فأصدروا المجلات الثقافية وألفوا الكتب وأسهموا في إصدار صحف راقية مثل المقتطف والهلال والأهرام في مصر والعالم العربي والعرب والأوقات العراقية باللغة الإنكليزية في العراق وغيرها.

وقد ظلت الأديرة في العراق وغيره طيلة تلك الفترة العصيبة إشعاع سرياني حيث بقي السريان في العراق متمسكون بلغتهم وثقافاتهم على الرغم من العنت والصعوبات التي واجهتهم في شمال العراق فقد كانت المنطقة دوماً ساحة خلافات وقتال، لكن السريان صمدوا في مدنهم وقراهم يتحدثون بالورث (السريانية المحلية) ويوصلونها إلى أولادهم وأحفادهم حتى اليوم ولولا هم لانقرضت اللغة السريانية ولضاعت الثقافة السريانية العريقة.

ولقد اعترفت لهم الدولة العراقية في عام (1972) بالسماح لهم بتدريس اللغة السريانية وإنشاء أول مجمع علمي للغة السريانية تابعاً للمجمع العلمي العراقي وكان باكورة نشاطه الاحتفال الكبير على الصعيدين العربي والدولي في ذكرى حنين بن اسحق مار افرام السرياني وذلك في عام (1974) كما صدرت مجلة سنوية للغة السريانية حافلة بالبحوث السريانية والعربية، ولكن في الثمانينات تغير الأمر فتوقف التدريس بالسريانية، وأصبح المجمع العلمي السرياني دائرة من دوائر المجمع العلمي العراقي، وظل مراوحاً في نشاطه حتى تولى نشاطه في التسعينات (الأب) العلامة الدكتور يوسف حبي الذي قد أنشأ مجلة (بين النهرين) التي تجمع الثقافتين العربية والسريانية عام (1972)، كما أسهم في تأسيس كلية بابل الدينية التي أخذت تدرس اللغة والتراث السرياني لأول مرة بمستوى أكاديمي كما صدرت مجلة نجم المشرق والفكر المسيحي وغيرهما من المجلات اللامعة.

وسعى رجال الدين في العراق وخاصة الكلدان منهم في تأليف كتب تاريخية متميزة فهذا الأب البير أبونا يكتب (تاريخ الكنيسة الشرقية) ويدرس أحوال الكنيسة والظروف الاجتماعية المحيطة بها منذ بداية القرن الأول الميلادي حتى الوقت الحاضر، وقبس آخر هو الدكتور بطرس حداد بدرس تاريخ الكنائس والأديرة ويشرع في ترجمة الكثير من النصوص السريانية وقبله كان المطران زكا

عيواص والبطريرك افرام برصوم وتلاهما سهيل قاشا والدكتور يوسف فوزي والدكتور جاك اسحق ولويس ساكو وغيرهم من الذين وضعوا اللبنات الجديدة للكشف كنوز الثقافة السريانية وتاريخ علمائها وأطبائها ومفكريها.

وتميزت التسعينات بنهضة سريانية في لبنان ويعود الفضل إلى مركز الأبحاث والدراسات المشرقية ومقره (انطلياس) في لبنان الذي قام بالإعداد والتنظيم لمؤتمرات وندوات ذات مستوى علمي وبحثي عالي، وقد بلغت حتى اليوم عشر مؤتمرات أنتجت بحوثا ودراسات بمستوى أكاديمي جيد، وعلى النحو التالي:

المؤتمر	سنة المؤتمر	موضوع المؤتمر
المؤتمر الأول	1993	الليثورجيات السريانية.
المؤتمر الثاني	1994	القداس السرياني.
المؤتمر الثالث	1995	التلمذة المسيحية.
المؤتمر الرابع	1996	التوبة أمس واليوم.
المؤتمر الخامس	1997	الترهب في التراث السرياني.
المؤتمر السادس	1998	الترهب من القرن السابع حتى أيامنا هذه.
المؤتمر السابع	2000	الله في التراث المشرقي.
المؤتمر الثامن	2002	الله رحمه والله محبه

وكان المؤتمر التاسع قد انعقد في دمشق في عام (2004) وموضوعه (السريان نقله حضارات: خبرة بلاد الشام في العصر الأموي)، وقد تناول بحوثاً تاريخية تضمنت بعض النشاطات الثقافية وأعلام السريان في ذلك العصر، وصدر في كتاب بهذا العنوان وذلك في عام (2005).

وانعقد مؤتمر آخر كان موضوعه (مار افرام السرياني) في حلب في شهر (مايس 2006)، تم فيه مناقشة بحوث تتعلق بمؤلفات افرام السريانية وشخصيته، كما تناول المؤتمر الفترة التاريخية التي تأثر فيها أقدام في ثقافته وشعره.

وتقرر أن يعقد المؤتمر التالي في بغداد حيث كان من المقرر أن يحتضنه (بيت الحكمة) ببغداد وذلك في عام (2007) ولكن لظروف أمنية تأجل المؤتمر، أما في سوريا، فهناك نشاط متواضع بدأ منذ بضعة سنوات في تعليم اللغة السريانية في أحد المعاهد وتأليف وترجمة بعض الكتب التاريخية المتميزة مثل:

1. تاريخ مار ميخائيل السرياني من ترجمة المطران صليبا شمعون.

2. الأيام الستة لمار يعقوب الرهاوي ترجمة صليبا شمعون.

3. الرها: المدينة المباركة تأليف المستشرق الفرنسي اريك سيكال ترجمة يوسف إبراهيم جبرا.

4. الممالك الآرامية تأليف صليبا شمعون.

5. السريان وحرب الأيقونات تأليف المطران يوحنا إبراهيم.

6. أهل الكهف في المصادر السريانية تأليف البطريرك زكا عيواص.

7. الألفاظ السريانية في اللغة العربية تأليف افرام برصوم.

8. مار يعقوب الرهاوي ترجمة صليبا شمعون.

9. منارة الأقواس تأليف ابن العكبري ترجمة بنهام حجاوي.

وتمتلك المكتبة البريطانية وقبلها مكتبة المتحف البريطاني عدداً من المخطوطات والوثائق السريانية النفسية، وتعنى كذلك جامعة لوفان (Luvan) في بلجيكا بالدراسات السريانية كما يعني المعهد الشرقي في جامعة أوكسفودر بالدراسات الشرقية ومنها السريانية وهي الآن بإشراف العلامة سباستيان بروك الذي حضر معظم المؤتمرات العلمية السريانية.

وقد تناول بردك التواريخ السريانية المهمة بالدراسة والتعليق، ويمكن أن نوجزها على النحو التالي:

يقسم بروك التواريخ السريانية إلى قسمين التواريخ الغربية والتواريخ الشرقية.

أولاً: التواريخ السريانية الغربية:

1. تاريخ الرها.

2. التاري الكنسي المنسوب إلى زكريا الخطيب.

3. التاريخ الكنسي ليوحنا الأميسوسي.

4. تاريخان مجهولان من أصل ملكي وماروني.

5. تاريخ يعقوب الرهاوي.

6. حولية تاريخية تعود للسنوات (712، 724) ومن ثم (501).. الخ.

7. تاريخ لمؤلف مجهول يعود إلى سنة (775) لمؤلف مجهول.

8. التاريخ المنسوب إلى ديونيسيوس والمعروف بالتاريخ الزوقنيني.

9. تاريخ يعود دالي سنة (813) وآخر إلى سنة (819) وثالث حتى سنة (846).

10. التاريخ الكنسي لديوينسيوس التلمحري.

11. التاريخ السرياني لميخائيل الكبير (تمت ترجمته عام 1996).

12. التاريخ المعروف بالرهاوي اعتباراً من (1234)، تمت ترجمته في بغداد عام (1986.

13. تتمة حولية يغوري للأعوام (1289-1297).

ثانياَ: التواريخ السريانية الشرقية:

1. تاريخ برخد بشبا من عربايا.

2. تاريخ كرخ دبث سلوخ.

3. تاريخ اربيل (المشكوك فيه أو المخول) مشيما زخّا.

4. تاريخ يوحنا فنكايا.

5. تاريخ ايليا النصيبيني أو تاريخ يرشينايا (تمت ترجمته في بغداد).

6. نبذ تاريخية لعدة أشخاص مجهولين ([]).

أما في العراق فإن معظم المسيحيين البالغ عددهم حوالي المليون يتحدثون باللغتين السريانية والعربية، وتقوم كلية اللغات في جامعة بغداد بتدريس اللغة السريانية في أحد أقسامها، وفي كلية القديس يوسف في بيروت ومنذ الخمسينات يجري التركيز على الدراسات العلمية السريانية، بينما لا يوجد في سوريا أي قسم جامعي للغة السريانية، كما لا يعني المجمع العلمي السوري باللغة السريانية ويعود السبب إلى أن اللغة السريانية قد انحسرت في سوريا وبقيت في الكنائس والأديرة وثلاث قرى تتحدث بخليط من الآرامية والسريانية، بينما اتسعت اللغة والثقافة السريانية في العراق خاصة في شماله بفضل إقليم كردستان.

أما في لبنان فنرى أن هنالك نهضة سريانية – عربية جعلت البعد التاريخي مرتبطاً بالواقع العربي، ولا تزال تتمتع لبنان بحرية أكبر في مجال النقد التاريخي وخصوصاً القضايا الجدلية القائمة بين الفكر السرياني والفكر العربي – الإسلامي، ولا تزال تجد في كثير من الكتابات التاريخية العربية غياباً واضحاً أو إهمالاً يدل على إغفال فترة تاريخية مهمة من حياة شعب العراق وخصوصاً الفترة التي يحق لنا أن نسميها الفترة الساسانية – السريانية.

حيث يجرى التركيز في مثل هذه الدراسات على الصراع بين القبائل العربية والفرس دون الأخذ بنظر الاعتبار بالواقع الذي كانت تعيشه الأقوام الموجودة في العراق والتي تعود إلى أصول عربية وآرامية وأشورية وكلدية فمثلاً كتاب (الوجيز في تاريخ إيران) لمؤلفه الأستاذ الدكتور حسين الجاف الذي يتطرق إلى السريان عرضاً حين يتحدث عن الفترة الساسانية، أما موسعة (حضارة العراق) في (14 جزءاً) (1980-1982) فقد طوت صفحة تاريخ وجود السريان والثقافة السريانية في العراق التي استمرت متقدمة حتى القرن الثامن الميلادي، سواء في المساهمة في بناء أسس النمو الحضاري العربي في اللغة والترجمة والتأليف أو في المشاركة العلمية والفلسفية والطبية في نشأة علوم عربية جديدة.

وتعدُّ الدراسات التي كتبها العلامة سامي سعيد الأحمد وخصوصاً كتابة (الفريد) (تاريخ الخليج العربي) بداية طيبة للفترة التاريخية التي سبقت الحقبة الميلادية الأولى في العراق والتي تميزت بنشاط الآراميين والعرب في ممالكهم الصغيرة في ميشان وحدياب وحاطرا (الحضر) وغيرها والتي كانت البذرة الأولى لنشأة الثقافة السريانية.

ولابد أن نشير إلى أن هنالك حركة ترجمة طيبة في سوريا وخصوصاً النوادي الثقافية والجهات الدينية التي لا تزال تعني بالثقافة واللغة السريانية وقد ترجم عدد من المؤلفات القديمة ومن بينها

كتاب (تاريخ ميخائيل السرياني) بثلاثة أجزاء والذي يعود تاريخ تأليفه إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

ويهمنا أن نشير إلى عالمة روسية مرموقة هي نينا بيكوليفسكايا رئيسة قسم الدراسات السريانية (Sgrianoiogg) التابعة إلى الهيئة العلمية السوفيتية السابقة في موسكو، وكانت بيكولفسكايا قد كرّست حياتها العلمية لدراسة نشأة وتطور نشاط المسيحيين السريان من مناذرة أو غساسنة في مملكة الحيرة ومملكة كندة وقد صدر لها كتاباً شاملاً حول الموضوع بالإضافة إلى أكثر من عشرين بحثاً، ومن حسن الحظ أن كلا من الكتابين ترجما إلى اللغة العربية وهما:

أولاً: العرب على حدود بيزنطة وفارس في القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي.

ثانياً: ثقافة سريانية في القرون الوسطى.

على الرغم من أن نشاط الترجمة لدى السريان إلى العربية قد جرى منذ القرن التاسع الميلادي وحتى الآن، فإنه لا تزال مئات المخطوطات التاريخية والعلمية والأدبية قابعة في مكتبة الفاتيكان والمكتبة البريطانية ومكتبات الأديرة في العراق وسوريا ولبنان، أما أبرز المخطوطات والكتب التاريخية السريانية التي لم تترجم بعد إلى اللغة العربية فهي كما يلي:

أولاً: تاريخ يشوع العمودي:

وهو التاريخ المسمى بالإنكليزية (Goshua The Stglite)، حققة الأب (بولان مارتن) وطبعه في لابيزك بألمانيا عام (1876)، في مجموعة وثائق وتقارير عن عادات الشرق – المجلد السادس، كما نشره الباحث (رايف) من مدينة كمبرج بإنكلترا عام (1882)، ويتضمن هذا الكتاب تسجيلاً للحوادث التي جرت في بلاد ما بين النهرين (تمتد من العراق وحتى مدينة نصبين شمال سوريا)، وكذلك سوريا منذ سنة (495) إلى نهاية سنة (506)، ويعد أكمل وأدق مستند لدينا عن حروب الإمبراطور الروماني انستازيوس والملك الفارسي قباذ، وتم وضع هذا التاريخ في الرها في نحو سنة (518م)، لأن مؤلفه يخبرنا عن نهاية حكم انستاس.

والكتاب في فترات نسب إلى ديو ينسبوس التلمحري خطأً، كان يشوع العمودي بطريكاً أرثوذكسياً زوال التعلم في مدرسة الرها وعرف بوقوفه ساعات على عمود والناس يسألونه ويناقشونه.

ثانياً: تاريخ الرها لمؤلف مجهول:

وهو مخطوط سرياني في الفاتيكان رقمه (163) جلب من مكتبة الدير السرياني في برية نيديا (صعيد مصر)، وهذا التاريخ يبتدأ من سنة (131-132) قبل الميلاد وينتهي سنة (540) وهذا الوقت الذي تم فيه التأليف وجاء مختصراً في عصوره الأولى، ولكنه مفصل في سرد الحوادث اعتباراً من القرن الثالث الميلادي والأحداث التاريخية دقيقة مما حوله كتاباً موثوقاً لما حدث في تاريخ الشرق وتاريخ الغرب كذلك، طبع عدة مرات بالسريانية مع ترجمة موجزة له بالألمانية، وأعيد طبعه مع ترجمة لاتينية على يد العلامة كويدي.

ثالثاً: التاريخ الكنسي لأوسابيوس:

النص مكتوب (مع بعض الخلل في النص)، في مخطوطتين أصليتين منقولتين من الدير السرياني في وادي النطرون، أحدهما هو الآن في مكتبة بطرسبرك في روسيا، وهو يتضمن الكتاب المؤلف

من عشرة أجزاء، عدا الجزء السادس، أما الجزء الخامس والجزء السابع، فلم يبق منه إلا بعض أوراق.

ويوجد مخطوط ثالث يحتوي على الأجزاء الخمسة الأولى من هذا الكتاب في المتحف البريطاني تحت رقم (14، 39) وقد ترجم هذا الكتاب التاريخي المهم إلى الآرامية عام (1876)، وتوجد نسخة نادرة منه في مكتبة فينسيا (البندقية) في إيطاليا، وكان المستشرق البريطاني رايت قد باشر في نهاية القرن التاسع عشر بتحقيق هذه النسخة ودراستها لكن المنية عاجلته، فأكملها الباحث نورمان مالكين عام (1898) في مدينة كمبرج، وطبعها الأب الفرنسية([112])، وقد ترجم النص الموجز الموجود في وادي النطرون أوعى البض (الإنكليزي).

رابعاً: تاريخ اربيلا (Chronicle Of Arbella):

ويرجع إلى منتصف القرن السادس الميلادي وهو يتناول التاريخ الديني والمدني (طرز بانة حدياب) ومركزها اربيلا ابتداء من القرن الثاني الميلادي حتى حوالي سنة (550م) وهو من أهم المصادر السريانية، قيل أنه ترجم في القاهرة عام (1960) لكنه لم يصلنا بعد(2).

خامساً: كتاب ديونيسيوس التلمحري المسمى بالحوليات:

وقد وصلنا منه أجزاء قليلة وبلغة مشوشه على الرغم من أهميته إذ يتضمن فترة مائتي سنة منذ بدأ حكم الإمبراطور موريكوس (مور بقي) وفترة حكم هارون الرشيد حتى الملك البيزنطي (ميخائيل الفني) (3).

سادساً: تاريخ كرخا دبيث سلوخ (كركوك): هذا الكتاب المحلي القصير والمجهول المؤلف، الذي حفظ في مخطوط من القرن السابع أو الثامن يصف التاريخ القديم لبلدة (قلعة بيت سلوقس) التي بناها سلوقس نيكاتور، ودعاها السريان كرخ دبيث سلوخ، ثم كرخ سلوخ أو بيث سلوخ، وصار اسمها في القرن السابع كركوك، يصف الكاتب البدايات المسيحية في المدينة والاضطهادات الأخيرة التي قام بها الملكان الساسانيان شابور الثاني ويزدجرد الثاني(4[113]).

سابعاً: حولية خوزستان: تاريخ يتضمن صفحات قليلة ولكنها مهمة، ألفها كاتب مجهول يعود إلى القرن السابع للميلاد، ينتمي إلى مقاطعة خوزستان الكنيسة السريانية الشرقية، وهو يصف المرحلة الأخيرة من الإمبراطورية الساسانية التي تبدأ مع هرمزد الرابع (589). والهجمات العربية الأولى في خوزستان، وحملة خالد بن الوليد في سوريا ووفاة هرقل، وينتهي ببعض التفاصيل الجغرافية عن مكة وعن بعض المدن العربية الأخرى، وإذ يرتكز على كتب تاريخية كنسية ودنيوية قديمة، فهو يولي الكثير من الاهتمام لرؤساء كنيسة المشرق وبعض الشخصيات الكنيسة المحلية أمثال ايليا مطران مرو في القرن السابع، الذي نجح في هداية الكثير من الأتراك وغيرهم من عبدة الأوثان([114]).

ثامناً: يوحنا فنكاي:

كان يوحنا فنكاي راهباً عاش في غرب بلاد ما بين النهرين في دير مار يوحنا كامول الشهير، المعروف بتقليده الزهدي وبحياته الروحية في كنيسة المشرق، ألف كتاباً في تاريخ العالم، وأعطاه عنواناً غريباً بعض الشيء هو (كتاب دريش حلا) أي (كتاب رأس حكمة الله)، وقد يُعزى هذا إلى الطابع المختصر لهذا التاريخ الإخباري، الذي يُقصد به تقديم عرض للتاريخ بطريقة مختصرة وقد

أهداه إلى سابر يشوع، رئيس ديره على الأرجح، أما عمله الذي ضم (15) جدولاً تاريخياً، فيغطي المرحلة الممتدة منذ بدأ التكوين حتى الأحداث التي جرت في منطقة نصيبين قبل نهاية القرن السابع والتي سجلها بصفته شاهد عيان، وعلى غرار غيره من المؤرخين السريان اهتم يوحنا بالتفسير الديني للتاريخ، ويعتبر عمل يوحنا مثيراً للاهتمام بشكل خارجي من وجهة نظر تاريخية، حتى أنه يقدم وصفاً وتفسيراً لهجمات الجيوش العربية وللتطورات اللاحقة ولموقف المسلمين (المتساهل عموماً) تجاه المسيحيين([115]).

تاسعاً: الآباء الروحيين:

على الرغم من أنه تاريخ كنيسي، إلا أن أهميته تعود إلى أن دراسته التاريخية تمتد لفترة تزيد عن أربعين عاماً التي جرى منها الاضطهاد الساساني (338-381) للمسيحيين في العراق والأهواز وقتلهم بالجملة، ويقدر عدد الشهداء (6000) فرداً بالإضافة إلى إحراق كنائسهم وشنق رؤوسائهم، أن مؤلفه هو (بوحذ بشيا عربايا) الذي كان استناداً في مدرسة نصيبين ثم أصبح لاحقاً أسقفا في مدينة حلوان في العراق.

عاشراً: حولية زقنين:

هذا العمل هو تاريخ عام يبدأ منذ تكوين العالم حتى سنة (775)، تاريخ تأليفه، ولعل الكتاب هو القاضي يشوع العمودي، الذي جمعه في دير زقني قرب آمد (فيما بعد ديار بكر)، وترتكز الأجزاء الثلاثة الأولى من هذا المخطوط على مواد متاحة، من بينها الجزء الثاني من تاريخ يوحنا الافسسي وكذلك على حولية تصف تاريخ الرها ومحيطها منذ سنة (494) حتى سنة (506)، ويبدو وكأنه تسجيلاً لشاهد عيان من الرها نفسها أما الجزء الرابع فهو مؤلف فريد يصف بعض الأحداث الإسلامية الأولى مثل الصراع بين الإمام علي ومعاوية وبداية العصر الأموي ويتطرق إلى المشكلات الاقتصادية في القرن الثامن التي حدثت في منطقة الموصل([116]).

المبحث الثاني : كتب التاريخ السرياني المترجمة

إلى العربية أو التي كتبت بالعربية

بدأت ترجمة الكتب التاريخية السريانية إلى العربية منذ القرن الثامن للميلاد، ولم تنقطع حتى الآن، فالثقافة السريانية كانت ولا تزال صنو الثقافة العربية، ولذلك غدت البحوث السريانية المعاصرة معبرة عن تطور الفكر في المشرق العربي ونهضته، وهي بالتالي تصب في بحر الثقافة العربية.

كان تاريخ العبري الذي كتبه بالعربية في القرن الثالث عشر وهو (مختصر تاريخ الدول) أهم الكتب السريانية التاريخية التي اعتنى بها المؤرخون العرب، إضافة إلى ما ورد من أخبار عن الأقوام العربية في الحيرة وبصرى وسرجيوبوليس وتدمر وكشكر، وكذلك ما كتبه حنين بن اسحق عن حياته وعن محنته والتي نقل ابن أبي اصيبعة جزءاً كبيراً منهما.

أضف إلى ذلك كتب كثيرة في الطب والفلسفة والأخلاق كتبها كثير في السريان من ذوي أصل عربي أمثال حنين وأبو الطيب وابن بطلان وابن الخمار وكثير غيرهم، أضف إلى ذلك الرسائل والمناقشات الجدلية بني المسيحيين والمسلمين في عصر الخليفتين المهدي والمأمون.

وقد أخذ المؤرخين العرب عن هذه المصادر القليلة في كتبهم في حين لم نلحظ أنهم قرأوا الكتب التاريخية السريانية، ونشير بذلك إلى كتاب علي بن داود الأرفادني من أبناء القرن الحادي عشر الذي ألفه بالعربية عن المشرقيين سمّاه (اجتماع الأمانة). كذلك نشر إلى كتاب (المجدل)، الذي ظل في معظمه قابعاً في مكتبة الفاتيكان إذ لم ينشر إلا جزءاً منه، أما كتاب (التاريخ السعردي) فعلى الرغم من نشره في بداية القرن الماضي، إلا أنه من العسير الحصول على نسخة منه الآن، وحبذا لو قامت الهيئة اللغة السريانية بنشره مع تحقيق له وذلك لأهمية الكتاب التاريخية.

إن أبرز الكتب التاريخية السريانية المترجمة أو المؤلفة باللغة العربية كما يلي:

الأول: تاريخ مار ميخائيل السرياني (ت 1196):

عثر على هذا المخطوط في مكتبة الكنيسة الأرثوذكسية في الرها (اورفا) وطبعة المستشرق شابو مع تعليقات بالفرنسية، وهناك ترجمة عربية لا يعرف مدى دقتها موجودة على مخطوطة عربية متوفرة في المكتبة البريطانية، ألفه بطريرك انطاكيا عام (1196)، تناول فيه أولاً تاريخ العالم القديم، جرباً على أسلوب الطبري، وهو تاريخ قد تغيرت ملامحه بعد الاكتشافات الأثرية الحديثة، ثم يتناول تاريخ السريان وخاصة في سوريا وعلاقتهم بالحكم البيزنطي المتقلب الآراء والنزعات، وينتهي المؤلف سنة (1193)، على أن القسم المهم منه يتحدث عن النشاطات التي كانت تجري إبان الحروب الصليبية، وهو يقدم لنا وجهة نظر أهالي البلاد من المسيحيين ومعاناتهم أثناء الحملة الصليبية، ومار ميخائيل يركز على الحوادث الدينية والمذهبية وتأثير الحكام البيزنطيين في كل ذلك ولا ينسى تلك الصراعات الطائفية التي غطت على كثير من الوقائع المهمة التي حدثت في زمانه.

ترجم إلى اللغة العربية في عام (1996) من قبل المطران صليبا شمعون من الموصل، ترجمة جيدة إلا أنها بعوزها التحقيق والتعليق على كثير من الأحداث والاتجاهات الدينية والآراء التي يبديها

ميخائيل السرياني، وكان على المترجم ألا يترك التواريخ اليونانية على حالها، ونجد أن المترجم الفاضل يعلن عدم ارتياحه إلى أسلوب الكاتب([117]).

الثاني: تاريخ يوحنا الأسيوي (ت 585):

يوحنا الأسيوي أو الأفسسي (505-585) أصله من مدينة آمد، نشأ منذ صغره في جوٍّ ديني، فقد تربى في دير وعاش شبابه وهو يقرأ ما يصل إليه من كتب دينية وفلسفية التي كانت متوفرة في الأديرة وأحياناً يجري مناقشتها في جلسات المساء.

وقد رسم شماساً أي مساعداً للقس عام (529م) ثم أصبح بعد حين قسيساً، وسرعان ما اشتهر بثقافته في العلوم الدينية، اعتاد على التجول والترحال في مدن شمال سوريا وجنوب الأناضول حتى انطاكيا، وتعرف خلالها على حياة النسك والزهد والرهبنة التي انتشرت بين السريان كذلك لاحظ دور الأديرة في نمو الثقافة، حيث سجل كل ذلك في كتابه الأول (تاريخ النّساك الشرقيين) ثم زار يوحنا مدينة الإسكندرية، أبرز مراكز الثقافة والعلم في العالم آنذاك فتعلم في مدرستها الفلسفة والعلوم وعاد إلى العاصمة قسطنطينية، وهناك عين أسقفاً للأرثوذكس بعد مار انثميوس.

وفي عام (541) قام برحلة إلى بلدان كثيرة حيث اطلع على مظاهر الفلسفة والثقافة السائدة فيها وفي مدارسها خاصة في مدرستي طيسفون وجنديسابور، وعندما أراد الإمبراطور جستنيان القضاء على بقايا عبادة الأصنام في أسيا الصغرى بعد اهتداء بيزنطة إلى المسيحية، أوفد في بعثه دينية برئاسته في سنة (542) وبدأ جهوده الدينية في مدينة (ترا ليس) الجبلية حينما أقام هنالك ديراً وجعله مقراً لحملته في الدعوة إلى عبادة الله والإيمان بالمسيحية، وبعد نجاح حملته تنقل في مدن آسيا ممثلاً للإمبراطور، فأقام في (فريجية) (وليديا) العديد من الكنائس والأديرة.

ولما عاد أعجب به البطريرك (يعقوب البرادعي) فوسمه بطريركاً على آسيا الصغرى حيث وصل نفوذه إلى العاصمة قسطنطينية، تعرض يوحنا في بقية حياته إلى النفي والسجن، حيث أن آرائه لم ترق للإمبراطور جستنيان الذي اضطهده حتى مات سنة (585).

أما أهم أثاره التاريخية فهي مؤلفات عظت الحوادث في تاريخ المشرق بعضها مفقود مثل (تاريخ الاضطهاد) الذي يتناول ما عانته المسيحية في سوريا قبل اهتداء بيزنطة، أما كتابه عن تاريخ الرهبان والرهبنة في الشرق، فقد نشره (جورج لاند) بعد أن ترجمه إلى الإنكليزية، ونشر جزءاً منه الأب يعقوب حنّا الموصلي عام (1901)، وقد ألّف يوحنا كتاباً عن أهل الكهف سمّاه: (قصة نائمي افسس السبعة)، إلا أن أشهر أعماله التاريخية هو (تاريخ الكنيسة) الذي شرع بكتابته سنة (575)، ويعد من أقدم التواريخ عن أحوال المسيحيين في المشرق، لكن القسم الأول الذي يتضمن عصر يوليوس قيصر مفقود.

أما القسم الثاني، فإنه لم يترجم حتى الآن إلى العربية ويتضمن فترة من عام (449) أي حتى السنة السادسة من عهد الإمبراطور جستنيان لا يزال محفوظ في مكتبة الفاتيكان، أما القسم الثالث الذي يضمن الأجزاء الثالث و الخامس والسادس (عدا الجزء الرابع فهو مفقود) فيغطي نشاط السريان وعلاقتهم بالكنيسة وبالملوك البيزنطيين أي أنه يشمل الفترة من عام (572) حتى سنة (585) وهي سنة وفاة المؤلف، ولحسن الحظ فإن أحد أساتذة اللغة السريانية في مصر (صلاح عبد العزيز محجوب) قد قام بترجمته إلى العربية عام (2000)، والكتاب يقدم لمحات في رؤية معاصرة، لأحداث القرن السادس الميلادي بضمنها حروب البيزنطيين معِ الفرس بالإضافة إلى علاقة إمارة

الغساسنة بإمارة المناذرة في الحيرة الذين كانوا يتقاتلون موسماً ثم في موسم آخر يتعاملون بالتجارة ويتزاوجون كأنهم لم يتقاتلوا بالأمس.

وفيه ذكر لقبيلة الطائيين بنو حاتم الطائي الذين كان كثير منهم موحداً يتأثر قربة من الغساسنة المسيحيين، وأن ابنه الشاعر على الأرجح قد صار نصرانياً في الحيرة لكثرة تردده على بلاط الملك النعمان الأخير كأحد شعراء البلاد الحيري.

وقد درج معظم المؤرخين السريان على اعتمادهم على كتاب يوحنا الأسيوي أو الافسسي، كما سمّي في فترة من حياته بـ يوحنا الآمدي([118]).

الثالث: التاريخ الصغير لمؤلف مجهول:

كتب الأب الدكتور بطرس حداد عن كتاب (لتاريخ الصغير لمؤلف سرياني مجهول) أنه قام بتحقيق الكتاب أثناء ترجمته فأضاف عليه هوامش لتوضيح ما غمض من أحداثه وأعلامه، وأن الكتاب كان في الأصل أوسع تفصيلاً وحوداثاً وأغزر مادة، لكن الذي وصلنا هو نص موجز لا يتجاوز الخمسين صفحة، ومن المؤكد أن مؤلفه سرياني نسطوري المذهب، لأنه يركز على أعمال أئمة كنيسته، وهو على الأكثر راهب من أحد أديرة شمال شرقي أعالي بلاد ما بين النهرين.

وتعتبر الوقائع التاريخية وإشاراته الثقافية قديمة أيضاً وهو على صغر حجمه يحتوي على مجريات الثقافة والحياة الدينية والسياسية بين القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين، كما يركز على نشاط النساطرة في ظل الملك هرمزد بن كسرى أي هرمزد الرابع أنو شروان بن قباذ (579-590) مشيراً إلى أهم الأحداث حتى زوال مملكة فارس في الأعوام (637-651) ([119]).

الرابع: ميشو عدناح (ت 84) وكتاب (العفّة):

ترك لنا في بداية القرن التاسع، المطران ميشو عدناح كتاباً عن نشاط السريان في مرزبانه الأهواز (بيت هوازي) التي تشمل الأحواز وجنوب العراق خاصة مدينة فرات – ميشان التي بينت قربها مدينة البصرة عام (617)، وكان يزدجرد الأول قد أوعز إلى ولاة مملكته في القرن السابع أن يسهلوا أسباب السفر والانتقال للأساقفة والعلماء السريان في جميع مرزبانات بلاد بابل (العراق)، وقد أشار المطران ميشوعدناح إلى هذا النشاط وأهميته في تعزيز اللغة السريانية والثقافة الدينية خلال القرن السابع والثامن الميلاديين.

معنى يشوع دناح (بسوع الذي أشرف) وهي لفظة سريانية، عاش ميشوعدناح في القرن الثامن حتى بداية القرن التاسع – وشرح في كتابه أخبار الرهبان والأديرة في العراق وبلاد فارس إذ أن اسم الكتاب الحقيقي (الديورة في مملكتي الفرس والعرب)، وكانت ساحات الأديرة قد احتلت مركزاً لإيواء المسافرين بالإضافة إلى أنها تضم أحياناً مدرسة لتعليم القراءة والكتابة والتعاليم الدينية وأحياناً تجري في مجالسها مناقشات فلسفية وثقافية ودينية وكثير من الناس كانوا يؤمنون بالمسيحية من خلال تلك الاتصالات أو يؤمنوا بوجود خالق واحد يسمى الرب أو الله ومن خلال تلك الأديرة نشأ الموحدون من العرب قبل الإسلام، ومن المدن التي ترد في الكتاب مدينة (ماحوزا) قرب طيسفون التي يسميها المؤلف (ماحوزي) وكذلك بلدة (حازا) قرب اربيل في إقليم حدياب التي عاش فيها عدداً كبيراً من اليهود([120]).

الخامس: تاريخ الزمان لابن العبري (1226-1286):

يعتبر تاريخ الزمان من أهم الكتب التي ألفها ابن العبري في التاريخ المسيحي، نظراً لإتسامه بالموضوعية كما أن أسلوبه في كتابة التاريخ يمتاز بالإيجاز والدقة بعيداً عن الروايات الخيالية المبالغ فيها، يشبه أسلوب ابن العبري أسلوب المؤرخ أحمد اليعقوبي (ت 292هـ) في كتابة المعروف (تاريخ العقوبي) خاصة في قسمة الثاني الذي يتضمن تاريخ الدوليتين الأموية والعباسية، بينما ركز ابن العبري على الفترة العباسية بين السنوات (752-1284) وإذا كان اليعقوبي في تاريخيه قد وصل إلى أيام أحمد المعتمد على الله حتى أيام عام (259 هـ)، فإن ابن العبري استمر حتى عام (1284)([121]).

اعتمد ابن العبري على التواريخ السريانية التي سبقته وخاصة تاريخ دينسيوس التلمحري وتاريخ ميخائيل السرياني إلى جانب ملاحظاته الشخصية خاصة تلك التي تشير إلى الفترة بين (1250-1284) التي هجم فيها المغول على بغداد، كما المح أنه استفاد من بعض المصادر العربية لكنه لم يذكرها.

وقد طلب أصدقاءه من العلماء العرب، أن يكتب لهم التاريخ بالعربية فاستجاب وقام بكتابة مختصر تاريخ الدول أو بالأحرى (تاريخ مختصر الدول) مضيفاً إلى ما كتبه في تاريخ الزمان بعض العبارات والفقرات، واختصر نشاط السريان والكنيسة المسيحية، مضيفاً بعض الفقرات والعبارات للنص العربي، حسبما رأي ضرورة لذلك([122])، وقد أشار إليه بعض المؤرخين العرب الذين كتبوا في التاريخ العربي – الإسلامي بعد القرن الثالث عشر.

السادس: تاريخ ايليا برشينايا:

تاريخ كتب عام (490 هـ / 1018م) ولد ايليا برشينايا عام (994) وتوفى عام (1046)، درس العلوم واللغة واللاهوت على يد أساتذة وقسس في الأديرة حتى أصبح بارعاً في اللغة واللاهوت والتاريخ واطلع على قوانين وتعاليم الكنيسة، وكان يعتبر المؤرخ ايليا مع العالم أبو الفرج عبد الله ابن الطيب (ت 1043) من أكبر الشخصيات السريانية في زمانه وكان كلاهما حجه للمثقفين السريان، وقد ألف:

1. كتاب قواعد اللغة السريانية.

2. أربعة كتب في القوانين الكنيسة.

3. مناظرات مع الوزير أبي القاسم بن علي المغربي.

4. مقالات ورسائل.

5. كتاب (تاريخ الأزمنة) كما أسماه مؤلفه وهو الكتاب الذي نحن بصدده، وهو عبارة عن تسجيل لمحات سريعة تاريخية على شكل الحوليات الآشورية القديمة مرتبة على سنوات ابتداءاً من الناس الأولين أهم وقائع الملوك والبطاركة، ويضم أخبار التاريخ العام للسنوات الأخيرة من حياته، أما الجزء الثاني فيتضمن مقاييس السنيين بحساب سنوات الأقباط معتمداً في ترتيب التواريخ على يوحنا الافسس (الأسيوي) وعلى يشوعدناح وغيرهما وقد ترجمه حديثاً الأب يوسف حبّي([123]).

السابع: كتاب الرؤوساء:

كتاب الرؤوساء من تأليف نوحا المرجي، ولد في مقاطعة حدياب التي مركزها اربيل، في بداية القرن التاسع، وأصبح راهباً في دير (بيث أباي) وأمين سر البطريرك إبراهام الثاني الذي عيّنه بعد حين أسقفاً على بلدة المرج، وهو مؤلف كتاب تاريخي آخر عن سيّر القديسين لكنه مفقود.

وكتاب آخر (تاريخ دير مار قبريانس في محيط المرج) الذي يحوى على معلومات مهمة عن الحركة النسكية في شمال بلاد ما بين النهرين، وقد ترجمه من السريانية إلى العربية الباحث الأب البير أبونا في الموصل عام (1966) ([124])، وكتاب الرؤوساء على الرغم من أنه يصنّف كتاباً تاريخياً كنسياً، لكنه أيضاً يقدم معلومات تاريخية عامة عن التطورات السياسية والدينية خلال القرن التاسع.

الثامن: المجدل:

قام ماري سليمان بتدبيج موسوعة دينية وخلاصة تاريخية لرجال الدين ومنهم بطاركة كنيسة المشرق، ووضع لها عنواناً هو (المجدل)، وماري بن سليمان من كتّاب القرن الحادي عشر، وكتاب المجدل كبير جداً، إذ يقع في (1079) صفحة من الحجم الكبير، والكتاب مزيج باللغة العربية لكنه لا يزال قابعاً في المكتبة الوطنية بباريس وقد نشر جزءاً صغيراً منه وهو (الفصل الخامس من الباب الخامس الذي عرف باسم أخبار فطاركة كرسي المشرق نم كتاب المجدل).

التاسع: التاريخ السعردي:

والتاريخ السعردي، من أبرز التواريخ السريانية، كان في الأصل تاريخاً عاماً يبدأ منذ التاريخ القديم حتى عام (650م) لكن لم يبق منه إلا أجزاء تصف تاريخ الإمبراطورية الرومانية من سنة (251 إلى سنة 422 ومن عام 484 إلى سنة 650)، وقد اعتمد عليه ماري بن سليمان في كتاباته التاريخية، والكتاب المؤلف نسطوري مجهول، استخدم فيه مصادر سريانية تعود إلى القرون الميلادية الأولى وخاصة كتاب تاريخ الكنيسة لمؤلفه (دنيان بار مريم) من القرن السابع ويرجع تاريخ تأليفه على الأرجح إلى سنة (1036) أي في بداية القرن الحادي عشر الميلادي. وقد نشر النص العربي المفكر المطران اداي شير([125])، وهو من أهم التواريخ المشرقية، وللتاريخ السعردي قسم مفقود وجده وحققه ونشره الأب بطرس حداد تحت عنوان (مختصر الأخبار البيعية) ([126]).

العاشر: تاريخ الأطباء:

كتاب تقيس يسجل تواريخ الأطباء في عصر حركة الترجمة العربية من تأليف الطبيب والحاذق في الفلسفة والترجمة اسحق بن حنين العبادي، لعله مؤلف باللغة العربية؟، ترجمه المستشرق البريطاني المعروف روز نثال إلى الإنكليزية وقام بنشره عام (1954)، وقارن في مقدمته بين هذا الكتاب المهم، وكتب تواريخ الأطباء الإسلامية لأن جلجل وابن أبي اصيبعه وابن القفطي، وهو مفقود في المكتبات العربية.

الحادي عشر: تاريخ الرهاوي المجهول (كتب في عام 1234م):

فضل المؤلف عدم ذكر اسمه، وكانت حياته قد امتدت على الأقل بين الأعوام (1187-1237)، ويعتقد أنه راهب عاش حياته في مدينة الرها، أما كتابة هذه النسخة من المخطوط فيعود على الأرجح إلى عام (1240) كما يذكر الباحث البير أبونا في مقدمة تحقيقه وترجمته للمخطوط.

والكتاب في وقائعه يعتمد أيضاً على التاريخ الكنسي الذي وصفه يوحنا الأمني التلمحري، ويبد أن المؤلف قد استفاد أيضاً من تاريخ الرها المفقود الذي كتبه باسيلوس من شومنا (ت 1169) وقد يكون المؤلف استعان ببعض الأحداث اعتماداً على وقوعها بالسنوات الهجرية الإسلامية مما يدل على اطلاعه على تواريخ إسلامية، وقد ترجم الأب البير أبونا الجزء الثاني من تاريخ الرهاوي وترك الجزء الأول الذي قال عنه أنه يحتوي على معلومات عامة كما أنه يتضمن مبالغة في حوادث ترقي إلى الأساطير.

أما الجزء المترجم فيتضمن وقائع تاريخية تمتد من عهد الخليفة الرشيد حتى سنة (1234) مع تركيز المؤلف على ماله صله بالمسيحيين والكنيسة المشرقية حتى سنة (1207) ([127]).

الثاني عشر: تاريخ الكنيسة لمؤلفه يوسابيوس القيصري (264-340م):

يعتبر أقدم الكتب التاريخية السريانية ا لتي وجدت، تضمن متابعة تاريخ الكنيسة الشرقية، ولم يتحدث عن المجتمعات المسيحية وطبيعتها وحركتها في الدولة الرومانية أو في الدولة الفارسية، تأثر يوسابيوس في اتجاهه الديني بالآراء لاريوسية الهرطوقية التي وجدت في القرن الرابع الميلادي ثم اختفت، وكانت بدايتها في الإسكندرية عام (318م).

اعتمد المؤلف على كتابات تاريخية سبقته وهي إحدى مميزات هذا العمل التاريخي لأن معظم الكتب التاريخية السريانية لم تصلنا، وهو من أفضل الأعمال التاريخية السريانية المتعلقة بالكنيسة فقد عمد المؤلف إلى الوضوح والدقة والإيجاز تضمن نشأة ونمو وانتشار المسيحية في نقاط محددة.

وقد ترجم الكتاب عام (1960) محضها في الغالب عن النص الإنكليزي الذي نُشر في عام (1898) وأعيد نشره عام (1952)، والنص المنشور يشمل الأقسام الخمسة الأولى من الكتاب المؤلف من عشرة أقسام في الأصل([128]).

المبحث الثالث : من أبرز المؤرخين السريان

ابن العبري (1226-1286) (Bar Hebraeus):

كان السريان قد ورثوا في القرن الثاني في العراق وسوريا قلب المشرق السرياني مع لغتهم وثقافتهم وعنايتهم بتاريخ العالم القديم المستمد من الروايات البابلية والعهد القديم، وكانت أصولهم متعددة الأعراق، أضف إلى ذلك أن ثقافتهم التي بدت تنمو، قد انتعشت بتحدي جديد يتمثل بمظاهر الحضارة اليونانية التي أورثها اليونانيون إلى الرومان الذين وصلوا المشرق.

بدأ المسيحيون منذ القرن الرابع في كتابة التاريخ ونضج أسلوبهم في القرن الخامس، وكان في معظمه قد خط بيد رجال الكنيسة الذين حافظا على الثقافة السريانية حتى الوقت الحاضر، ووصلنا عدداً ما يقرب من خمسين مخطوطة تاريخية وهو عدد يتجاوز بقليل نصف المكتوب والمسجل من المخطوطات التاريخية التي كتبها السريان في العراق وسوريا على الجلود والتي حفظت لنا في مكتبات الأديرة المنتشرة في جميع أنحاء العراق وسوريا ولبنان وغيرها.

كانت مدن انطاكيا والرها ونصيبيني ودمشق وطرابلس وطيسفون واربيل وكرخ سلوخ والحيرة ودور قنّى قد تفتحت فيها أزاهير الثقافة السريانية التي نضجت في القرن الخامس الميلادي ونضجت معها الكتابات التاريخية.

وجرى في هذه الفترة اهتمام عظيم بالتاريخ والعلوم الأخرى كما نضجت أساليب الكتابة التاريخية فكتبت العديد من الكتب في تاريخ الكنيسة أو تاريخ الأحوال المدنية أي ما يسمى بالتاريخ العام حيث أنتج القرن السادس مؤلفات تاريخية سريانية مهمة من أبرزها:

1. تاريخ زكريا البليغ: انتهى زكريا البليغ أسقف ملطية من كتابه تاريخه عام (491)، ومنه نسخة محفوظة في المكتبة البريطانية والذي لم يترجم بعد إلى أية لغة.

2. تاريخ أحداث سوريا وما بين النهرية: من سنة (495) إلى سنة (506)، صنف في الرها حوالي عام (518)، وينسب إلى يشوع العمودي، لم يترجم بعد.

3. تاريخ مجهول المؤلف يعرف بتاريخ الرها: من سنة (131) قبل الميلاد حتى عام (540)، يبدو أنه من مؤلفات أحد النساطرة في العراق وهو الكتاب الذي أشرنا إليه.

4. التاريخ الكنيسي ليوحنا الامسنسي أو الاسيوي (ت587): الجزء الأول منه مفقود والجزء الثاني وصلتنا منه نتف، والجزء الثالث ترجم إلى العربية في بيروت ثم في القاهرة.

5. سيرة النّساك: الشرقيين ليوحنا الامنسي ألفه في حدود السنين (565-566).

6. تاريخ يوحنا الأسيوي: انتهى يوحنا الامنسي من كتابة تاريخه عام (585)، وهو تاريخ مهم لم يترجم بعد، توجد منه نسختين في المكتبة البريطانية([129]).

وفي القرنين السابع والثامن استمرت الكتابات التاريخية والقرن الثالث عشر، وكان مار ميخائيل قد كتب كتاباً تاريخياً جامعاً بين التطورات المدنية والكنيسة سمي (تاريخ مار ميخائيل السرياني) وكان ذورة التأليف التاريخي السرياني هي مؤلفات ابن العبري التاريخية.

ولد غريغوريوس بر عبرويو (ابن العبري) في مدينة ملاطية المتعددة الأديان والثقافات سنة (1226)، وقد رسم قسيساً وهو في العشرين من العمر، ورفع مقامه إلى رئيس، أساقفة بعد عشرين سنة، ليصبح ممثلاً للبطريرك الأرثوذكسي في العراق، كان أحد أهم ممثلي النهضة الثقافية السريانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وقد تميزت أعماله الفكرية والتاريخية بالتنظيم والموضوعية والانفتاح على عالم الإسلام الثقافي والديني.

وابن العبري هو كاتب أعمال تاريخية عديدة، وقد كتبها باللغتين السريانية والعربية([130])، وهكذا فإن كتابة التاريخ كان الموضوع الرئيسي الذي اهتم به ابن العبري خصوصاً في سنواته الأخيرة التي قضاها في مدينة مراغة. وكان تأليفه تاريخاً باللغة العربية (مختصر تاريخ الدول) قد جعله مادة للمؤرخين القلّة الذين جاءوا بعده، حتى أواخر القرن الثامن عشر حينما جاءت النهضة العربية ومعها جنوها النهضة السريانية حينما أعيد كتابة تاريخ السريان والثقافة السريانية من جديد وخاصة تاريخ المسيحيين قبل الإسلام وأثناء الإسلام والتي بدأها العلامة لويس شيخو وادي شير وغيرهما.

كان ابن العبري إلى جانب عنايته بالتاريخ، عالماً مرموقاً من علماء القرن الثالث عشر للميلاد (السابع الهجري)، فقد ألف العديد من الكتب منها ثلاثة كتب تاريخية وديوان شعر وكتاب عن الحياة الرهبانية والنساك وثلاثة كتب أخرى دينية وكتابين في المنطق والفلسفة وموسوعة علمية وغيرها.

أما موسوعته في العلوم فقد كانت بمستوى أفضل الموسوعات العلمية في زمانه على جميع الأصعدة، وقد ضمت جميع الفروع العلمية والإنسانية كالفلسفة والطب والمنطق والعلوم الطبيعية وتدبير المنزل وغيرها وهي في (905) صفحات وقد اطلع المستشرق مر كليوث عليها، واعتبر مؤلفها عالماً من علماء الشرق في القرن الثالث عشر، ولو حالفنا الحظ وترجمت في زمانها إلى العربية لأعطت دفعة حياة إلى الفكر العربي بعد سقوطه بغداد واجتياح المغول للعراق وسوريا عام (1256).

لعل ابن العبري في كتابه (تاريخ الزمان) و(تاريخ مختصر الدول) قد وصل إلى ذروة عطاءه الفكري، وفي وفاته عام (1286)، انطفأت آخر شعلة وضاءة في الثقافة السريانية التي استمرت من القرن الثاني والثالث حتى القرن الثالث عشر في تلاحم وتبادل بين الثقافتين العربية والسريانية خاصة خلال وجود بيت الحكمة العباسي.

عرف ابن العبري مؤرخاً فاضلاً استفاد منه المؤرخون العرب فيما يخص الاطلاع على بعض المنجزات السريانية الباقية في العصر العباسي، وسعى أن تكون مؤلفاته العربية والسريانية موضوعية عامة وموجزة، والجدير بالذكر أن القلة من المثقفين من يعرف أن المؤرخ ابن العبري شاعراً رقيقاً، كما كان أديباً مفوهاً باللغتين السريانية والعربية، ويقول عنه الباحث افرام برصوم أنه كان من بلغاء العربية، وإنشاؤه السرياني محكم وأسلوبه قوي مشرق بارع في اختيار اللفظ المناسب وكان يجيد أيضاً اللغتين الآرمنية والفارسية ويعرف اليونانية.

وبحسب رأي الباحث برصوم أن اسمه هو غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون المكنى بأبي العَبري والملقب د. جمال الدين وقد ولد في قرية (عَبْرة) على نهر الفرات قرب مدينة ملطية في جهات أرمينة([131]). درس اليونانية والسريانية ثم كتب بالفلسفة واللاهوت وتعلم الطب في مدينة طرابلس الشام، أصبح قسيساً في مدية انطاكيا ثم انتقل إلى حلب.

وبعد فترة أقام منعزلاً في دير مار برصوما وذلك خلال عام (1244) ثم قصد دمشق، فحظي عند الملك الناصر بمكانة نظراً لثقافته العالية والواسعة، وأعيد مكرماً إلى حلب ورقي إلى قريته مطران، وهناك درس اللغة العربية حتى أتقن أركانها، ثم عاود دراسة الفلسفة واللاهوت، ولما نخرا هولاكو بغداد ودمرها وصل بجيشه البربري إلى حلب، فتوجه إليه ابن العبري يستعطفه لأجل رعيته دون جدوى، فقد دخل الجيش المغولي حلب وأصاب أهلها الكثير من الخراب والهلع([132]).

وفي عام (1264) أصبح بطريركا للسريان الأرثوذكس على المشرق، وبقي عدة سنوات في مدينة الموصل، وكان مركزه في دير مار متّى، وكانت ثقافته الموسوعية، وتواضعه وسعه تفكيره قد جعلت الرهبان وطالبي التنسك في هذا الدير العتيد يتحلقون حوله، ويطلبون عظاته وأحاديثه وقد أحبوه كثيراً، ثم ذهب إلى مدينة مراغة إلى مقره ومكتبته حيث قضى بقية حياته هناك يؤلف ويكتب حتى توفاه الله.

وقام أخوه برصوما وتلاميذه من رهبان دار مار متى بنقل جثمانه من مراغه إلى الدير الذي يقع على جبل في طرف من الموصل حيث دفن هناك، ولا يزال مشهده معروف ويزار حتى اليوم، وقد أشار بعض المؤرخين خطأً أن ابن العبري يهودياً، ويبدو أن ذلك حدث أيضاً في حياته، إذ يعلق على الأمر بنفسه قائلاً: (إذا كان سيدنا يسوع المسيح سمي نفسه سامرياً، فلا غضاضة عليك إن دعوك بأبي العبري لأن مصدر هذه التسمية نهر الفرات، لا ديناً معيباً ولا لغة عبرية) ([133]).

مؤلفاته:

ألف ابن العبري أكثر من عشرين كتاباً وقيل بلغت ثلاثين كتاباً في اللغتين السريانية والعربية، وكان حيل ابن العبري إلى التواضع جعله يلتزم جانب التنسك وحب التصوف والتحلي بالفقر الاختياري، وقد درس الحياة الروحية منذ أن لخص كتاب (ايرثاوس) اليوناني الذي نشره (ثارودسيوس الانطاكي (+896) ثم ألف كتاب (الاثيغون) أي الأخلاق وكان غرضه تنظيم الحياة الروحية للإنسان والعناية به عموماً روحاً وجسداً.

وهو شابه لفكرة كتاب الغزالي في مؤلفه (إحياء علوم الدين) ويقول المستشرق الهولندي فنس (Wensinck) أن بني العلامتين ابن العبري والغزالي علاقة أدبية قوية فكلاهما يتفقان بوجود علم المعاملة وعلم المكاشنة وكلاهما يصرحان بوضوح أنهما يهتمان بالتراث الروحي للسابقتين من الأخبار.

ثم ألف كتاباً جديداً في نفس المنحى سماه (الحمامة) تيمناً بالحمامة التي طارت فوق رأس المسيح حين تعمده في نهر الأردن على يد البشير التقي يوحنا المعمدان (النبي يحيى) وكان قد ألفه في عام (1278) تناول فيه المراحل التي يدخل فيها الراهب أو المتصوف إلى الحياة الروحية، ووضع أفكاره على شكل وصايا أو حكم تتعلق بحياة النساك ووصلت إلى مائة وصية، التي يلخصها قائلاً: (النسك الحقيقي يتم بالصلاة والذكر والقراءة والدرس والصلوات الأصولية في أوقاتها المعينة والسهر والبكاء، والصوم والعمل باليدين، والغربة وحفظ القلب من الشهوات كالكسل والشراهة والجشع والغضب والحسد والرغائب المنكرة .... الخ([134]).

إن هذه الأفكار في التنسك والانقطاع إلى الله انتقلت إلى الإسلام عن طريق الزهد والتصوف، وقد ناقش ابن العبري أهمية التصوف عند الغزالي وأبو طالب مكيّ وأشار إلى معارضة الزمخشري

للمتصوفة واستشهد بأقوال عطا الله الإسكندري الشاذلي المتوفي عام (1309) مما يدل على اتساع معرفته وعرف اهتمامه في مجالي الثقافتين العربية والسريانية، وكان ابن العبري في كتابه مختصر تاريخ الدول قد زوّاده بملاحظات وشروح استقاها من تاريخ يعقوب الرهاوي وبعض المصادر العربية والفارسية.

وكان أخوه (برصوم) قد أضاف إلى التاريخ المدني الذي ألفه ابن العبري بالسريانية، ثلاثة ملاحق مهمة بعد وفاته لم تترجم بعد إلى العربية أبرزها الملحقات الأول والثاني وهما.

1. أحداث غزوة الهونيين والفرس والمغول على مقاطعة ديار بكر للفترة من سنة (1347 إلى سنة 1403).

2. الخراب الذي أحدثه هجوم تيمورلنك على منطقة طور عابدين للفترة من عام (1364 إلى عام 1403).

كان ابن العبري كما يقول العلامة سباستيان بروك داعياً لدوره التربوي فكتب في مواضيع كثيرة على ثلاث مستويات من التعليم والثقافة لمنفعة جميع مستويات المتعلمين، وبعد بقاء عدد كبير من مخطوطاته وكتاباته دليلاً على نجاحه في تأدية دوره([135]).

أما مؤلفاته التاريخية فهي:

أولاً: تاريخ الزمان:

ويتضمن تاريخ العالم منذ بداية الخليقة والتاريخ القديم ثم التاريخ الوسيط وأحوال الدول والعلماء حتى سنة (1285) ترجم من السريانية إلى اللاتينية عام (1890)، ثم ترجمه المستشرق البريطاني (بج) (Budge) إلى الإنكليزية عام (1932)، كما ترجم إلى اللغة العربية.

ثانياً: مختصر تاريخ الدول:

وهو تاريخ الزمان نقله بتصرف ابن العبري من السريانية إلى العربية استجابة لرغباء معارفه من علماء المسلمين في مدينة مراغه، ضمنه بعض الملامح عن العلماء المسلمين وقد رتبه على عشرة فصول، أول من طبعه في العصر الحديث انطوان صالحاني عام (1890) في بيروت.

ثالثاً: التاريخ الكنسي وهو في جزأين:

يشتمل الجزء الأول على تاريخ بطاركة انطاكيا في عهد الرسول بطرس موسى الكنيسة الأولى في روما وفي عهد بولص وحتى سنة (1285)، أما الجزء الثاني: فيشتمل على تاريخ الجثالقة أي مطارنة المشرق (العراق وإيران) من أيام القديس توما الرسول ثم أضاف إليه أخبار جثالقة النساطرة نقلاً عن مؤرخهم ماري بن سليمان وذلك في النصف الأول من القرن الثاني عشر.

أما مؤلفاته الأخرى فقد أوضحها الباحث افرام برصوم على النحو التالي:

1. كتاب الأضواء أو اللُّمع: وهو في النحو السرياني، ادخل فيه أبواباً مبتكرة متأثراً بنحو اللغة العربية قسّمه إلى أربعة أبواب في الاسم والفعل والحرف والمشترك.

2. الغراما طيق: أي النحو والقواعد، ويسمى أيضاً المدخل إل معرفة النحو، وقد نظمه ابن العبري شعراً محاكياً ألفية ابن مالك ولكن على شكل ارجوزة يسهل حفظها بالوزن السباعي ومقفاه، ألفها في

بغداد في فترة قصيرة ثم أضاف إليها شروح وهوامش.

3. مخزن الأسرار: تفسير للعهد القديم والعهد الجديد أي الكتاب المقدس باستثناء سفر الرؤيا، مستشهداً بأفضل كتّاب السريان الذين سبقوه من بينهم افرام السرياني ويعقوب الرهاوي وجرجس أسقف العرب في الحيرة.

4. منارة الأقداس: دراسة في علم اللاهوت المسيحي، مضيفاً إليها أئمة النصرانية مستنداً في بحثه على الفلسفة اليونانية ما عدا تلك الأفكار التي تعارض المذهب الأرثوذكسي.

5. كتاب الأشعة: وهو مختصر لكتاب المنارة، وجعله في عشرة أبواب منظمة.

6. زبدة الحكمة في الفلسفة: أو الموسوعة العلمية والفلسفية لأبن العبري، وتضم مجلدين ضخمين في حوالي (951) صفحة، يحتوي المجلد الأول على علوم المنطق والفلسفة والدين والحكمة وغيرها وصفحاته (365) أما المجلد الثاني فيحتوي على العلوم الطبيعية أبرز موضوعاته المادة والصورة والحركة الطبيعية والسماء والعالم والكون والفساد والمعادن وغيرها.

7. كتاب تجارة الفوائد في المنطق والفلسفة: وهو كتاب يشرح أهمية المنطق والفلسفة، قام بتأليفه عام 1276.

8. حديث الحكمة: وهو كتاب صغير في الفلسفة والمنطق لعله كان اختصاراً للكتاب السابق، ومثله كتاب الأحداق.

9. رسالتنا في النفس البشرية: دمجها بالعربية في مدينة ملطية قبل سنة (1252).

10. مختصر كتاب (الإشارات والتنبيهات في المنطق والفلسفة وما وراء الطبيعة): للعلامة ابن سينا، شرحه بالسريانية.

11. كتاب (زبدة الأسرار في الفلسفة): لأثير الدين الابهري (حوالي عام 1264)، اختصره وشرحه ولكن الكتاب مفقود.

12. الهداية في الشرع الديني والمدني: ويتحدث عن أثر الكنيسة ونشاطها بين الناس وكيفية استفادتهم من خدماتها.

13. الاثيقون من كلمة (Ethics) أي علم الأخلاق: يتحدث فيه عن الالتزام بأخلاق الرهبان والنساك الذين ينذرون أنفسهم لخدمة الآخرين بلا مقابل، ويشير فيه إلى الرهبان في صحراء سيناء ومصر ونوادر أخبارهم، أتمه في مراغة في (15 تموز 1276)، وقد ترجمه المطران بولس بهنام وطبعه في القامشلي عام (1967).

14. الحمامة: أفكار فلسفية ودينية وأخلاقية لترويض الرهبان والنّساك، وقد ألفه بطلب منهم وأشار إلى أهمية الرياضة الجسدية والخلوة في القلايّة، والحمامة رمز للروح القدسي الذي ظهر فوق رأس المسيح وكتاب الحمامة الذي عرّبه وحققه المطران زكّا عيواص (بغداد عام 1975).

15. تحرير مسائل حسين بن اسحق في الطب شرحه بالعربية: كما أراد فيه أن يجمع مؤلفات وترجمات حنين بن اسحق العبادي باعتباره أحد أعلام السريان، ولكنه لم يكمله.

16. ديوان شعر ابن العبري: يضم أكثر من ثلاثين قصيدة تتضمن أغراضاً مختلفة مثل الوصف والأخوانيات والحكمة والمديح والاعتذار، ويدلل الديوان على رقته وتواضعه رغم أنه مكان رئيساً للكنائس التي أشرف عليها في مراغه أو الموصل وغيرها من بينها قصيدة فلسفية مطولة (في الكمال) نظمها في بغداد عام (1277) جاءت في (305) أبيات، وأكثر هذه القصائد وزنها على البحر السروجي السرياني.

17. كتاب منافع الجسد: ألفه بالعربية، يتحدث فيه عن ما يفيد الجسد مثل الحركة والنظافة والاستحمام وغير ذلك.

ويتضح من خلال قراءتنا لمؤلفات ابن العبري، أن هنالك ثلاث مؤلفات أو أكثر دبجها بالعربية، وهذا يعني أنه كان مؤلفاً مشاركاً بالثقافة العربية كما فعل المفكرون السريان منذ القرن الثامن حينما أسهموا بقوة في حركة الترجمة العربية التي انتعشت إبان وجود، بيت الحكمة في بغداد.

كتاب تاريخ الزمان:

يعتبر كتاب (تاريخ الزمان) الذي ألفه ابن العبري بالسريانية أفضل ما كتب، ولكن الكتاب لم يترجم حتى منتصف القرن العشرين مسلسلاً في مجلة المشرق، يقسم الكتاب إلى إحدى عشرة فترة زمنية أبرزها الفترة التي تقع في بداية الخليفة ثم الملوك العبرانيين ثم ينتقل إلى تاريخ الملوك الكلدانين يعقب ذلك تناول الملوك المادتين وملوك الفرس ثم ملوك اليونان والرومان والبيزنطيين.

كما يتناول ملوك العرب في العراق وسوريا، وهذا يعني أنه تناول فترة ما قبل الإسلام الذي نشأت فيه المسيحية والتي تعادل ثلث الكتاب لم يترجمها الأب اسحق أرملة([136])، ولا نعرف السبب وراء ذلك فبعضهم يعتقد أن السبب يعود إلى أن تاريخ الأحداث في العصور القديمة فيها أخطاء، هناك من يعتقد أنه لم يوف الفترة المسيحية حق قدرها، أو هنالك شروحات يخشى ترجمتها.

ومهما يكن كان على المترجم أن يترجم الكتاب بأكمله كي نستطيع أن نقيمه ونعطيه حق قدره وأهميته التاريخية، إلا أن أرملة ترجم الكتاب منذ عصر الإسلام وحتى عام (1284) وقد طبع الكتاب عام (1986) وكذلك في عام (1991).

يتضح لنا أن ابن العبري تأثر بأسلوب المؤرخين العرب وخاصة اليعقوبي (229هـ) في تاريخه، فابن العبري يتناول تاريخ الأحداث قال قولي بعبارات مسبوكة موجزة ولا يعمد إلى الشرح ونجد تاريخ ابن العبري الكنيسي الذي احتوى تفاصيل أكثر، لا يخلو من أهمية بالنسبة للأحداث الاجتماعية قبل الإسلام.

ابن العبري الشاعر:

درس الباحث بشير الطوري ابن العبري باعتباره شاعراً رقيقاً([137])، وعند النظر في ديوانه الذي طبعه يوحنا دولباني في القدس عام (1929)، يمكن أن نختار قصيدة (نيسان) وهو الشهر الأول من السنة الجديدة التي كانت معروفة في العالم القديم والوسيط وحتى القرن العاشر الميلادي، ويمثل نيسان ونيسانو السومري يمثل حلول الربيع وقد صوره ابن العبري بألوانه وزهوره وخضرة أرضه وتفتح أشجاره وطيوره التي ترفرف مغردة كما في قصيدة بعنوان (نيسان سبحان من أوجده) ([138]).

ها قد حلَّ نيسان، وفرّج عن أحزاننا فمسحها.

وألبس الجبل والسهل بالأزاهير الزاهية.

ودعا الأزاهير إلى عرس للورد فتجمعت.

كما يخرج العريس من خدره مهياً.

وهكذا تزينت زهور البرية كالعرائس.

وتحررت من عقال رياح الشتاء الباردة.

وطفقٍ العندليب الصادح مغرداً دونما انقطاع.

مناجياً الورد على منبر النرجس والأس.

وبشدة تأثر ابن العبري باللغة العربية، فقد استخدم القافية وبعض التعابير البلاغية العربية، إلا أنه لم يلتزم بقافية واحدة، حيث كانت اللغة لديه طبعة يستعملها كيفا يشاء، كما قد أورد أبياتاً مطابقة معنى ومبنى لأبيات نصر بن سيّار التي تقول:

أرى خلل الرماد وميض نار وأخشى أن يكون لها ضرام

فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقيدها جثث وهام

ومن الجدير بالذكر أن تواريخ ابن العبري قد أكملت كلها على أيدي كتبة لاحقيني، ويهمنا كثيراً تتمة تاريخ الزمان التي ورد تعني كتاب (بيعان) في الفرنسية حتى عام (1297) أما بالنسبة للتاريخ الكنسي فقد أكمله أخوه برصوم أو برصوما وينقل مكمل أخره الأحداث حتى سنة (1496)، وحبذا لو جمع تاريخ الزمان وتاريخ الكنيسة لابن العبري، وترجما كاملين إلى العربية.

المبحث الرابع : كتاب سريان ساهموا

في تعزيز التثاقف السرياني – العربي

برز العشرات من الكتاب السريان أو المشرقيين حينما نمت الثقافة المشرقية في القرن الثالث الميلادي وبدأت تتطور وتترشح منذ القرن الرابع على يدي كبيرهم مار افرام السرياني الذي وضع قواعد النثر والشعر السرياني وعزز قدرتها على الاستجابة لظروف العصر.

والمعروف أن كنيسة المشرق بدأت تنظم نفسها في معزل عن كنيسة انطاكيا في سوريا وفلسطين بعد الانقسام الذي حدث في منتصف القرن الخامس، وهكذا استقرت كنيسة المشرق وكان مركزها في سلوقيا – قطيسفون، و تدريجياً نشأ تباعداً بين هذه الكنيسة والكنيسة الغربية التي كانت تسمى باليعقوبية التي تقودها بيزنطة من انطاكية.

كان إباء ما بين النهرين ينطلقون في الفلسفة المسيحية من أولوية الإنسان مركزين على المعطيات التاريخية الكتابية، عن المسيح وعن رسالته للإنسانية، في حين ركز الغربيون، بتأثير مدرسة الإسكندرية وانطاكيا، على الناحية الإلهية، ولعل أكبر حدث هو عندما أعيد تكوين مدرسة نصيبين العالية، التي أصبحت تحت النفوذ الساساني برأسة رجل دين ومفكر ذوي أراء جدلية المسمى نرساي وذلك في نهاية القرن الخامس وصارت هذه المدرسة العالية، مركزاً للثقافة السريانية بالإضافة إلى الفلسفة الدينية والشرقية.

وكانت آراء نرساي منسجمة من آراء نسطورس التي انتشرت وسادت في العراق وإيران بفعل تشجيع الأوساط الساسانية لها، فقبل كثير من المسيحيين في بلاد بين النهرين النسطورية للإتكاء عليها والتخلص من الاضطهاد الفارسي الذي قضى على كثير من المسيحيين في منتصف القرن الرابع، وهكذا قبلت هذه العقيدة في مجمع كنسي عقد في سلوقيا – قطيسفون عام (486)، وكان تيماثاوس الاول (727-823) من أهم منظمي هذه الطائفة في زمن الخلافة العباسية([139]) وكان هذا الجاثليق قد ناقش موضوع المسيحية والإسلام الخلفية والمهدي.

كان ازدهار المدارس الأولية في بلاد بين النهرين قد عزز الثقافة السريانية و الدراسات الدينية والفلسفية في حين قامت مدرسة جنديشابور وبيمار ستانها الرائد بتخريج عدد من الأطباء الذين مزجوا التراث الطبي اليوناني بالممارسة العملية في بيمار ستان جنديشابور التي كانت في بيت هوزاي (الأحواز).

ومن الجدير بالذكر أن الباحث المعروف جورج رحمة، أشار إلى وجود مدرسة في مدينة لكش التاريخية، والتي كانت تسمى آنذاك تلا أو تلو([140])، كما برزت اسكول (مدرسة) مار ماري الفلسفية في دور – قنى (دير قنى) التي كان يشرف عليها فيلسوف المسيحية الأول أبو بشر، متى بن يونان (يونس)، وقد تصاعدت أهمية دور علماء وأطباء وفلاسفة السريان حينما ارتبطت الثقافة السريانية بالثقافة العربية بعد أن تنامت حركة الترجمة والتأليف العربية في بيت الحكمة البغدادي في القرن التاسع الميلادي ومن الجدير بالذكر أن المشرقيين في العراق كانوا ذوي أصول أشورية و بابلية – كلدانية وآرامية وعربية ولذلك فإن ثقافتهم السريانية المسيحية لم تتأثر بالثقافة الفارسية أو

المذهب الزرادشتي خاصة وأن الثقافة الفارسية كانت محصورة في قصور علية القوم من الحكام الفرس وفي بيوت النار بين كهنتهم أي في معابد الساسانيين.

إما الثقافة اليونانية والهلنستيه، فقد ضعف تأثيرها تدريجياً في العراق، وحلت محلها اللغة والأدب السرياني، وكانت الحاجة قد دعت الأطباء والفلاسفة السريان في ترجمة أمهات الكتب اليونانية إلى السريانية وفعلاً تم ذلك على أيدي سوفردنيوس أسقف تلا وتاودروتيس أسقف قورش وتيودور أسقف مرو وغيرهم، ابتداء من القرن الثالث واستمر الأمر حتى تولت حركة الترجمة العربية في بيت الحكمة قيادة الثقافة في المشرق العربي.

إن كثيراً من النصوص اليونانية في الطب والفلسفة، قد حفظت في ترجمات سريانية وعربية، أتاحت للعالم فرصة الإطلاع عليها، ولعل خير دليل على الترجمات السريانية هو أن (130) عملاً طبياً من أعمال جالينوس (Galen) وابيقراط انتقلت إلى العربية عن طريق السريانية، بينما لم ينقل من أعمالها من اليونانية إلى العربية سوى عشرة أو اثنا عشر من أعمالهما، وقام بنقلها حنين بن اسحق وساعده في ذلك ابنه اسحق أن كثيراً من النصوص الفلسفية اليونانية نقلت إلى أوربا عن طريق اللغتين العربية و السريانية بعد أن فقدت في نصها الأصلي([141]).

ومن الجدير بالذكر أن المشرقيين أو السريان الذين ساهموا في حركة الترجمة العربية بدأوا بكتابة مؤلفات باللغة العربية منذ بداية العصر العباسي، وصار كثيراً منهم يؤلفون موضوعاتهم العلمية والأدبية باللغة العربية بينما اقتصرت الكتابة باللغة السريانية على الكتب الدينية والتاريخية ونجد مثلاً لذلك كلاً من حنين بن اسحق ويوحنا بن ماسوية ويحيى بن عدي و الفضل بن جرير وابن الطيب الذي ألفوا معظم روائعهم في الطب والفلسفة باللغة العربية. وفيما يلي لمحة موجزة عن أبرز الكتاب السريان الذين شاركوا في المثاقفة السريانية العربية:

الأول: نرساي (ت 507):

ولد في بلدة (معلثايا) في منطقة نوهذارا (دهوك) وتخرج من مدرسة الرها على يد الأسقف (هيبا)، كان رجل دين ذو أفكار ناشطة، وكان شاعراً متميزاً شعره يشبه شعر مار افرام السرياني، وكان طرفاً في الصراع العقائدي المسيحي، فهرب إلى نصبين حيث أعاد تكوين مدرستها التي هجرها معلموها منذ استيلاء الفرس عليها، وذلك بمساعدة الأسقف برصوما، ثم اختلف معه فترة، فغادر إلى منطقة (قردو) لعلها المنطقة الكردية في شمال العراق، حيث كان ينظم الشعر الديني، وقد تبنى إشعاره الدينية الكنيسة النسطورية ثم الكلدان بسب طلاوة أسلوبه الذي يضاهي أسلوب مار افرام السرياني، وكان ينظم إشعاره على البحر الاثني عشري المعروف (بالقرأة النرساوية) ([142]).

وأصل نرساي نظمه للشعر حتى وصلت قصائده إلى الثلاثمائية، لكنها لم تصل إلينا في معظمها، وقد نشر مجموعة منها العلامة (الفونس منكنا) بعنوان (ميامر نرساي الملفان) عام 1905، وترك نشر بعض القصائد التي تتضمن أفكاراً جدلية.

تتجلى أهمية شخصية نرساي في إقامة مدرسة عليا في نصيبين تخرج على أساتذتها كثير من رجال الدين والفلاسفة والأدباء وكانت للمدرسة ولأول مرة في تاريخ المدارس العليا منهجاً ينظم الموضوعات ودوام المعلمين وضرورة أن يصبوا جل اهتمامهم على المعرفة الدين وإلا يشتغلوا في أعمال تجارية من أي نوع.

الثاني: جرجيس (جورجيوس) بن جبرائيل بن بختيشوع (ت 769/152 هـ):

عالم في الطب، وطبيب معالج بارع من أهالي مدينة بيت لافاط (جنديشابور) لعله كان مشرفاً على بيمار ستان جنديشابور (أول مستشفى في الشرق)، استدعاه الخليفة أبو جعفر المنصور إلى بغداد عام (148) هجري بعد أن اعتراه ضعف في معدته.

ترك منصبه في مستشفى جنديشابور إلى ابنه بختيشوع وقدم إلى بلاط الخليفة المنصور ليصبح طبيبه الخاص، وهو جد عائلة بختيشوع التي استقرت أخيراً في بغداد، وأسهمت في الطب العربي، وفي حركة الترجمة العربية، ألف جرجيس بضعة كتب في الطب معظمها فقدت ووجد له (الكناش) الذي ترجمه حنين إلى العربية، وذكر ابن أبي اصيبعة أنه نقل كتباً عديدة من الطب اليوناني إلى العربية([143]).

الثالث: يوحنا الدمشقي (ت 770):

ينتسب يوحنا الدمشقي إلى عائلة سريانية عربية عريقة، كان جدّه أسقف دمشق أو صاحب دمشق وهو سرجون بن منصور، وحينما دخلت الجيوش الإسلامية سوريا ووصلت دمشق، قرر حكماء المدينة تسليم مفاتيحها إلى المسلمين، فتقدم رئيسهم صاحب دمشق سرجون بن منصور وسلم لهم مفاتيح أبواب دمشق وذلك في عام (635م) (14 هجرية) وقيل بعد حصار دام ستة أشهر، درس يوحنا الدمشقي اللغة العربية والفكر الإسلامي من خلال شيوخ المسلمين في دمشق، وعندما أصبح شاباً كان يجيد العربية واليونانية إضافة إلى السريانية، وحصل يوحنا على وظيفة مرموقة في إدارة مدينة دمشق إبان الحكم الأموي.

حيث ذكر في كتاباته أنه عمل سكرتيراً أو أميناً لأمير مدينة دمشق، وكانت في عهدته مسؤولية مالية المدينة، وبعد مضي عقدين من الزمن وجد نفسه مثقلاً بالمسؤولية فطلب إعفاءه، وقضى يوحنا الخمسة والعشرين سنة من حياته الأخيرة راهباً في دير القديس سابا في فلسطين، واعتبر أحد إباء الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية الأخيرين، اعتماداً على دراساته وثقافته الدينية والكنسية.

واستطاع في كتاباته أن يوضح أغراض وأهداف الإسلام باعتباره وارثاً للمسيحية، مستقياً أفكاره ومعلوماته عن الإسلام من خلال اتصاله المباشر بمستويات مختلفة من الموظفين المسلمين، خلال اشتغاله في إدارة مالية مدينة دمشق، ومن إطلاعه المتأمل في القرآن الكريم، وخلص بفكرة نهائية أن المسلمين لديهم اعتقادات متشابهة مع المسيحيين، لكن طبيعة المجتمعين وفلسفة الدينين وتفاصيليهما مختلفيتن.

وهذه الآراء أوضحها في كتابين الأول سماه (في الهرطقات) والثاني (الخلاف بين المسلمين والمسيحيين (The Disputation Of Muslims And Christians)، وهما كتابات نقديان نشرا في أوربا لم ينشرا في العالم العربي([144])، هذا وقد سمي يوحنا أيضاً منصور بن سرجون، واشتهر كتبه (ينبوع المعرفة) وقد لقب بدفاق الذهب نظراً لما تحويه مؤلفاته من كنوز فكرية وروحية حتى دعي المعلم المحنك([]).

الرابع: تيودور أبو قرة (ت 825):

سرياني ملكي أرثوذكسي ولد وعاش في سوريا، أصبح مطراناً على حران عام (799)، وكان قد درس اللاهوت في دير سابا بفلسطين وشارك في المجادلة بين الديانتين الإسلام والمسيحية في

حضرة المأمون مع المفكر عبد المسيح الكندي عام (820)، كان قد ألف حوالي عشرين كتاباً في الفلسفة و الدين واللاهوت أكثرها باللغة العربية وبعضها باللغتين اليونانية و السريانية، لكن معظم كتبه لم تصلنا، كما ألف كتاباً بالاشتراك مع يوحنا الدمشقي في فلسطين عام (755م) (138 هجري) عن اللاهوت المسيحي بعنوان (طبيعة الثالوث المقدس)، طبع في أوربا([145]).

الخامس: عبد المسيح الكندي (ت 850م / 236 هجري):

فيلسوف سرياني عربي (نسطوري) من قبيلة كندة عاش في العراق، و درس فيها على أوائل الفلاسفة السريان أمثال إبراهيم قويري وعلى السرياني وغيرها، كان قد دعاه أحد العلماء المسلمين وهو عبد الله الهاشمي للمناظرة في بلاط الخليفة المأمون وقيل دعاه أيضاً إلى الإسلام عام (820) وتجادلاً طويلاً في حضرة المأمون، وقام بكتابه مؤلف يضم تلك المناقشات و المجادلات الدينية أسماه (الاعتذار Apology) ووجد معظمه محفوظاً في مكتبة الفاتيكان باللغة العربية، ويعد أول كتاب للحوار المسيحي الإسلامي الذي يتضمن مناقشة متقابلة بين الإسلام والمسيحية.

وقد نشر في أوربا عدة مرات، توجد نسخة منه في مكتبة اسطنبول قيل أنها نشرت في بداية القرن العشرين في القاهرة، ويؤشر كثير من المؤرخين من خلاله عهد المأمون بأنه كان متميزاً بالحرية الدينية وحوار الأديان([146]).

السادس: أبو زكريا، يوحنا بن ماسوية (ت 857/243 هجري):

اسمه الأصلي يحيى بن كوركيس، ولد ونشأ في نينوي، وتعلم في مدرسة جنديشابور، عالم في الطب، وطبيب في بلاط الرشيد، يجيد اليونانية لغة علم الطب آنذاك، كلفه المأمون بالإشراف على الترجمة في بيت الحكمة ثم أصبح مسؤولاً عنها، نسب إليه العديد من المؤلفات الطبية والمترجمات عن اليونانية والسريانية بلغ مجموعها (129) كتاباً ورسالة.

ألف أول كتاب باللغة العربية عن التشريح، إذ رغب في تشريح جثة إنسان، إلا أن رجال الدين حضروا عليه الأمر، فقام بتشريح جثة قرد، وسجل ملاحظاته في هذا الكتاب، إما معلوماته الأولية فاعتمد على ما ذكره، جالينوس في كتابه عن التشريح، أما أشهر مؤلفات غير الطبية فهو (كتاب الأزمنة) بالعربية نشره بولص سياط في القاهرة عام (1933) ([147]).

السابع: حنين بن اسحق العبادي (ت 873/260 هجري):

ولد ونشأ في الحيرة وتعلم مبادئ تحضير الأدوية العشبية من أبيه الصيدلي ثم درس في جنديشابور وبغداد على يدي يوحنا بن ماسوية، وكان قد تعلم اليونانية إضافة إلى إجادته للعربية والسريانية، ألف عدة كتب بالسريانية ثم ترجمها إلى العربية أثناء عمله في بيت الحكمة العباسي ألف كتباً أخرى في الطب باللغة العربية زادت على ثلاثين كتاباً.

يعتبر أحد علماء طب البدن وطب العيون، صار مسؤلاً عن ترجمة الكتب اليونانية والسريانية تحت إشراف أستاذه يوحنا بن ماسوية، ثم أصبح في خلافة المتوكل مشرفاً على حركة الترجمة في بيت الحكمة بعد وفاة أستاذه، ويعد حنين أكثر علماء عصره علماً في الطب، وفاقهم إنتاجاً واطلاعاً، وكانت مؤلفاته وترجماته قد أغنت الدراسة الطبية العربية، أوجز القفطي سيرته فأوفى قائلاً: (كان طبيباً حسن النظر في التأليف والعلاج، ماهراً في صناعة الكحل (طب العيون) وعد من جملة

المترجمين لكتب الحكمة واستخراجها إلى السرياني وإلى العربي، وكان فصيحاً في اللسان اليوناني والعربي، بارعاً شاعراً خطيباً فصيحاً) ([148]).

واجهته محنتان واحدة مع المتوكل وأخرى مع زملاءه الأطباء السريان، لكنه عاد إلى عمله في بيت الحكمة بكل تفان، ترجم وصحح حنين من الكتب والمقالات ما يزيد على (160) مؤلفاً من اليونانية والسريانية، وزادت مؤلفاته على (35) كتاباً في الطب وغيره([149]).

الثامن: ابن سوار الخماردت بعد سنة (997):

أبوا لخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام المعروف بابن الخمار، ولد في بغداد وقرأ الحكمة على يد الفيلسوف يحيى بن عدي، أجمع مترجموه أنه كان فيلسوفاً حسن المعرفة حاذقاً بأصول صناعة الطب وفروعه ألّف ما يقرب من عشرين كتباً في الطب والحكمة([150]).

أورد عنه ابن أبي اصيبعة: (كان أبو الخير عالماً في صناعة الطب وفروعها، خبيراً بغوامضها، كثيرا الدراية بها، ماهراً في العلوم الحكمية)، من جملة كتبه (الحوامل) مقالة عن مرض الكاهني أي الصرع، كما نقل كتاب (تدبير المشايخ) من تأليف حنين بن اسحق من السريانية وكذلك تقاسيم أيسا نحوحي وقاطيعو رياس لالينوس الإسكندراني([151]).

التاسع: ايليا الأنباري (ت أواخر القرن العاشر الميلادي):

كان ايليا الأنباري مطراناً على مدينة الأنبار منذ عام (922)، وكان أديباً وعالماً، ولد في نهاية القرن التاسع وتوفي في أواخر القرن العاشر ، اشتهر بشعره، فوضع ثلاثة دواوين تتضمن جميع أغراض الشعر الديني، أشار فيها إلى القيم السماوية والأخلاق والمحبة والسلام.

لم يصلنا من شعره إلا أبياتاً معدودة، كما ألف كتاباً في التاريخ ما زال مفقوداً وصلنا من مؤلفاته كتباً في شرح وتحليل البروق والرعود المسمى (مقالة في البروق والرعود والأمطار) والذي قام بتحقيقه الباحث بهنام دانيال في عام (1983) ([152]).

العاشر: الحسن بن البهلول (ت في أواخر القرن العاشر الميلادي):

ولد في بلدة (أوانا) في منطقة الطيرهان على بعد (60) كم شمال بغداد، وذلك في النصف الأول من القرن العاشر تعلم في مدارس بغداد وعلّم فيها، درس الطب ووضع موسوعة شهيرة جمع فيها كل ما جاء في ثقافة عصره، وأضاف عليها شروطاً مستقاة من كتابات العلماء السريان ودبجها العربية والسريانية قام المستشرق الفرنسي روبنس دوفال بترجمتها إلى الفرنسية ونشرها في باريس في أحد المجالات متسلسلة بين (1886-1903) وقد أطلق على الموسوعة الباحث يوسف حبي (معجم يتضمن كل الثقافات) قام العلامة حبي بنشر جزء يتعلق بالأعياد الدينية وأيام الصوم المسيحية والإسلامية تحت عنوان (دلائل الأعياد والأصوام) لأبن بهلول([153]).

الحادي عشر: أبو الفرج عبد الله بن الطيّب (ت 1043/435هـ):

هو الطبيب العراقي كما أسماه جمال الدين القفطي وهو العالم الفيلسوف أبو الفرج عبد اللعه الطيب، ولد في بغداد وعمل في افتتاح بيمارستان العنصري في بغداد معالجاً المرضى وذلك سنة (406هـ) أثمر فكرة عن خمسين مؤلفاً أو مقالة في الطب والفلسفة والدين إضافة إلى ترجمته لبضعة كتب كما

أفادنا ابن أبي أصيبعة لما عني بالآداب المسيحية فقد دبج موسوعة في فقه الدين المسيحي وشرح الكتاب المقدس.

من تلاميذه الحسن بن بطلان والرئيس ابن سينا، توفي في شهر آب ودفن في كنيسة (درنا) ببغداد([154])، وأعظم أعماله في نظر المؤرخين السريان ترجمته للدياطسرون من اليونانية إلى العربية، كان ابن الطيب كاتباً المطرانية لجاثليق بغداد بالإضافة إلى كل هذا كان بيته يعد مجلساً للثقافتين السريانية والعربية.

ويعتبر أيضاً فيلسوف من رجال مدرسة بغداد وأشهر كتبه في الفلسفة كتاب (تفسير المقولات) مستفقة للمشكلة المقولات الأرسطية، في القرن الحادي عشر الميلادي (5 هـ) في (212) ورقة تضمنت دراسة التاريخية وأخطاء الفلاسفة فيها ولا سيما بقضايا العدد ومنهج الدراسة، كان ذا منهج عقلاني نقدي شمولي ولا يخلو من إبداع، عمل في بيت الحكمة العباسي في مطلع القرن الخامس الهجري (ت 11م) ولعله أفضل من شرح فكر ارسطو في العربية([,]).

الثاني عشر: أبو الحسن، المختار بن الحسن بن بطلان (ت 1078):

طبيب بغدادي درس الطب على يدي الطبيب الفيلسوف أبي الفرج عبد الله بن الطيب البغدادي وقرأ عليه كثيراً ولزم في تجربته بالطب الطبيب أبا الحسن ثابت بن زهرون الحراني، واشتغل ابن بطلان في صناعة الطب ببغداد، وسافر إلى مصر للالتقاء بغريمه الطبيب الشهير علي بن رضوان، وظل هنا رد ثلاث سنوات، وفي طريقه إلى بغداد شاهد موجه انتشار وباء الطاعون خاصة في أطراف مصر والقسطنطينية.

ومع ذلك فقد كتب هذا الطبيب كتاباً طريفاً في الطب وشؤونه بأسلوب أدبي وبلغة عربية مجودة دعاه (دعوة الأطباء على مذهب كليلة ودمنة) ([155])، وفي نهاية حياته سئم الأسفار والترحال، فاختلى بنفسه في دير بانطاكيا، وترهب وانقطع إلى العبادة إلى أن توفي عام (444 هـ)، كان قد أرسل رسالة إلى الرئيس هلال بن المحسن بن إبراهيم يشرح فيها إحدى رحلاته من بغداد إلى حلب فانطاكيا فاللاذقية، من مشاهير تصانيفه كتاب (تقوية الصحة في قوى الأغذية ودفع مضارها) وكتاب (دعوة الأطباء) وكتب ابن بطلان رسالة مطولة إلى غريمه ابن رضوان ينتقد فيها علمه في سبعة فصول نشرها بكاملها جمال الدين القفطي([156]).

الثالث عشر: ابن جرير التكريتي (ت 1080/472 هـ):

هو أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي، من أهالي تكريت، سكن بغداد، وكان كثير الاطلاع في العلوم كالطب والفلك والأدوية، ففي الفلك له كتاب (المختار من كتب الاختيارات الفلكية)، وفي الطب له كتاب (في الباه) ورسالة في منافع الرياضة، كما ألف كتاباً في قواعد الشريعة المسيحية والقوانين الدينية تحت عنوان (المصباح المرشد إلى الفلاح) كما ألف وترجم كتباً في الطب لم تصل إليها([157]). نشر البطريرك افرام برصوم صوم كتابه (المرشد) في المجلة البطريريكية في دمشق (1964).

الرابع عشر: ابن التلميذ البغدادي (ت 1165/560هـ):

هو أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ البغدادي مولداً ووفاة، كان طبيباً حاذقاً في بلاط بني العباس، وانتهت إليه أحياناً رئاسة الأطباء في زمانه، تولى رياسة البيمارستان

العضدي ببغداد إلى أن توفي، وكان جاثليقاً (مطراناً) للنصارى في بغداد، قال عنه ابن أبي اصيبعة: (أنه كان خبيراً باللسان السرياني والفارسي متجراً في اللغة العربية إضافة إلى معرفته اللغة اليونانية).

ألّف وشرح مؤلفات عديدة منها في الطب وهي عشرة:

1. اختصار شروح جالينوس لكتاب المعرفة لأبقراط.
2. اختصار شروح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط.
3. اختيار كتاب الحاوي للرازي.
4. اختيار كتاب مسكوية في الأشربة.
5. الأخذ باذني: وهو في عشرين بابا (نسختان في مكتلة سباط في حلب).
6. تتمة جوامع الإسكندرانين لكتاب علية البدء لجالينوس.
7. تعاليق استخرجها من كتاب المائة للمسيحي؟ وهي حواشيه على هذا الكتاب.
8. التعاليق على كتاب المنهاج لأبي جزلة.
9. كناش في الطب.
10. مختار من كتاب إبدال الأدوية لجالينوس.

وقد ألف ابن التلميذ ديواناً شعرياً صغيراً، وكتب شروحاً لكتاب القانون لأبي سينا([158]).

المبحث الخامس : مار افرام السرياني

كاتب وشاعر وفقيه

يعد مار أفرام السرياني أشهر الأدباء السرياني([159]) بلا منازع، ولقب بشمس السريان، وسماه مار يوحنا الذهبي الفم بكنارة الروح القدس، كما عرف بنثره وشعره الديني فقد عاش حياته كراهب وناسك غير مهتم بنعم الحياة همه إن يعيش في فضاء الدين المسيحي وإن يمجد كنيسة المسيح وأمه البتول مريم والقديسين الأبرار ولذلك جاء شعره الثر متناولاً جميع الأغراض الدينية والكنيسة كالحكمة والأخلاق والقيم الإنسانية والروحية وحب الله والمسيح والتقرب إليهما، وأقرت له النصرانية السريانية بالتبجيل والاحترام وهو على قيد الحياة.

ولد افرام في مدينة نصيبين([160]) سنة (306م) أو (307م) التي كانت تابعة للرومان (البيزنطيين) الذين كانوا يسيطرون على هضبة الأناضول وسوريا وفلسطين وغيرها، وكان أبوه كاهناً آرامياً من مدينة الرها يدعى (مشق) كما ورد في التاريخ السعردي، لكن أمه كانت مسيحية.

وعزم والده على طرده من البيت وهو صبياً عندما علم بحب ابنه للمسيحية، التجأ افرام إلى أسقف نصيبين، وذكر أنه تعمد بعد أن أصبح مسيحياً في نحو الثامنة عشرة، وظل ملازماً لمار يعقوب النصيبيني في السنوات (309-338م)، وتعلم على يديه بعض جوانب الثقافة السريانية والدين واللاهوت، وجعله مار يعقوب شماساً في الكنيسة التي يشرف عليها، وخلال هذه الفترة دخل افرام مدرسة نصيبين العليا، وتخرج منها وهو يتقن بعض المعارف إضافة إلى اللغة السريانية، وألم بموضوعات عديدة من الثقافتيين اليونانية والسريانية، إذ أنه دخل المدرسة بعد أن اهتدت الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية (313-321م).

وقد عمل مار افرام في مقر المطرانية تحت جناح مار بابو و مار ولكاش ومار إبراهيم الذين تتابعوا على كرسي أسقفية نصيبين وانشد في مناقبهم قصائد سميت بالميامر ويصف فيها مار يعقوب النصيبي بالغيرة على الدين ومار بابو بالتواضع وحب الفقراء، ومار ولكاش بالعلم والمعرفة، ومار إبراهيم بالوداعة ومحبة الناس البسطاء، ونظراً لعنايته بالدرس والمثابرة، فقد عينه مار يعقوب النصيبيني، معلماً في مدرسة نصيبين العليا، وفي عام (363) اجتاح الفرس مدينة نصيبين مما حداه إلى أن يترك المدينة ومعه بعض أساتذة المدرسة ونفر من أعيان المدنية إلى الرها([161]) قائلاً قوله المأثور: (لنترك المدينة وما فيها ولا نترك إيماننا).

وهناك تأسست مدرسة عليا مماثلة، وأصبح فيها افرام المعلم الأول، وفي بعض الأخبار أنه هو الذي قام بتأسيسها، وكان معظم أساتذتها من نصيبين التي غدت منذ ذلك الوقت في قبضة الفرس، واهتمت مدرسة الرها بتدريس الدين المسيحي والفلسفة واللغات، وقد أوجد افرام للمدرسة مجلساً إدارياً خطها التفسير الرباني (Rabbinic) أي بعد أن يؤخذ المعنى الحرفي – التاريخي، ينقل البحث إلى التطبيق الرعوي والعملي. وقد أعطت هذه المدرسة للكنيسة السريانية أباء وفكرين ورعاة بارزين.

وكانت الرها مدينة حدودية ومركزاً حضارياً علمياً، فيها نشطت الحركة الثقافية السريانية منذ القرن الثالث وفيها على الأرجح تمت ترجمة العهد الجديد إلى السريانية([162])، المعتقد أن فكر مار

افرام قد تأثر بطريقة غير مباشرة بالحضارة البابلية الكلدانية السائدة في بلاد ما بين النهرين (العراق وشمال سوريا) بالإضافة إلى التأثيرات اليونانية، وتنازعت اللغتين السريانية واليونانية في مجال الدين والفلسفة والفكر فكان النصر أخيراً للسريانية وثقافتها([163]).

وفي الرها ألف مار افرام أول مجموعة لترتيل الفتيات في تاريخ الكنيسة المسيحية([164])، وعمل افرام على إدخال طريقة استعمال نصوص أساسية في التعليم بدلاً من التلقين أو الإلقاء الشفهي وحده، وكان لهذه الخطوة أكبر الأثر في تطور مدرسة الرها، وربما كانت أول مدرسة عليا سريانية مكتملة لها صلة في ثقافتها وحضارتها الشرقية التي كانت حافزاً للمدارس الأخرى التي بدأت تنتشر على غرارها كما يقول الباحث ارثر فوبس المتخصص بالعلوم السريانية([165]).

ألف مار افرام كتباً عديدة في شرح الكتاب المقدس وشرح كتاب الأناجيل المجمعة المعروفة (بالترجمة البسيطة) ووضع تفسيراً إلى خطب الرسول بولص وشرحاً لسفر إعمال الرسل ومؤلفات نثرية أخرى.

كان افرام زاهداً متنسكاً في حياته الخاصة مشهوراً بوقاره وتواضعه ورصانته، رفض أن يتزوج تشبها بالمسيح والقديسين، ولم يكن طعامه إلا الخبز المصنوع من الشعير مع قليلاً من الملح وبعض البقول، أما شرابه فكان الماء القراح، لذلك هزل جسمه والتصق جلده بعظامه، أما ثيابه فكانت عبارة عن رداء بسيط لا يغيره حتى يتهرأ، وكانت الأجور التي تدفع له في المدرسة سرعان ما يهبها إلى العائلات الفقيرة أو المحتاجة، ولعل الرهبانية بدأت طقوسها واضحة في حياة مار افرام وخصوصاً في سنته الأخيرة من حياته فقد اعتزل هذا الراهب المتنسك في الجبال منفرداً في عيشه مصلياً ممجداً الله ومسيحه ليلاً ونهاراً ومرددا إشعاراً نابعة من الروح في حب الله وحب الإنسانية وهكذا نرى أن بلاد ما بين النهرين تطورت فيها تقاليد الرهبنة بصورة متوازية مع تطور الرهبنة في أديرة سيناء، خصوصاً إذا ما أضفنا إليها حياة يشوع العمودي.

وحدثت في سنوات افرام الأخيرة مجاعة وذلك لانحباس المطر في الرها وحلول القحط، فكان مار افرام يطوف على الأغنياء والموسورين ويجمع الصدقات فيوزعها على الفقراء، كما أسس أو دار للعجزة في تاريخ الشرق الأدنى، ثم أعقبه بدار أخرى وثالثة، ضمت هذه الدور ثلاثمائة سرير، ومن أثر المجاعة التي حاقت بالمدينة أصاب أهلها داء الطاعون وانتشر بينهم، فراح مار افرام يواسي المرضى ويرعاهم ما أمكنه ذلك، حتى أصيب بدوره بمرض الطاعون ومات من هذه العلة وذلك في التاسع من حزيران لعام (373) للميلاد وقد ناهز السبعين من العمر، وقيل أنه عاد إلى صومعته في الجبال حيث توفي بعد شهر واحد.

وهكذا فقد قضى مار افرام التسع سنوات من حياته الأخيرة يعلم في مدرسة الرها، أما السنة الأخيرة فقد انعزل فيها بالجبال، أما مدرسة الرها فقد استمرت بعده (16 سنة حتى عام 489) في عهد مار نرساي المعلم الكبير حيث أغلقت بأمر من الإمبراطور الروماني (البيزنطي)، أما في الشعر فقد ألف مئات القصائد والأناشيد والأغاني الدينية والميامير (نوع من التراتيل الدينية) بالإضافة إلى (56) قصيدة نظمها ضد آراء الخارجين عن الدين المسيحي حيث دحض آراء الفليسوف ماني([166]) وهرطقات بعض رجال الدين الذين انحرفوا عن الدين الصحيح، أمثال مرقيون وبرديصان واريوس وأصبحت المدرسة مكاناً لمناقشة الآراء الدينية والطائفية المختلفة التي كان المجتمع السرياني يتجادل بها.

نظم (87) نشيداً في حب الإيمان بالإضافة إلى ستة خطب لا تزال محفوظة في مخطوط يعود إلى القرن السابع في مكتبة الفاتيكان، ولشدة ولعه بالتراتيل والأغاني الدينية أخذ يلحنها بنفسه لكي يكون وقعها حسناً لدى السامعين في الكنيسة، وكان في شعره النقدي يرد على (برديصان) الذي اعتبره مار افرام منحرفاً عن جادة الدين المسيحي، كما ألف (4) أناشيد إنتقادية ضد الإمبراطور البيزنطي بوليانس الذي ارتد عن المسيحية، وقد بلغت مجموعة أناشيده وقصائده في مناقب مريم العذراء (52) قصيدة باعتبارها شفيعة المسيحيين لدى يوسع المسيح، وأحب المؤمنين تداول بعض الإشعار عن مريم العذراء من بينها هذه القصيدة التي تمتاز بالرقة و العذوبة:

بسبب الحبل الطاهر بك، افترى على الأشرار.

أيها القدوس كن معينا لا متك.

اظهر قوتك لتقنعهم من أين حبلت بك.

ثم تقول:

هوذا البحر هائج على والدتك، كهيجانه على يونان:

فهيرودس – الموج الهائج.

يريد أن يغرق سيد البحار.

وتقول:

بسط كوكب النور أشعته بين من هم في الظلام،

وقادهم كالعميان:

فأتوا وتلقوا النور العظيم.

قدموا القرابين، واقتبسوا الحياة([167]). ([168])

كما نظم (16) نشيداً في ميلاد السيد المسيح، وظهوره وينسب إلى مار افرام كتاب (غار الكنوز) وهو إعادة كتابة قصة آدم وحواء بعد أن طردا من الجنة حسبما جاء في التوراة المقدسة، وكذلك قصة القديس يوسف البار المكونة من (12) مقالة والتي في الغالب لا تعود إليه، بل لا يعرف مؤلفها، ويشير بعض المؤرخين السريان إلى أنها من تأليف (بالاي) أسقف مدينة بالش، وكان من أشهر مؤلفاته (كتاب الدرجات).

لقد كان أدب وشعر وفكر مار افرام شعلة مضيئة لدرب الإيمان والأخلاق والتواضع والمحبة وهي من صفات يسوع المسيح، وقد بقيت متوقدة في شعر افرام حتى الآن، وقد مثل شعره المتنوع في ذكر الله والقديسين والأبرار والمحبة أفكاراً إنسانية خالدة تشتاق دوماً للروح وأجواء السماء، كما شكل تراكماً لغوياً وأدبياً أعطى إلى اللغة السريانية الحديثة النشأة، القدرة على استيعاب ثقافات عصرها ومرحلتها التاريخية، بل ساعد على صناعة لغة سريانية أدبية وعلمية قابلة للحياة، بالإضافة إلى كل ذلك فقد طور الأساليب الشعرية السريانية تطوراً بلاغياً حافلاً بالرموز الكتابية التي تعزز جو القصيدة الافراحية وتعطيها بعداً ديناً وتاريخياً خالداً.

في الحقيقة أن افرام يعتبر شاعراً متدفق المعاني والصور شديد الحب للمسيحية يشبه شعره في أغراضه شعر الشاعر المخضرم في الإسلام حسان بن ثابت، لكنه أغزر منه شعراً وأكثر طلاقة متوسعاً في أغراضه بسبب ثقافته واتساع معارفه، فقد زادت أبيات شعر قصائده الدينية والأخلاقية والحكمية والفلسفية على الثلاثين آلف بيت وذكر في مصادر أخرى أنها بلغت أكثر من مليون بيت من الشعر، وقد استنبط افرام الوزن السرياني السباعي ولذلك سمي باسمه أي الوزن ألا فرامي، وقد نظم افرام في شعره مستخدماً جميع البحور السريانية، ولعل افرام تأثر في شبابه بشعر برديصان وثقافته الأدبية الذي نظم (150) قصيدة كنيسة من الشعر المقطعي (المدروشو) (Stanzaic).

ومن شعره في الحكمة:

اقتن المال بمقدار، أما العلم فاكتسبه بلا حد.

إن المال يكثر الآفات.

أما العلم فيورث الراحة والنعيم.

أن الحكمة أفضل من السلاح.

والعلم خير من المال.

فتى حدث حكيم، خير من ملك شيخ.

لتكن الكتب بمثابة فوائد لك.

فتشبع منها لذة.

أما افرام في ديوانه (أناشيد الفردوس) فإنه يقدم مواضيع بايبليه أي موجودة في الكتاب المقدس كامكنة تستيطع زيارتها في شعره وهو يصف مكان الفردوس بكل التفاصيل الحية وكأنها قطعة جميلة من الطبيعة الخلابة يعكس من خلال ربط وصفها بالإيمان بالله والكنيسة بحيث يجعلها حقيقة حاضرة لكنها مليئة بالمعاني الرمزية حيث يلتقي الفردوس المفقود بالفردوس الموعود به في نفس تلك اللحظة، ويقول في قصيدة (توق النفوس إلى جنة الفردوس وهو يصف الجنة وأهلها وصفاً حسياً رائعاً يشبه إلى حد ما وصف الجنة في التراث الإسلامي، قائلاً:

فهم في سعادة دائمة هو غبطة خالدة وسلام مستقر.

لا يعمل منها أحد إن لا جوع هناك.

ولا يشعر بالحياء أحد إن لا خطيئة هناك.

ولا يندم أحد، فلا عقوبة هناك.

ولا يشيخ منهم أحد، إذ لا موت هناك.

ثم يقول:

ثمار طيبة لجميع الأذواق.

مبذولة في متناول اليد.

مرتبة بنظام.

تقدم إليك وفق اختيارك.

ثمار للطعام والشراب.

ندى للاغتسال.

يقول أيضا:

تنشق من هذه عبير الطيب.

ولتتشنف الإذن بنغم تلك.

تبارك من صنع فرح آدم([169]).

كانت البحور السريانية موزونة الحركات وتمتاز بالبساطة لأن الحركات في السريانية لها كلها قدر واحد إذ هي إما مشبعة أو مطيعة وذلك سيان في الوزن، فلعل هناك تأثير للبحور السريانية في نشوء البحور العربية، إذ أن الوزن العربي كان يعتمد على الحركات وهو ما يسمى عند السريان بالوزن المزدوج([170]) على الرغم من أن البحور العربية كانت أكثر تعقيداً، و من المعتقد أن الموشحات الأندلسية اقرب نوعاً من الشعر العربي إلى الشعر السرياني، وعلى أية حال فإن الشعراء النصارى قبل الإسلام أمثال المرقش الأكبر وعدي بن زيد وامرؤ القيس لابد وأنهم تأثروا بترانيم وأناشيد الكنائس المنتشرة في مدن بصرى وسرجيو بوليس (رصابا أو رصافا) أو الحيرة وكشكر ودير قنى أو في نجران وصنعاء، ولذلك مثلاً جاء شعر امرؤ القيس أكثر عذوبة ورقة من بقية شعر الشعراء (الجاهلين) قبل الإسلام.

فبالإضافة إلى إمكانية مار افرام الشعرية الهائلة فقد وصل إلينا بالعربية إحدى وخمسون مقالة لافرام نقلت من اللغة اليونانية كما أن شرحه للكتاب المقدس نقل من السريانية إلى اليونانية، أما خطبه في شرح المسيحية فقد ترجمت إلى الآرامية والقبطية فالحبشية ثم إلى اللاتينية، كما نشر له (تومالامي) في مدينة (مالين) أربعة مجلدات من الميامير والأناشيد الدينية في السنوات (882-1902) باللغة الإنكليزية وطبع بعض منها في اكسفورد وبعضها الآخر في لايبزك، كما ألف قصصاً عن تلاميذ المسيح فيها قصة بطرس الرسول نشرها بالعربية البطريرك اغناطيوس، افرام الأول برصوم([171])، والمجموعة الثالثة التي نقلت إلى العربية مؤلفه من ميمرين في العلم والجوهر أي الإيمان نشرت في مجلة البطريريكية الأرثودوكسية في القدس سنة (1937) كما نقل الراهبان مبارك ثابت ومبارك المزرعاني تسعة ميامير إلى العربية في شكر الله على المائدة ومعها أمثال حكم ذلك في نفس المجلة سنة (1938)، بالإضافة إلى ديوان (أناشيد الفردوس)، الذي ترجمه كلا ممن فؤاد افرام البستاني والمطارن كوركيس كرمو (1989).

وفي الخامس من تشرين الأول (1920) أعلن قداسة البابا بنديكتس الخامس عشر أن مار افرام (ملفانا للكنيسة) ([172]) باعتباره أحد أعلام الكنيسة ومعلميها المتميزين وهو لقب استحقه هذا الأب الذي أصبحت إشعاره وأناشيده تردد على الألسنة منذ القرن الرابع الميلادي وحتى الآن والذي ملئ الكنيسة السريانية أو الكنيسة الشرقية بأناشيده ومياميره التي تسبح باسم الله والمسيح ومريم العذراء في شعر رقيق شفاف يرى الإنسان من خلاله نور الإيمان وجلال المسيحية، وإذا لم يعد افرام شاعراً عالمياً فهو على الأقل شاعر المسيحية الأول.

وقد أقامت الهيئة السريانية في المجمع العلمي العراقي احتفالاً عالمياً لأول مرة في تاريخ العراق في ذكرى العالم افرام السرياني والحكيم حنين بن اسحاق العبادي وذلك بين (4-7 شباط من عام 1974)، وحضره عدد من المستشرقين المهتمين بالثقافة السريانية كذلك العلماء العرب إضافة إلى العلماء العراقيين وأصدر المجمع كتاباً جمع فيه البحوث والكلمات التي ألقيت في المهرجان([173]).

والخلاصة أن الشاعر الذي غنى بحب المسيحية وأعطى كل ما لديه لتعليم قيمها الروحية وثقافتها الشرقية السريانية وجوهرها الإنساني قد أضيفت إليه أعمال بارزة هي: تأليفه لأول جوق في الكنيسة للفتيان والفتيات، وأول من خصص دوراً لسكني المسنين ورعايتهم، كما أنه أول من لحن الأشعار والأناشيد الدينية التي كان يؤلفها مما يدلل على أن حياته قضاها كلها في خدمة المسيحية وثقافتها، وفوق كل ذلك خلّف لنا شعراً خالداً لن تنساه الأجيال القادمة.

وقد وصلنا تراث مار افرام ليس بالسريانية فقط، وإنما في ترجماته إلى اليونانية والقبطية والأمهرية الحبشية والأرمينية بالإضافة إلى العربية والإنكليزية والفرنسية، وأن إبداعات مار افرام تعدّت الفكر السرياني تؤثر في الأدب البيزنطي الذي اعتنى بأشعاره.

ومن الجدير بالذكر أن مار افرام في أصوله الرافدنية اقتبس لون الشعر الجدلي القديم المعروف في بلاد ما بين النهرين ذلك اللون الذي يعتمد على المحاورة من خلال مقاطع شعرية قصيرة متساوية وكيّفه للاستعمال في الشعر السرياني، والمتحاورون في قصائد مار افرام ضده هما الموت والشيطان، والأطار هو هبوط يسوع المسيح إلى (شيول) أي ديار الموت([174]).

ملحق

العلاقات المشتركة بين

المسيحية والمسلمين وأفاقها المعاصرة

مدخل

لابد من إدراك أهمية تعميق العلاقات بين المسيحيين والمسلمين عامة وبين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي على وجه الخصوص الذين يشكلون دوماً صلة الوصل للحوار المسيحي الإسلامي المشترك، ويرجع السبب لأنهم من السكان الأصليين للبلاد ولأنهم عاشوا مع إخوانهم المسلمين جنباً إلى جنب في السراء والضراء وكانوا سوية في مصاعب الحياة وظلم الحكام ووقفوا سوية ضد العدوان على بلادهم وسامحوا بعضهم بعضاً في الأزمات، وعليه نجد أن الدراسات ومراكز الأبحاث المعنية بالمقاربة بين الديانات والحضارات وخاصة بين الإسلام والمسيحية الموجودة في البلدان العربية، تربط دوماً الصلة بين المسيحية والإسلام في تاريخيهم المشترك منذ أكثر من (1426) عاماً أو قبل ذلك بالنسبة للقبائل العربية التي هاجرت إلى جنوب العراق وجنوب سوريا و التي مهدت الطريق، بعد اعتناقها للمسيحية، لنشوء ثقافة سريانية ازدهرت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين وأسهمت فيما بعد في حركة التأليف والترجمة العربية في العصر العباسي.

إن من نتائج بروز العقلانية في التفكير الديني في القرن العشرين هو ظهور حركة بارزة تتجه نحو الحوار بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي أن ذلك التطور ليس بالحديث، إذ أنه بدأ في القرون السالفة، حيث وجدنا العديد من المواجهات والمجادلات بين المسيحيين والمسلمين وذلك منذ عهد الرسول الكريم حين استقبل وفداً من أهل نجران، وأعيدت النقاشات والمجادلات الدينية الحرة في عهد الخليفة المهدي وكذلك في زمن الخليفة عبد الله المأمون، لكن الحوار اليوم يبدو مختلفاً عن النشاطات والأعمال التي قام بها كلا من العالمين، وكلما اقتربت الدراسات العلمية المشتركة للأديان السماوية، والتي تضمنت جوانب فلسفية عقلانية، وصار من السهل تناول الدراسات النقدية في المعاهد والجامعات بروية وتعقل وموضوعية و معبرة عن رؤيا شاملة وعميقة.

ولدى دراسة المصادر الأولية للعلاقات المشتركة الإسلامية – المسيحية وجدت أن المسيحيين العرب قد أخذوا زمام المبادرة كما توقعت في إرساء سبل التأليف والتفاهم بين الدينين المتعايشين، وقد تم في الخمسينيات من القرن الماضي تأسيس (معهد للدراسات الإسلامية المسيحية) في جامعة القديس يوسف في بيروت.

وكانت باكورة نشاطه الدعوة إلى مؤتمر يجمع بين المسيحيين والمسلمين، وقد عقد هذا المؤتمر في (بحمدون) تحت شعار (القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية) وجرت مناقشات عصرية لفترة استمرت أسبوعاً بين (22-29 من شهر نيسان 1954)، وقد جرى منذ ذلك الحين الاتصال بالجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمي الذي عبر عن اقتناعه بضرورة إفساح المجال للحوار البناء بين الأديان السماوية في مجال إبراز القيم الروحية المشتركة.

وفعلاً بسعي مشترك من جميع هذه الأطراف عقد لقاء عالمي بين المسلمين والمسيحيين أيضاً من (9-5 شباط من عام 1955) في مدينة الإسكندرية، وكنتيجة لهذين المؤتمرين الذين اهتمت بهما الكنيسة الكاثولكية في الشرق، فقد أرسل الفاتيكان مبعوثاً عام (1965) للتحاور مع شيخ جامع الأزهر وإيجاد أهم سبل المشاركة الروحية والصلات المعاصرة بين المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط والعالم وبناء على هذا اللقاء انبثقت في الفاتيكان لجنة تمثل مجلساً للحوار، وقد اعتبر في حينه علامة بارزة ومهمة من التطور والتقارب بين الإسلام والمسيحية حيث عبر عن تحرك إنساني وانتقال علماء الديانتين من الأمنيات إلى الواقع والعصرانية بعيداً عن النظرة التقليدية الانعزالية لكل منهما، ودعى مجلس الحوار الذي تشكل في الفاتيكان المسيحيين والمسلمين إلى نسيان الماضي.

من أجل فهم جديد متبادل يمثل بداية طيبة للانغماس في حوار مشترك أن هذه الدعوة قد تجسمت بشكل إداري أولاً وذلك في عام (1964) بعد تأسيس (سكرتارية الأديان غير المسيحية) التي أعقيد تسميتها إلى (مجلس الحوار الديني المشترك) الذي انبثق عن الفاتيكان.

في عام (1971) أنشأ مجلس الكنائس العالمي وحدة متفرغة للحوار مع الآخرين الذين هم أصحاب ديانات وعقائد دينية أخرى، وقد جابهت هذه الوحدة الإدارية في نشاطاتها خاصة بالنسبة للحوار بين الإسلام والمسيحية بعض الخلافات مع أعضاء الكنائس البروتستانتية التي تمثل معظم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأكثر من نصف أوربا، لكن الأمر استقر في عام (1991)، وكجزء من بعض التغيرات في تكوين مجلس الكنائس العالمي توسعت هذه الوحدة إلى إدارة للعلاقات بين الأديان وأصبح لكل طائفة مسيحية خطوط عريضة أو مبادئ أولية تسير على هداها.

لكن الكنيسة الكاثولوكية كانت قد سبقتهم في تسجيل مبادئ أولية للحوار وكان ذلك بقلم لويجي كارديه وجوزيف كيوك وذلك في عام (1969) حيث طبعت هذه المبادئ مرات عديدة وأجري عليها بعض التعديلات نتيجة طبعت هذه المبادئ مرات عديدة وأخري عليها بعض التعديلات نتيجة اللقاءات المستمرة حتى عام (1981) حيث كتب في التعديل الأخير مقارنة مع الطبعات السابقة تغيراً يمثل تحولاً في النظرة والفهم والممارسة تجاه إقامة حوار ناجح بين المسلمين والمسيحيين، وظلت هذه التعديلات في تطور منذ عام (1969 لغاية عام 1988) يضاف إليها تفاصيل المنظمات والجهات الدينية الإسلامية وغير الإسلامية التي تعاملت معها الكنيسة الكاثولكية.

إن مجلس الكنائس العالمي (Wcc) لم ينشر أية خطوط عريضة أو مفاهيم عامة للحوار، إلا أنه في عام (1979) قام بكتابة تلك المفاهيم العامة بعد مناقشات مع الديانات الحية في العالم، والأمر الجديد أن كلاً من المجلس الحبري للفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي بدءا ينظمان مؤتمرات وحلقات نقاشية سوية في غالب الأحيان، وأصبح تعاونهما موثقاً لذلك نجد أن ممثلي مجلس الكنيسة الرومانية (الفاتيكان) يحضرون ويساهمون في المؤتمرات التي يقيمها مجلس الكنائس العالمي والعكس بالعكس.

إن من أبرز مؤتمرات الحوار المسيحي الإسلامي، كان قد جرى في (برمانا) في لبنان عام (1972) التي جمعت سوية (25) مسيحي و (20) مسلماً من جميع أنحاء العالم لمناقشة أربعة موضوعات أساسية: الأديان والشعوب، البحث عن عالم يجتمعون فيه، الحقيقة الإلهية وطاعة الله، العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والمسيحيين وكذلك الصلاة والعبادة، وأن البيان الختامي الذي كتب على

شكل مذكرة نشرت في كثير من صحف العالم، عبرت عن جو إيجابي للفهم المشترك بالإضافة إلى خلاصة لأبرز العناصر التي نوقشت وموجزاً عما يأمله، المشاركون في المستقبل.

كان من أبرز المؤتمرات المسيحية الإسلامية حديثا، ذلك المؤتمر الذي عقد في معهد اللاهوت للأديان في كلية القديس كبرييل (جبرائيل) في فينا عام (1993) وذلك بدعوة من قبل الأستاذ أولو موك وزير خارجية النمسا لمناقشة موضوع السلام للإنسانية، وقد التقى (23) مسلماً مع (23) مسيحياً من جميع أنحاء العالم لمدة ثلاثة أيام لمناقشة الموضوع، تخلله بحوث قدمت من قبل المؤتمرين من بينهم الأستاذ عصمت عبد المجيد الأمين العام للجامعة العربية والرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي والأمير الحسن بن طلال من الأردن والشيخ جاد الله (شيخ الأزهر) ونور كولش مجيد مدير معهد العلوم الدينية الإندونيسية، وكلا من ممثلي المسيحية: المطران جورج خضر من الكنيسة الأرثوذكسية في لبنان، والمطران هنري تيسير مطران الجزائر والكاردينال فرانز كونيك في فينا (الذي قاد أول وفد مسيحي إلى الأزهر في عام (1965) والكاردينال فرانسيس ارنز رئيس المجلس الحبري للحوار بين الأديان، وقد صدر عن المؤتمر (إعلان فينا) وكان الإعلان موجهاً إلى جميع دول العالم وخصوصاً السلطات القانونية والسياسية.

وقد تتابعت المؤتمرات المشتركة، التي أفرزت موضوعات خلافية مثل (الدعوة والموقف من الأقليات) والمساواة في المواطنة والوظائف العامة، وموضوع (حرية بناء الكنائس في الأقطار الإسلامية)، وفي هذا المجال نذكر المؤتمر الذي عقد في ليبيا عام (1976) بمبادرة من الاتحاد الاشتراكي الليبي الذي سبب خلافاً عند إعداد البيان الختامي للمؤتمر.

وهكذا نلاحظ أنه على الرغم من اتفاق الآراء في جميع المؤتمرات على المساواة في الحقوق والواجبات واعتبارات المواطنة لكل ما زالت هناك عقبات عملية بين الجانبين، ونشير إلى أن المسيحيين في البلاد العربية، وهم السكان الأصليون للبلاد ما زالوا يعانون بعض الصعوبات والمشكلات، وكذلك بعض المسلمين في الغرب خاصة بعد (11 أيلول 2001).

إن القضية الثانية المهمة التي بدأت تناقش في المؤتمرات الحديثة، هي تدفق اللاجئين الأفارقة والأسيوين على الغرب مما مثل في المنظور الغربي تخلخلاً واضحاً في البنية الاجتماعية في بعض المدن مثل باريس ولندن وروما وأدى بذلك إلى تطورات اجتماعية جديدة، وتشير المناقشات إلى استمرار الهجرة غير القانونية من المغرب والجزائر والنايجر والصومال وموريتانيا إلى فرنسا وكذلك الحال من تركيا إلى ألمانيا والنمسا وغيرها مما دعا إلى دمج كثير من التقاليد والمفاهيم التي يشترك فيها المسلمون والمسيحيون.

كما برز نمو مجتمعات مسلمة مغلقة معظمها جاءت من أقطار استقلت حديثاً أو تعاني من حروب ومشكلات أمنية، وكنتيجة لهذا التحرك البشري المتعدد الأديان والأعراق، فإن سلسلة من المعاهد والمراكز الثقافية الدينية قد انبثقت في البلدان الإسلامية وفي أوربا، قسم منها لها أرائها و اجتهاداتها الخاصة عن الوطن الأصلي لها، حيث أن معظمها تعد منبراً للتفاهم الإنساني وتبتعد عن الأمور الخلافية، وكذلك فإن مطبوعات هذه المعاهد والمراكز الدينية، وفرت مصدراً لا يثمن للمسائل المشتركة بين المسيحيين والمسلمين في العالم.

ومن أبرز تلك المراكز، المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمان (الأردن) الذي أسسه ويشرف عليه الأمير الحسن بن طلال وذلك في عام (1994)، وقد بدأ نشاطه في المشاركة بمؤتمرات

الحوار الديني الدولية وإصدار المطبوعات التي تركز على تنمية الثقافة الدينية الإسلامية – المسيحية المشتركة، ومن بينها الكتاب الذي أصدره بالإنكليزية سمو الأمير الحسن حول (المسيحية في العالم العربي) عام (1995) والذي ترجم بعد ذلك إلى العربية وغيرها من اللغات.

وقد صدر عن المعهد الملكي مجلة فصلية باسم (نشرة المعهد الملكي للدرسات الدينية)، وقد عقد المعهد مؤتمراً بالتعاون مع مؤسسة أل البيت كان له صدى طيباً في الأوساط الإسلامية والمسيحية، كما نشر المعهد التقرير المفصل عن المؤتمر الذي انعقد بجامعة نوترادم عن (لويس ماسينيون) ونشير أيضاً إلى (مركز الدراسات والأبحاث المشرقية) في انطلياس بلبنان الذي عقد عشر مؤتمرات ناجحة تعتمد الربط بين التاريخ العربي وتاريخ نمو وتطور المسيحية في الهلال الخصيب.

كما تأسس في بغداد عام (2004) (المركز العراقي للحوار بين الحضارات والأديان) وهو على غرار المعهد الملكي للدراسات الدينية مع الاهتمام الخاص بالحضارات يديره الدكتور خزعل الماجدي ومعه بعض الأعضاء المؤسسين أمثال فؤاد قزانجي والدكتور طالب الخزاعي وغيرهم من الأستاذة والباحثين وأقام المركز ندوة واسعة أعقبتها سلسلة من المحاضرات حول أهمية الحوار بين المسيحية والإسلام لكن المركز توقف على أثر التهديدات التي طالته.

المصادر الرئيسة:

1. Talal, (Prince), EL Hassan. Christianity in the Arab World, Amman: Royal Institute For Inter Faith Studies, 1995.

2. جامعة القديس يوسف، معهد الدراسات الإسلامية، المسيحية، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، 1954-1992، جمعتها جوليت حداد، بيروت، دار المشرق، 1995.

3. علي، عواد العربي المسيحي اليوم، حلقتان نقاشيتان عقدتا في عمان، عمان، المعهد الملكي للدراسات الدينية، 1999.

المسيحيون في العراق

لعل المسيحية التي نشأت في العراق قبل الإسلام بأكثر من خمسة قرون، قد امتزجت في ثقافاتها وإيمانها بالجذور الحضارية لبلاد ما بين النهرين العريقة ذات الأبعاد الإنسانية في تراثها وحضارتها المبكرة التي كانت أصلاً لجميع العراقيين الحاليين ما عدا الأقوام التي نزحت في العصور الحديثة، فالكل نهل من الحضارات السومرية والأكدية والبابلية والأشورية وأخيراً الحضارة المسيحية السريانية التي انتشرت في العراق وسوريا لفترة استمرت في التأليف والترجمة جنباً إلى جنب مع الحضارة العربية في العراق لفترة تزيد على سبعة قرون.

ثم انكمشت الثقافة المسيحية السريانية خاصة بعد أن غزا العراق أقوام فارسية وتركية مختلفة الأصول والأشكال ولذلك انحصرت في العصور الحديثة وفي الموصل وبلدات عديدة في شمال العراق، وقد حافظ المسيحيون على لغتهم السريانية أو السورث من القرن الثالث الميلادي حتى الآن.

بدأت المسيحية في العراق في القرن الأول الميلادي أيام كان الفرثيون مسيطرون على العراق وتذكر المصادر الرومانية والآرامية، أن مار أدي أحد تلامذة يسوع المسيح له المجد الاثنين والسبعين، وتلميذه مار ماري بشرا بالمسيحية في نصيبين والجزيرة والموصل وسلوقية وقطيسفون (المدائن) وشيد مار ماري (ت 82م) أول كنيسة في بلدة (كوخي)، قرب سلوقية وقطيسفون، وهي كنيسة كوخي، وقد وسعها مار عبد المسيح الحيري، وقد أعيد بناؤها وتعميرها مرات عديدة آخرها عام (2000) في احتفال مهيب.

إن انتشار المسيحية لم يقتصر على العراق وحده، بل وصل إلى الجزيرة العربية خاصة في نجران باليمن التي بقيت مسيحية زهاء قرنين من الزمن، وكذلك آمنت بعض القبائل من حمير وكندة وبكر وتغلب وال نخم، وعدد غير قليل في مكة بعضهم شخصيات معروفة أمثال ورقة بن نوفل ابن عم خديجة الكبرى، الذي أشاد بحكمته الكثيرون في قريش، وكذلك الحال بالنسبة إلى عبيد الله بن جحش بن أميمه، وهو ابن بنت عبد المطلب، عمة النبي الكريم محمد r وقد كان نصرانياً في أرض الحبشة، كذلك زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن أخ الخليفة عمر بن الخطاب t ومن شعراء المعلقات المسيحيين امرؤ القيس بن حجر الكندي، وهو أرق شعراء المعلقات وعمرو بن كلثوم وربما النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى اللذان كانا موحدين.

أما بالنسبة للعراق فعندما انتشرت المسيحية في الجزيرة العربية، وخصوصاً بين ال لخم التنوخيون ومعهم قبيلة بكر، هاجرو إلى جنوب العراق، واستطاعوا إقامة عدة قرى زراعية قرب الفرات مثل كشكر وبانقيا وباويما وأخيراً حيرتا أي الحيرة التي سرعان ما أصبحت مدينة عامرة ومن ثم مملكة كبيرة تنتشر فيها الكنائس والأديرة وتمتد من الابلة جنوباً حتى الأنبار شمالاً وكندة غرباً على حدود الغساسنة الذين كان فيهم كثير من المسيحيين أيضاً.

ويعتقد المؤرخون أن الحيرة ظهرت مدينة ذات ثقافة سريانية في الربع الأول من القرن الثالث الميلادي، وقد اختلفت الآراء في أصل أهل الحيرة فقيل أنهم في اليمن أو عرب الجنوب، وربما كانوا مجموعة متحالفة من القبائل الشمالية الآرامية والقبائل الكلدية التي استوطنت بعد سقوط بابل

المنطقة نفسها، كما قد تكون هذه القبائل قد انتشرت في المنطقة نفسها بحدودها الجغرافية – السياسية التي كانت تحت سيطرة مملكة (بيت عديني) الآرامية عند بداية الاحتلال الفرثي لبلاد ما بين النهرين.

وقد شاع بعد نهاية الحكم البابلي – الكلدي، استخدام الآرمية لغة، وانتشرت أبجديتها بالكتابة لأنها كانت أبجدية سهلة مقارنة مع الكتابة المسمارية الصعبة والمعقدة، حتى غدت الآرامية في القرون القليلة السابقة للتاريخ الميلادي لغة البلاد الأولى خاصة في السهل الكنعاني وفينيقية وشمال العراق، ومن الآرامية ولدت السريانية وقد استخدمت اللغة الآرامية في المراسلات والتوثيقات الأشورية وكذلك استخدمتها الدولة الاخمينبة كما استخدمت في دولة الحضر في جنوب الموصل.

وقد نشأت الثقافة السريانية وانتشرت في ساليق (سلوقية) وقطيسفون وجنديسابور والرها ونصيبيين وكانت حلقات العلم وخاصة الطب والمدارس السريانية المختلفة قد نهلت من أصول الحضارة اليونانية وعلومها وفلسفتها وخاصة في مجال الطب والصيدلة واستخدام الأدوية والعلاجات المختلفة بالإضافة إلى العلوم الدينية واللاهوتية والآداب المسيحية المختلفة من بينها الشعر والأناشيد الدينية.

وقد برز منهم عدد من العلماء والفقهاء أمثال (مار افرام الملفان 306-373) الذي شرح الكتب المقدسة وكتب في الفلسفة المسيحية منها كتاب (الكنوز) بالإضافة إلى مجموعة من الأناشيد الدينية، وكذلك (نرساي) (399-503)، والذي ألف مقالات في تطوير الطقوس الدينية بالإضافة إلى مقالاته الأدبية، ويعقوب السروجي (451-521) الذي اشتهر بكتاباته المنظومة وقصائده التي بلغت (763) قصيدة في الآداب المسيحية والحكم، وكذلك يعقوب البرادعي (500-578) الذي أسس مذهب الطبيعة الواحدة في المسيحية وتبعته بعض الكنائس المسيحية في العراق وخاصة في تكريت.

إن أهمية الحيرة في التاريخ تتجاوز حجمها، فقد كانت مركز إشعاع ثقافي وحضري، فقد عزي إليها تشييد قصور فخمة عدة جاوزت قصور أكبر المدن في زمانها، فقد بلغت سبعة عشر قصراً أبرزها الخورنق والسدير والقصر الأبيض والزوراء.

أما الخورنق فقد بنى بظاهر الحيرة مشرفاً على بحر النجف وهو منخفض مائي كان موجوداً في ذلك العصر، وما حولها من البساتين والنخيل، وعلى غرب هذا القصر يمر الفرات العذب بهدوء، وأثار القصر معروفة، وقد أثنى شعراء الجاهلية عليه وعلى أهله، وأصبح بناؤه أسطورة تذكر بمثل ساد زمانه وهو (جزاء سنمار) كما عرفت الحيرة باعتبارها مؤلا للشعر العربي يأتي بعد سوق عكاظ، بل كانت فيها مدرسة للشعراء ومنتدى لهم أمثال حنظلة الطائي وعدي بن زيد والنابغة الجعدي إضافة إلى عمر بن كلثوم والأعشى وعدي حاتم الطائي وغيرهم.

وقد ورد في كتاب الأغاني بأن الشاعر المرقش الأكبر استعان بالحروف السريانية التي كان يستعملها نصارى مدينة الحيرة، وحورها فأصبحت الحروف العربية، ويعزى للعباد أهل الحيرة الحضريون بأنهم أول الناس الذين استخدموا الخط العربي، وعندما كانوا بنو بكر وبنو تغلب يريدون تسجيل معاهدتهم وتوثقها، كانوا يلجأون إلى كتاب الحيرة أو إلى بلاط ملكها.

وعندما بدأت المسيحية في الانتشار في القرن الثالث الميلادي في العراق شمالاً وجنوباً، تنبت اللغة السريانية، فكانت لغتها الأساسية للكتابة، والتأليف والطقوس الدينية كذلك حتى القرن السابع الميلادي جنباً إلى جنب مع لغة الاحتلال الفارسي ثم أضيفت إليها اللغة العربية.

أما المسيحيون الذين هم من أصل أرامي الذين كانوا يسكنون في السهل السوري، حيث أن القبائل الآرامية نزحت باتجاه الفرات الأعلى وانتشرت بين الفرات شمالاً ودمشق غرباً وأرض السواد شرقاً، وقد استقرت في مدن بصرى وتدمر والرها ونصيبين ثم انتشرت شرقاً إلى العراق.

ويعتقد أن كثيراً منهم بقوا في شمال العراق وأقاموا لهم قرى زراعية عديدة وبلدات قرب المرتفعات والجبال مثل بيث عابي وادانا وبانو هندرا والقوش وغيرها، وربما اضطروا إلى الهجرة إلى تركيا وإيران، وكانت للكنيسة المسيحية قبل الإسلام (نهاية القرن السابع) في العراق وسورية وغرب فارس فروع عدة كالآتي:

1. إقليم بابل أو ابرشية ساليق (سلوقية) وتشمل كذلك قطيسفون والحيرة وكثير من البلدات.

2. تكريت والبلدان الاثني عشرة التابعة لها من بينها سنجار ومعلثا وبانوهذرا في شمال العراق والتي بقيت مسيحية حتى القرن الثاني عشر الميلادي.

3. إقليم حدياب الذي كان يمتد بين الزابين الأعلى والأسفل ومركزه (اربيل).

4. إقليم بيت عرباي أو ابرشية نصيبين.

5. إقليم ميشان (ميسان)وكذلك أبرشية كشكر وفرات ميشان حيث رحل معظمهم إلى شمال العراق بعد الإسلام.

6. إقليم بيت هوازي أو ابرشية بيت لافاط (جنديسابور) ويمكن القول بأن المسيحيين في معظم المناطق وقفوا مؤيدين للفتح الإسلامي تخلصاً من مضايقات الفرس لهم، ويقول المؤرخون أن الحيرة أول مدينة مسيحية سلمت نفسها إلى المسلمين بعد أن كتب لأهلها خالد بن الوليد عهداً بموافقة الخليفة عمر بن الخطاب بالمحافظة على مدينتهم وعلى حريتهم الدينية.

ويقول المؤرخون المسيحيون، أن الجاثليق (المطران) ايشو عياب بذل قصارى جهده لإظهار القبول للفاتحين ويقال أن أميراً نجرانياً مسيحياً توسط بين مذهبه ونال من المسلمين عهداً يكفل للمسيحيين حسن المعاملة، إما (ماروثا) مطران المشرق الذي مركزه تكريت فقد فتح إمام المسلمين أبواب قلعة المدينة تجنباً وحقناً للدماء،إن هي فتحت عنوة، كما يقول ابن العبري في تاريخه الكنسي.

وبعد استيلاء المسلمين على العراق، أراد الخليفة عمر بن الخطاب t إحصاء الرجال غير المسلمين في العراق فوجد أن (500000) رجل يستطيعون دفع الجزية، ويعني أن مجموع عائلات النصارى واليهود في العراق إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن في العائلة ثلاثة أشخاص فيكون المجموع مليون ونصف المليون عراقي وبما أن اليهود أقلية صغيرة لا تتجاوز بضعة ألاف، فمن ذلك يتضح أن هناك حوالي مليون ونصف عراقي مسيحي ويعني ذلك أن أكثرية سكان العراق كانوا مسيحيين قبل الإسلام أما أصل كلمة سريان فقد اشتقت من كلة (سوربوي) اليونانية التي أطلقها اليونانيون على سوريا لاعتقادهم أنها كانت جزءاً من الإمبراطورية الأشورية وقد حرف اللفظ في اللغة اليونانية من الأشورية.

وقد انقسم السريان إلى مشارقة (نسطوريون) ومغاربة وهما تعبيران استعملا أيام إمبراطوريتي الفرس والرومان للتميز بين سكان شرقي الفرات الذين كانوا تحت حكم الفرس وسكان غربي الفرات الذين كانوا تحت حكم الرومان (البزنطينين) وذلك في العصور التي سبقت الفتح الإسلامي للعراق، ساهمت الثقافة السريانية وعلماؤها وأطباؤها في حركة النهوض العربي إبان تنامي

الحضارة العربية التي ازدهرت في بغداد وقد قدم هؤلاء العلماء والأطباء عصارة علمهم وثقافتهم لتعزيز جوانب أساسية من الحضارة العربية وخاصة من خلال مدارسهم العلمية التي كانت موجودة في جندسابور والرها ونصيبين والحيرة كما أنشأت على أيديهم المستشفيات (البيمارستانات) وطوروا علوم الصيدلة ونشطوا في حركة الترجمة من بينهم حنين بن اسحق الذي ألف عشرات الدراسات والمقالات العلمية والفلسفية وترجم معظم ما كتبه جالينوس في الطب زادت على عشرين مقالة وكتاب حتى أصبحت مؤلفاته وترجماته تقرب من المائة كتاب ومقالة.

ومن بين المترجمين (النقلة) الذين وثقهم ابن النديم في (فهرسته) المشهور أكثر من (45) مترجماً معظمهم من النصارى السريان، أما في حقل الطب فكان معظم الأطباء والصيادلة هم من المسيحيين، أبزرهم يوحنا بن ماسوية صاحب بيت الحكمة وال بختشيوع الذين علموا أجيالاً من الأطباء، وعملوا على تأسيس المستشفيات (البيمار ستانات) إضافة إلى كل ذلك فقد ساهم العلماء والأطباء والمترجمين السريان مع زملائهم من العلماء والمترجمين المسلمين في تعزيز قيام أعظم أكاديمية علمية في العصور الوسطى وهي (بيت الحكمة) البغدادي وبذلك عملوا على ازدهار الحضارة العربية.

والخلاصة أن معظم المسحيين سواء كانوا سريان أو كلدان أو أشورين كانوا يتبعون الكنيسة النسطورية وهي كنيسة المشرق حتى القرن السادس عشر حين انشطرت هذه الكنيسة الواحدة إلى أربع مجموعات هي كلدان وأثوريين، سريان أرثوذكس وسريان كاثوليك.

وعند قيام العراق الحديث عام (1921)، ساهم المثقفون المسيحيون في تكوين العراق وعملوا مع إخوانهم المسلمين في تكوين ثقافاته وآدابه ومعارفه نذكر منهم وزير المالية الثاني في الحكومة العراقية يوسف غنيمة واللغوي الأديب الأب انستاس الكرملي صاحب مجلة (لغة العرب) لعلها أفضل مجلة أدبية عراقية في مفتتح القرن العشرين، والصحفي البارز ثابت عبد النور والأديب رؤفائيل بطي والمحاميين الديمقراطيان خدوري خدوري وكامل قزانجي ومن الأدباء يعقوب سركيس ويوسف مسكوني وغيرهم.

ومن الأثاريين المتميزين بشير فرنسيس وفؤاد سفر ومن العلماء مجيد خدوري ومتي خدوري والدكتور منير بني ومن الصحفيين المعروفين توفيق السمعاني وجبران ملكون وفائق بطي وغيرهم ومن أشهر المؤرخين عبد المجيد خدوري الذي ألف أربعة كتب في اللغة الإنكليزية عن تاريخ العراق وعلى الرغم من أن نسبة المسيحيين صغيرة، إلا أنهم مواطنون نشطون في العمل والفكر والمعرفة، وهم في معظمهم متعلمون أو متخصصون وتكاد الأمية تنمحي بينهم.

لذلك تجد أن طائفة يعتمد عليها في العمل والبناء وهم معروفون بحبهم وإخلاصهم للعراق الذي عاشوا فيه منذ ألاف السنين، ولا يطمحون سوى في وضعهم على قدم المساواة مع جميع المواطنين ولا يريدون سوى إقامة دولة علمانية ديمقراطية فيها المواطنون سواسية وينال الجميع حقوقهم في إبداء الرأي وفي أنشطتهم السياسية والاجتماعية وفي جمعياتهم الثقافية وطقوسهم الدينية بكل حرية، مع تمثيل لا يقل عن نسبتهم وهي (4%) في السلطتين التنفيذية والتشريعية والاتحادات الشعبية.

أهم المصادر

1. الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت 310 هجري) تاريخ الرسل والملوك، ط: ص: 1028-1037.
2. المجمع العلمي العراقي، وقائع ندوة الوشائح بين السريانية والعربية، بغداد، 2000، ص: 28-40.
3. حبي، الأب يوسف، كنيسة المشرق، بغداد، د.ن، 1989، ص: 45.

كشاف عام بالأعلام والأماكن

المؤلف:
فواد يوسف قزانجي (Fouad Yousif Kazanch)
كاتب ومؤلف وأكاديمي Fouad Kazanchi 2005@Yahoo

الولادة: سنجار (نيوني) 1938.

الشهادات:

1. بكالوريوس آداب اللغة الإنكليزية، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1962.

2. دورة جامعية في الصحافة والإعلام، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1966.

3. ماجستير في علم المكتبات والمعلومات، جامعة ايموري، جورجيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1971.

4. كورسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جامعة ايموري، 1971، جامعة لندن، 1978.

الوظائف:

1. أستاذ علم المعلومات والمكتبات، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

2. باحث في بيت الحكمة:

3. أسس وترأس أول قسم لعلم المكتاب في العراق، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1971.

4. رئيس تحرير جريدة (بغداد أد يزرتر)، بالإنكليزية اليومية، 1973-1975.

5. مدير المكتبة الوطنية، 1975-1981، ساهم في إقامة أول مكتبة وطنية في العراق كما أنه أول من أصدر (البيبلوغرافية الوطنية العراقية).

6. أستاذ مساعد، كلية المنصور الجامعية، قسم نظم المعلومات، 2000-2005.

المؤلفات:

أولاً: ألف ثمانية كتب في علم المكتبات أبرزها:

1. المكتبات والصناعة المكتبية، بغداد، وزارة الإعلام، 1972.

2. مراجع الكتب والمكتبات في العراق، بالاشتراك مع الباحثة كوركيس عواد، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية، 1975.

3. المكتبة الوطنية وآفاق تقدمها، بغداد، وزارة الإعلام، 1977.

4. المكتبات في العراق منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، بغداد، دائرة الشوؤن الثقافية العامة، 2001.

ثانياً: ألف ثلاثة كتب في تاريخ العراق:

1. العراق في الوثائق البريطانية 1905-1930، بغداد، دار المأمون، 1989، قدم له المؤرخ عبد الرزاق الحسيني.

2. Baghdad, The City OF Peace: Its Heritage and Modern Development. Baghdad: Dar Al – Mamnn, 2002.

ثالثاً: ألف كتاب في علم المعلومات: السلطة الخامسة، علم المعلومات وتكنولوجيا المعلومات، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 2006، ص: 207.

رابعاً: ينشر مقالات ودراسات تاريخية وبلدانية وحضارية في جريدتي الزمان والمدى منذ عام (2003) وفي مجلتي بين النهرين والفكر المسيحي.

خامساً: ينشر موضوعات حول الثقافة السريانية في مجلات دجلة ودار الحكمة وثقافتنا وبعض الصحف مسلطاً الضوء على بعض المدن التي أغفلها المؤرخون أمثال سرجيويوليس (رصابا) وشفاثة ونجرانة وحصنا عبرايا ودير قنى وكشكر.

النشاطات المهنية:

1. عضو في الجمعية العراقية للمعلومات ونقابة الصحفيين وعضو مؤسس في اتحاد الأدباء والكتاب في العراق وعضو في اتحاد المؤرخين العرب.
2. شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات العلمية والأكاديمية.
3. عضو مؤسس للمركز العراقي لحوار الحضارات والأديان (2004).
4. شارك في المؤتمر السرياني الحادي عشر الذي أقيم في حلب في (11-15/5/2006).

FouadKazanchi2005@yahoo.com

The Origin of Syriac Culture in Mesopotamia

By Professor fouad yousif Kazanchi

Abstract

The book in a historical, cultural and urban study of an important period of people's life of Iraq which was extended between (50-750 A.D). The study emphasizes on cultural development of syriac Christians or Nestorians who .lived in Iraq and part of Iran

Short account of main syriac writers and historians particularly in Mesoplamia. The Iraqi syriacs are of Assyrian, chaldian – Babylonian and Arab origins who had used bilirgnal langnages, syric and Arabic since the .beginning of third certury tiu nowadays

The study deals with the sifnificance of syriac medicine and philosophy and .their impact on the Arab – Islamic medicine and philosophy

Highlights have been which were vanished in modern time It includes six .chapters, a comprehensive prologue and index

:The chapters and sub – chapters of the book are as follows

:Chapter one

:The Parthian – Mesopotamian period

.Historical background of situation in Mesopotamian before Christianity .1

.Aramiac and syriac languages .2

.The Kingdom of Mishan .3

.The Kingdom of Hatra .4

.The Kingdom of Adiabene or Hiyab .5

:Chapter two

:(Mesopotamia during the period between (50-226 A.D

.The parthians .1

.The chritianity .2

.The beginning of Christianity in Mesopotamia .3

.The Jews in Mesopotamia .4

:Chapter three

:(Iraq through sasanic – Mesopotamian period (226-651

.Sasanids in Mesopotamia .1

.Sellocia and ctesephor .2

.(The city of gundisapur (Bayt lafat .3

.The growth of christiunity in Iraq .4

:Chapter four

:Migration of arab yaminite tribes to southern of Iraq

.Hira: The Arab Christian kingdom .1

.Syriac cities: Aqula, shiphatha and Najrana .2

:Chapter five

:The Dawn of syriac culture

.Flourishing of Christianity in Iraq .1

.Features of syriac culture .2

.syriac medicine .3

.syriac philosophy .4

.syriac sehools in Iraq .5

:Chapter six

:Syriac interest in their history

.Syriac Historical writings .1

.Syriac Historical writings which are trans lated or written in Arabic .2

.Ibin al – Abri (Bar Hebraeus) a syriac historian .3

.some prominent syriac writers .4

.mar ephram. A great writer .5

الـهوامش

[1] - كريستنس، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيي الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م، الصفحات (4-29).

[2] – أبونا، الأب ألبير، أدب اللغة الآرامية، ط2، بيروت، دار المشرق، 1996م، الصفحات (25-30).

[*] شيلدن نودلمان (ميشان، دراسة تاريخية أولية) ترجمة فؤاد جميل، مجلة الأستاذ، مجلد12 (63-1964) وطه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ط2، 1986، ص: 600 .

[3] – الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، 1985م، الصفحات (359-366).

[4] – نورلمان، شيلدن، ميسان، دراسة تاريخية أولية، ترجمة فؤاد جميل مجلة الأستاذ (بغداد) مجلد 12 (1963-1964)، ص: 434-463 .

[5] – أيشو عدناح، مطران البصرة، توفي في نحو سنة 840، وطبع كتاب (الديورة في مملكتي الفرس والعرب) المسمى خطأ كتاب (العفة) نقله إلى العربية (القس) بولس شيخو، الموصل، مطبعة النجم 1939، ص: 1-10 .

[6] – سفر، فؤاد ومحمد علي مصطفى، الحضر، مدينة الشمس، بغداد: مديرية الآثار العامة، 1974م، ص: 5-30 .

[7] – قحطان رشيد صالح، الكشاف الأثري في العراق، بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1987 (ص: 62-67).

[8]- Al-Ahmed, Sami said, Iraqi-Persian Struggle during Patho Sassanian periods (147-632) Iraq. (March 15, 1986) p. 44-45

[9] – ماري بن سليمان، أخبار قطاركة كرسي المشرق، عن كتاب المجدل، روما، مكتبة المثنى، 1899، ص: 1-3 .

[10] – القصاب، يعقوب، أصل نصارى حدياب، دمشق، 1988، ص: 123- 126 .

[11] – بابو إسحق، روفائيل، تاريخ نصارى العراق، بغداد، مطبعة المنصور، 1948، صفحة (و) من التوطئة.

[12] - سلوقية أو سلوكية أو ساليق كما سمّاها السريان، ظلت المدينة الرئيسة في بلاد الرافدين بنيت على الجهة الشرقية من نهر دجلة من قبل الأول نيكاتور عام (312 ق.م).

[13] - طيسفون أو قطيسفون أو كتيسفون أو ما يسمى بعد ذلك بالمدائن مدينة بارثية دعيت (كتسبيا Ctespia) وسماها المؤرخين طيسفون وسماها المسلمون الذين فتحوها عام (637م) المدائن، قيل

أنها أقيمت في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وقيل في منتصف القرن الأول قبل الميلاد من قبل أحد الملوك البارثيين.

[14] - الأحمد، سامي وجمال رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، بغداد، جامعة بغداد، 1988، من: 384-388.

[15] - كريستنس، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1988، الصفحات: 24-26.

[16] - الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، بيت الحكمة، 2003، الجزء الأول، الصفحات: 73-72.

[17] - حداد، (الأب) بطرس، البشرى السارة، مقدمة للإنجيل الشريف، بغداد، مطبعة الأديب، 1975، ص: 7.

[18] - شالي، فيلسيا، موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة، 1991، ص: 225-227.

[19]- Nulles, Stebelton. (Editor) Claasics Of Western Thought, The Ancient world, New York, Harceart, 1984, P: 380-382.

[20] - زيادة، نقولا، المسيحية والعرب، ط: 4، بيروت، مؤسسة السندباد، 2002، ص: 69-72.

[21] - معجم الحضارات السامية، ص: 716، قنواتي، الأب جورج شحاته، المسيحية والحضارة العربية، ط: 2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984، ص: 72.

[22] - أجرت بعثة إيطالية التنقيب في موقع كوخي ووجدت أثار كنيسة قديمة وأكدت أنها بنيت في نهاية القرن الأول الميلادي، وهي ذات مساحة صغيرة، وقد أعيد بناؤها والاحتفاء بها عام (2000) في احتفال محلي ودولي كبير بحضور عدد من الشخصيات الدولية ترأس الاحتفال العلامة (الأب) يوسف حبي رئيس الدائرة السريانية في المجمع العلمي العراقي آنذاك.

[23] - أبونا (الأب) البير، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، من انتشار المسيحية حتى مجيء الإسلام، بيروت، دار المشرق، الجزء الأول، ط: 3، 1992، الصفحات: 14-20.

[24] - أبونا (الأب) البير، أدب اللغة الآرامية، مصدر سابق، الصفحات: 24-44.

[25] - أبونا (الأب) البير، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، المصدر السابق، الجزء الأول، ص: 22.

[26] - القصاب، يعقوب، أصل نصارى حدياب، دمشق، 1989، ص: 123-126.

[()] ! شوريز، الأدب الفونسى جميل، الكنيسة الكلدانية في التاريخ، الموصل، المطبعة الكلدانية، 1950، ص: 4.

[27] - الأحمد، سامي تاريخ الخليج العربي، المصدر السابق، ص: 362.

[28] - كريستنسن، ارثر، إيران في عهد الساسانيني، المصدر السابق، ص: 25.

[29] - كريستنسن، ارثر، إيران في عهد الساسانيني، المصدر السابق، ص: 25-30.

[30] - الصالحي، واثق إسماعيل (لعمارة قبل الإسلام)[في موسوعة] حضارة العراق، إعداد مجموعة من الباحثين. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، 1985م، (الجزء الثالث، 250-251).

[31] - الأحمد،سامي سعيد، تاريخ الرومان، بغداد:وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة بغداد، 1988،(ص: 70)

[32] - الأحمد، سامي، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، 1985م، ص: (359-366).

[33] - مكاي، دوروثي، مدن العراق القديمة، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني، ط3، بغداد: مطبعة شفيق، 1961 (الصفحات، 22-24) .

[34] - غنيمة، يوسف روق الله، الحيرة، المدينة والمملكة العربية، بغداد: مطبعة دنكور الحديثة، 1936، 291 ص (الصفحات 10-14).

[35] - قحطان رشيد صالح، الكشاف الأثري في العراق، بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1987م، (ص: 142-145).

[36] - قزانجي، فؤاد (الرصافة:أهي مدينة رصابة التي أنشأها الآشوريون؟) الزمان،العدد:1730، (12/2/2004)، ص: 11.

[37]- Ahmad, Sami S. (Iraq – Persian Struggle During Partho – Sassanian Period) , Loc, Cit. P: 46-48.

[()]! ورد من أسماء ملوك فارس القدماء (كند فارس).

[38] - انمار عبد الجبار، (مدرسة جنديسابور، علامة مضيئة في تاريخ الحضارة العربية)، مجلة بين النهرين، العدد: 127-128، ص: 32، 2004، ص: 200-201.

[39] - براون، ادورد، (ت 1926)، الطب العربي، ترجمة الدكتور الطبيب داود سلمان علي، بغداد، مطبعة العاني، 1964، ص: 25-26.

[40] - اوليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، القاهرة، مكتبة النهضة، 1962، ص: 94-95.

[41] - مراد كامل وآخرون، تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1974، ص: 31.

[42] - قنواتي، (الأب) جورج، المسيحية والحضارة العربية، المصدر السابق، ص: 80-81.

[43] - ابوتا، (الأب)، البير، تاريخ الكنيسة الشرقية المصدر السابق، ص: 20-25.

[44] - الأحمد، سامي وجمال رشيد أحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم المصدر السابق، ص: 276-278.

[45] - حبي، الأب يوسف كنيسة المشرق، الفجر الأصيل، بغداد، ط: 1988، ص: 125-130.

[46] - بيوكيفسكايا، نينا، العرب على حدود بزنطة وفارس من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، المصدر السابق، ص: 48-52.

[47] - قنواتي، الأب، جورج، المسيحية والحضارة العربية، المصدر السابق، ص: 53.

[48] - صالح، سلوى بالحاج، المسيحية العربية وتطوراتها، المصدر السابق، ص: 55.

[49] - الحديثي، نزار عبد اللطيف (لمحات تاريخية) في كتاب، العراق، 1988، الكتاب السنوي للجمهورية العراقية، بغداد، دار المأمون، 1989، ص: 40.

[50]- Nichlson, Reynold, Aliterary, History Of The Arabs Cambridge University Press, 1969, P: 38-40.

[51] - القزويني، زكريا بن محمد، أثر البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صارد، د. ـت، س: 186.

[52] - مكاي، دروثي، مدن العراق القديمة، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني، بغداد، ومطبعة شفيق، 1961، ص:22-27.

[53] - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (224-310 هـ) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، 1979، 7أجزاء، ص: 1028-137.

[54] - الأب بطرس حداد، مار ايليا الحيري، بغداد، مطبعة المشرق، 1988، ص: 34-36.

[55] - بيكوليفسكيا، نينا، العرب على حدود بيزنطة وفارس من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، وترجمة صلاح الدين عثمان والكويت، المجلس الأعلى للثقافة، 1985، ص: 92-94.

[56] - جاد المولى، محمد أحمد وعلي محمد البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، أيام العرب في الجاهلية، القاهرة، دار الفكر، 1942، ص: 6-33.

[57] - البلاذري، أحمد بن يحي (ت279هـ) فتوح البلدان، تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1957، ص:243، مصدر سابق.

[58] - الطبري، محمد، تاريخ الرسل والملوك، ج: 3، ص: 356.

[59] - ميخائيل الكبير، غريغوريوس، تاريخ مار ميخائيل الكبير،ترجمة صليبا شمعون، حلب، دار ماردين، 1996، ج: 2، ص: 312.

[60] - أبو نوار، أديب (الكوفة كوفتان ....)، الزمان الدولية العدد: 1893، (22/8/2004)، ص: 14.

[61] - ماسنيون، لويس، خطط البصرة وبغداد، ترجمها وحررها العلامة إبراهيم السامرائي، بيروت، المؤسسة العربية للدارسات، 1981، ص: 73.

[62] - سركيس، يعقوب، مباحث عراقية، بغداد، شركة التجارة، القسم الثاني، ص: 325.

[63] - الطريحي، محمد سعيد، الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة، بيروت، مطبعة المتنبي، ص: 340.

[64] - الحموي ياقوت، معجم البلدان، مادة نجرانية، ص: 17.

[65] - الطريحي، محمد المصدر السابق، ص: 342.

[66] - ماسنيون، لويس، خطط البصرة، المصدر السابق، ص: 32.

[67] - مسكوني، يوسف يعقوب، المصدر السابق، مجلة النور، ع: 4، س: 1، 1950.

[68] - ايشو عدنا ح (ت 860)، الديورة في مملكتي الفرس والعرب أو العفة، نقله إلى العربية الأب بولس شيخو، الموصل، مطبعة النجم، 1939، ص: 52-58.

[69] - قاشا، (الخوري) بيوس، حياة مريم العذراء، بغداد، مطبعة الديوان، 2004، ص: 123.

[70] - يشو عدنان ح، الديورة في مملكة الفرس والعرب، المصدر السابق، ص: 60.

[71] - ماري بن سليمان، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبع في روما، 1899، ص: 28.

[72] - التاريخ الصغير، (القرن السابع للميلاد)، لمؤلف مجهول، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد، بغداد، مجمع اللغة السريانية، المجمع العلمي العراقي، 1976، ص: 63-64.

[73] - الحموي الرومي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، (مادة كسكر)، مج: 4، ص: 138.

[74] - العلي، صالح أحمد، معالم العراق العمرانية، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1989، ص: 216-218، نقلاً عن فتوح البلدان للبلاذري، ص: 209.

[75] - أبونا، الأب البير، شهداء المشرق، بغداد، مطبعة اسمر، ط: 2006/2، ص: 26-28.

[76] - سليمان، ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، روما، 1899، ص: 28.

[77] - بابو اسحق، روفائيل، مدارس العراق قبل الإسلام، بغداد، مطبعة شفيق، 1955.

[78] - الشابشتي، أبو الحسن الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد، مطبعة المعارف، 1951، ص: 171-172، 248-250.

[79] - الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، ص: 356-357.

[80] - من حديث شخصي للأب الدكتور يوسف توما في (27/11/2006).

[81] - ماسنيون، لويس، خطط البصرة وبغداد، ترجمها وأضاف إليها أ. د إبراهيم السامرائي، بيروت المؤسسة العربية للدراست، 1982، ص: 35.

[82] - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مادة بصرة.

[83]- Teixidor, Javier (Syriac Incantation Bowls in the Iraq Mnsewm. Sumer. Vol. 18 (1962) P: 51-52.

[84] - اندريه، فالتر ولينتس (ليزن)، هاينس (هاينر) أشور المدينة الهلنستية، الفرثية، ترجمة عبد الرزاق كامل الحسن، بغداد، المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1987.

[85] - مر شيلينوس، اميانوس (العراق في القرن الرابع الميلادي بحسب وصف المؤرخ مرشيلينو، ترجمة فؤاد جميل)، سومر، المجلد: 17، 1961، ص: 145-173.

[86] - كريستنسن، ارثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص: 257.

[87] - الربيعي، فاضل، أبطال بلا تاريخ، الميثولوجيا الإغريقية والأساطير العربية، بيروت، شركة قدموس للنشر، 2003، ص: 59.

[)]! العقيدة المانوية، تعود إلى ماني الذي كان من أهل ميشان (بيت هوازي) وقيل أنه من بابل آمن بالمسيحية وتعلم السريانية، ثم انقلب على المسيحية، وابتدع فلسفة أو مذهباً هو مزيج من المفاهيم الزرادشتية والمسيحية، وكان أحد مثقفي عصره، ألف عدة كتب ومقالات، ألقى الفرس القبض عليه بعد انتشار أفكاره وأعدم مع جمع من أصحابه ولد عام (240م)، قال: (أن هناك إله للخير وإله الشر، وأن النفس خلقها إله الخير، وأن الجسد خلق من قبل إله الشر، وأنهما يتصارعان).

[)]? الاريوسية، نسبة اريوس الكاهن المصري المولود سنة (256) الذي يقول: (أن الله واحد غير مولود، لا يشاركه أحد أو شيء في ذاته، وكل ما كان خارجاً عن الله الأحد، إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته أما (الكلمة) أي اللوكوس فهي وسط بين الله والعالم)، وقد أجمع الآباء في مجمع نيفية عام (325) على رفض أفكاره واعتباره هرطوقيا أي خارج الكنيسة المسيحية.

[)]E تقول الكنيسة المونوفيزية: (أن ليسوع المسيح طبيعة واحدة، أي أن المسيح إله كامل وإنسان كامل في آن واحد، فالألوية والبشرية يكونان طبيعة واحدة تتجسد في المسيح).

[)]¯ الخلقيدونيون، نسبة إلى المجمع الخلقيدوني المنعقد في مدينة خلقيدونية عام (451)، الذين احتدمت بينهم المجادلات حول طبيعة المسيح، وتقرر فيه:(أن للمخلص طبيعتين متميزتين (لاهوتية وناسونية) متحدتين كل الاتحاد، ولكنهما غير مختلطتين أو ممتزجتين).

[88] - بيكو ليفسكايا، فينا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف محمد مراد، دمشق، دار المصادر، 1960، الصفحات: 17-21.

[89] - دوفال، روبنس، تاريخ الأدب السرياني، بغداد، 1992، ص: 198.

[90] - بيكوليفسكايا، نينا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، المصدر السابق، ص: 89-90.

[91] - ادي شبر، تاريخ كلدو وآشور بيروت، مطبعة اليوغني، 1912، ص: 189.

[92] - غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة المديرة والمملكة المسيحية، ص: 205.

[93] - غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة المديرة والمملكة المسيحية، ص: 205.

[94] - الطريحي، محمد سعيد التأثيرات النصرانية في المجتمع الكوفي، آفاق عربية السنة السابقة العدد: 5، 1982، ص: 55، وتاريخ نصارى الكوفة للكاتب نفسه، مجلة قالاسريايا، 1987، ص: 254-276.

[95] - الشرقي، طالب علي، قصور العراق العربية والإسلامية، بغداد، دار الشؤون والثقافة، 2001، ص: 23-28.

[96] - أبي أبي اصبيعة، موفق الدين أبي العباس الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت، ص: 148، 483-484.

[97] - أبي أبي اصبيعة، موفق الدين أبي العباس الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت، ص: 148، 483-484.

[98] - القفطي، جمال الدين الحسن علي تاريخ الحكما، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق جوليوس ليبرت، ليزك، 1903، ص: 128-133.

[99] - قنواتي، (الأب) جورج شحاته، المسيحية والحضارة العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط: 3، 1984، ص: 147-150.

[100] - حبي، (الأب) يوسف، حنين بن اسحق، بغداد، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، 1974، ص: 135.

[101] - قاشاه، (الأب) سهيل، المسيحيون في الدولة الإسلامية، بيروت، دار الملاك، 2002، ص: 307-310.

[()]! فرفريوس المصوري، (234-305) ولد في صبور وهو من أصل فينيقي قد يكون اسمه ملكو أو بالكوس، أستاذه في الفلسفة أفلوطني وأخذ عنه الأفلاطونية الجديدة، ومعلوماتنا عن أفلاطيني مستمدة مما جمعه عنه فرفريوس في مقالات وما كتبه عن حياته.

[102] - الحمد، محمد عبد الحميد، إسهام السريان في الحضارة العربية، دار الرها، 2002، ص: 13-32.

[103] - الحمد، محمد عبد الحميد، إسهام السريان في الحضارة العربية، دار الرها، 2002، ص: 13-32.

[104] - حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال البازجي، بيروت، دار الثقافة، ط: 2/1972، ص:2.

[105] - ووثال، روبنس، تاريخ الأدب السرياني، المصدر السابق، ص: 75.

[106] - قاشا، (الأب) سهيل، المسيحيون في الدولة الإسلامية، بيروت، دار الملاك، 2002، ص: 300-302.

[107] - ايشو عدناح (ت 840م)، الديورة في مملكتي الفرس والعرب، أو العفة، نقله إلى العربية (الأب) بولس شيخو، الموصل، مطبعة النجم، 1939، ص: 30.

[108] - بيكو ليفسكايا، نينا، العرب على حدود بيزنطة، المصدر السابق، ص: 520.

[109] - غنيمة، يوسف، الحيرة الملكة العربية، المصدر السابق، ص: 220.

[110] - حبي، (الأب) يوسف، كنيسة المشرق، بغداد، د. ط: 1989، الصفحات: 258-260.

[111] - بيكو ليفسكايا، نينا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف محمود جراد، دمشق، دار الحصاد، ط: 1، 1990، ص: 138-146.

F Borck, Sebastian, Syria Historical Writings: A Survey Of The Main[)] Sources. Journal Of The Iraqi Academi, Syria Coporation, Vol, 5, (1979-80). P: 295-326.

[112] - (2)- (3) - ووفال، روبنس، تاريخ الأدب السرياني، ترجمة لويس قصاب، بغداد، مطرانية السريان الكاثوليك، 1992، ص: 201-228).

[113](4) - تويلي، هرمان، (التاريخ السرياني الرسمي)، في كتاب (ينابيع سريانية)، بيروت، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، 2005، ص: 329-331.

[114] - تويلي، هرمان، (التاريخ السرياني الرسمي)، في كتاب (ينابيع سريانية)، بيروت، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، 2005، ص: 329-331.

[115] - هبي، الأب يوسف، (التواريخ السريانية)، مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة السريانية، بغداد، 1981-1982، ص: 53-54.

[116]- Borck, Sebastian, Syria Historical Writings: A Survey Of The Main Sources. Journal Of The Iraqi Academi, Syria Coporation, Vol, 5, (1979-80). P: 295-326.

[117] - السرياني، مار ميخائيل، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك انطاكيا، عرّبه من السريانية المطران صليبا شمعون، قدّم له المطران يوحنا إبراهيم، حلب، دار ماردين، 1996 (ثلاثة أجزاء)، ص: 34.

[118] - الأسيوي، يوحنا، تاريخ الكنيسة السريانية، الكتاب الثالث، ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2000.

[119] - مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، القرن السابع للميلاد. ترجمة إلى العربية وعلق عليه الأب الدكتور بطرس حداد، بغداد، هيئة اللغة السريانية، المجمع العلمي العراقي، 1976، ص: 34.

[120] - يشو عدناح، مطران البصرة (ن 840) العفة أو الديورة في مملكتي الفرس والعرب، ترجمة الأب بولس شيخو، الموصل، مطبعة النجم، 1939.

[121] - ابن العبري، أبو الفرج، جمال الدين، (ت 1286) تاريخ الزمان، ترجمة الأب اسحق أرملة، بيروت، دار المشرق، 1986، ط: 2/1991.

[122] - ابن العبري، أبو الفرج، تاريخ مختصر الدول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط: 2/1958، ط: 1/1890.

[123] - برشينايا، ايليا، (ت 1046)، تاريخ ايليا برشينايا ترجمة الأب يوسف حبي، بغداد، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، 1975، ص: 241.

[124] - حبي، الأب يوسف، التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، بغداد، عدد: 81/1982، ص: 53-54.

[125] - قنواني، الأب جورج شحاته، المسيحية والحضارة العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط: 2، 1984، ص: 241-242.

[126] - مختصر الأخبار البيعية، وهو القسم المفقود من التاريخ السعردي حرره وحققه ونشره الأب بطرس حداد، بغداد شركة الديوان للطباعة، 2000، ص: 252.

[127] - أبونا، (الأب) البير، تاريخ الرهاوي المجهول، ج: 2، تحقيق وترجمة عن السريانية، بغداد، مطبعة شفيق، 1986، ص: 6-7.

[128] - القيصري، يوسا بيوس، تاريخ الكنيسة، ترجمة الأب مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة، ط: 3، 1998.

[129] – برصوم، اغناطيوس افرام الأول، اللوء لوء المنصور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، بغداد، المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، ط: 3، 1976، ص: 411-430 .

[130] - تويلي، هرمان (التاريخ السرياني الرسمي)، ينابيع سريانية، بيروت، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، 2005، ص: 322-323.

[131] - برصوم، اغناطيوس، اللوء لوء المنثور..... المصدر السابق، ص: 420.

[132] - دوفال، روبنس، تاريخ الأدب السرياني، ترجمة الاب لويس قصاب، بغداد، المطرانية السريانية الكاثوليكية، 1992، ص: 435-437.

[133] - ابن العبري، غرينوريوس، مختصر تاريخ الدول، المصدر السابق، ص: ج.

[134] - ابن العبري، غرينوريوس، الحمامة، حققه وعربه المطران زكا عيواص، بغداد، مجمع اللغة السريانية، المجمع العلمي العراقي، 1975، ص: 12-14.

[135] - بروك، سباستيان، الادب الدنيوي، ينابيع سريانية، المصدر السابق، ص: 392.

[136] - الأب اسحق أرملة من الباحثين السريان اللامعين، ولد في ماردين عام (1879)، سجن وتعذب أثناء الحرب العالمية الأولى فيما عرف باضطهاد للآرمن في الدولة العثمانية، استطاع بصعوبة الهرب إلى سوريا ومن ثم قرر الاستقرار في بيروت عام (1919) وهناك درس العلوم الدينية وتعمق في الثقافة السريانية، وأصبح قسيساً وغير اسمه من إلياس إلى اسحق. ونظراً لثقافته ودرايته أصبح أمين سر الكاردينال تبوني رئيس الطائفة الكاثوليكية في المشرق، ألف أكثر من ثلاثين كتاباً ونشر عشرات المقالات في مجلة المشرق التي أصدرها العلامة لويس شيخو، حلف مؤلفات مخطوطة لم تنشر بعد توفي عام (1954)، (البير أبونا/ أدب اللغة الآرامية/ ص: 552-553).

[137] - الطوري، بشير متى، الطبعة في شعر ابن العبري، مجلة الكاتب

[138] - السريان العدد، 19/1999، ص: 6-13.

[139] - رحمة، (الأب) جورج (الكتاب السريان)، ينابع سريانية، جذورنا، مقدمات عامة، انطلياس، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، ط: 2/2005، ص: 177-213.

[140] - رحمة (الأب)، حورج (الكتاب السريان) ينابع سريانية، المصدر السابق، ص: 180-182.

[141] - رحمة (الأب)، حورج (الكتاب السريان) ينابع سريانية، المصدر السابق، ص: 180-182.

[142] - رحمة (الأب)، حورج (الكتاب السريان) ينابع سريانية، المصدر السابق، ص: 180-182.

[143] - ابن أبي اصيبعة،موفق الدين، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، بيروت، دار مكتبة دار الحياة، د.ت، ص:183-186.

[144]- Goddard, Hugh, Christians and Muslims, London, Cursou, 1995. P:205.

[,]! مخول، موسى، يوحنا الدمشقي، في (السريان نقلة حضارات) انطلياس، مركز الدراسات والأبحاث الشرقية، ص: 106-107.

[145]- Goddard, H. A history OF Chistion _ Muslim Relations Chicago: New Amostrdam, 2000, P: 51.

[146]- Goddard, H. A history OF Chistion _ Muslim Relations. Loc. Cit. P:53.

[147] - ابن أبي اصيبعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المصدر السابق.

[148] - القفطي، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت، دار الآثار، د.ت، ص: 99، (246-255).

[149] - قزانجي، فؤاد، العالم الحكيم حنين بن اسحق، المورد، العدد الأول، 2005، ص: 99-100.

[150] - عواد،ميخائيل،ابن الخمار ،معجم الأدب السرياني،هيئة اللغة السريانية،المجمع العلمي العراقي،1990،ص:51-52.

[151] - ابن أبي اصيبعة، موفق الدين، المصدر السابق، ص: 428-429.

[152] - دانيال، بهنام، مقالة في البروق والرعود والأمطار، مجلة هيئة اللغة السريانية، المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع، 1983، ص: 235-240.

[153] - حبي، (الأب) يوسف، دلائل الأعياد والأصوام، لابن بهلول مجلة هيئة اللغة السريانية، المجلد السابع، 1983، ص: 206-234.

[154] - حبي، يوسف، أبو الفرج عبد الله الطيب، معجم الأدب السرياني، المصدر السابق، ص: 72-74.

[,]! الجابري، علي حسني، أبو الفرج في الطيب البغدادي، بغداد بيت الحكمة، 2002.

[155] - البكري، عادل، دعوة الأطباء، تصنيف أبي الحسن بن بطلان، (تحقيق) بغداد، منشورات المجمع العلمي العراقي، 2002.

[156] - القفطي، جمال الدين، أخبار الحكماء، المصدر السابق، ص: 265-315.

[157] - عواد، ميخائيل، (ابن حرير التكريتي)، معجم الأدب السرياني، المصدر السابق، ص: 45-47.

[158] - عواد، كوركيس، ابن التلميذ البغدادي، معجم الأدب السرياني، المصدر السابق، ص: 43-45.

[159] - السريان، وهو مسيحيو الهلال الخصيب وسموا أيضا في العراق بالنساطرة في القرن الخامس، والذين يعتبرون جزءاً أصيلاً من الشعب العراق وكان المسيحيون السريان يشكلون غالبية العراقيين قبل الإسلام، ويعود أصولهم إلى الأقوام الآرامية والبابلية والآشورية والعربية، أما في سوريا ولبنان وفلسطين فيعود أصل السريان إلى أقوام آرامية وفينيقية وعربية.

[160] - نصيبين: (Nisibis) مدينة آرامية كانت تقع على الحدود الدولة الفارسية والدولة البيزنطية اشتهرت بمدرستها العليا التي علم فيها مار افرام السرياني، وحالياً بلدة تقع في الجنوب الشرقي من تركيا.

[161] - الرها: مدينة قديمة كانت عاصمة الدولة – المدنية الآرامية أورهاي أو بالأحرى أورهوي (Orhoe) اجتاحها اليونانيون من القرن الرابع قبل الميلاد وسماها سلوقس الأول اديسا (Edessa) وفي القرن الأول الميلادي كان ملوكها من الأباجرة يحكمون هذه الدويلة المدينة ذكرت الروايات أنهم اهتدوا إلى المسيحية في زمن مبكر حتى اجتياح الرومان إلى سوريا فأصبحوا تحت رحمة المحتلين الجدد إلى أن زال حكمهم، انتقل مار افرام، إليها، وأقام فيها مدرسة عليا على أثر سيطرة الفرس على نصيبين وبذلك أصبحت مركزاً لتطور الثقافة واللغة السريانية، حالياً تدعى اورفا، وتقع في جنوب غرب تركيا، وهي قريبة جداً من الحدود السورية وحالياً قرية متواضعة تضم كنيسة ودير.

[162] - ساكو: المطران لويس، السريان، الإطار التاريخي والجغرافي، في كتاب ينابيع سريانية، جذورنا – مقدمات عامة، بيروت، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، 2005، 489، ص: 49.

[163] - حبي، الأب يوسف، (أصالة السريانية ومساهمتها في البناء الحضاري)، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد خاص بهيئة اللغة السريانية، المجلد السابع، 1983، ص: 4-5.

[164] - أبونا، الأب، البير، (مار افرام السرياني الملفان)، في كتاب أدب اللغة الآرامية، بيروت، دار المشرق، ط: 2/1996، الصفحات: 70-85.

[165] - فوربس، ارثر، (افرام وأهمية مدرسة الرها)، في كتاب مهرجان افرام – حنين بغداد، المجمع العلمي السرياني، 1974، الصفحات: 8-85.

[166] - ماني: أصله من ميشان (بيت هوازي) أو الأهواز يرجح كان مسيحياً ثم انقلب عليها وأصبحت له فلسفة خاصة به هي مزيج بين المسيحية والزرادشتية، وكان مفكراً أراد أن يكون

فيلسوفاً أو معلماً وله إتباع فقبضت عليه أخيراً السلطات الساسانية وأعدمته، خلف عدة مؤلفات لكنها فيما بعد أحرقت وبقيت منها نتفاً في بعض الكتب وكتاب.

[167] - أبونا: الأب البير، (القديس افرام الملفان)، في أدب اللغة الآرامية، بيروت، دار المشرق، ط: 2/1996، ص: 719، الصفحات: 70-88.

[168] - بروك، سباسيتان (الشعر) ينابيع سريانية، جذورها مقدمات عامة بيروت، مركز الدراسات والأبحاث الشرقية، 2005، ص: 272-273.

[169] - البستاني فؤاد افرام، توق النفوس إلى جنة الفردوس من سفر مار افرام بيروت، 1950، ص: 180-181.

[170] - الديراني، نزار (أوزان الخليل هل هي أصلية أم مستوردة) مجلة الأديب العراقي بغداد الاتحاد العام للكتاب والأدباء العراقيين، 2005، ص: 64.

[171] - برصوم (البطريك) اغناطيوس افرام الأول، اللؤلوء المنشور من تاريخ العلوم والآداب السريانية، بغداد مجمع اللغة السريانية، ط: 3/1976، ص: 201-202.

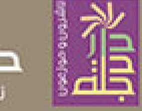
[172] - ملفان: المعلم والأستاذ وما يراد به أحد أئمة المسيحية وعلمائها.

[173] - العراق، المجمع العلمي العراقي مهرجان افرام وحنين، بغداد في (4-7 شباط 1974)، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي، الهيئة السريانية، 1974.

[174] - مخول، موسى رد نصيبين ومارا افرام، نصيبين ومدرستها من القرن الرابع للميلاد حتى مطلع العقد الإسلامي، المؤتمر السرياني العاشر، (11-14/5/2006) حلب، ص: 3.









عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٠ خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧
ص ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ - الأردن
بغداد - شارع السعدون - عمارة فاطمة
تلفاكس: ٠٠٩٦٤ ١ ٨١٧٠٧٩٢ ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٢١٥٢٧٥٥
خلوي: ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٥٨٥٥٦٠٣ ٠٠٩٦٤ ٧٩٠٢٢٢٥٥٤٩
E-mail:dardjlah@yahoo.com


ISBN 9957-71-125-3